



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليه
صباح
الرمضان

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

السِّيَرُ وَالسِّيَرَاتُ
بَيْنَ التَّدْوِينِ وَالْإِنْطِهَادِ

مؤلفه
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الشريعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد

كاتب:

نبيل الحسنى

نشرت في الطباعة:

العتبة الحسينية المقدسة

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
14	الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد
14	اشارة
14	هوية الكتاب
18	الإهداء
20	مقدمة القسم
22	مقدمة الكتاب
30	الفصل الأول: نشأة علم السيرة النبوية
30	اشارة
36	المبحث الأول: نشأة التاريخ عند العرب قبل الإسلام
36	المسألة الأولى: ما هو المقصود بلفظة «التاريخ»؟
37	المسألة الثانية: معنى «التاريخ» و«الخبر»
37	اشارة
38	ألف: التاريخ
39	باء: التاريخ العلمى
39	جيم: فلسفة التاريخ
40	المسألة الثالثة: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضى الحاضر»
41	المسألة الرابعة: علم التاريخ عند العرب
43	المسألة الخامسة: كيف تطور علم التاريخ عند العرب
52	المبحث الثانى: دور الإسلام فى حركة التاريخ
52	اشارة
52	المسألة الأولى: نظرة القرآن إلى الماضى
53	المسألة الثانية: عالمية التاريخ فى القرآن الكريم

58 أولاً: حقيقة سريان السنن التاريخية في الأمم .

61 ثانياً: تحقق الغرض الإرشادي في عرض السنن التاريخية .

63 ثالثاً: علّة تأخير العقوبة الجماعية .

66 المسألة الرابعة: سنة التغير النفسى وارتباطها بتغير المجتمع .

67 المسألة الخامسة: آثار سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة .

70 المبحث الثالث: حركة التاريخ وسننه عند أهل البيت عليهم السلام .

70 إشارة .

73 المسألة الأولى: حركة التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

73 أولاً: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

75 ثانياً: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

80 المسألة الثانية: حركة التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام .

80 إشارة .

81 أولاً: حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام .

82 ثانياً: السنن التاريخية عند الإمام على عليه السلام .

82 إشارة .

83 الميزة الأولى في نظرتة عليه السلام للسنن التاريخية .

83 الميزة الثانية لنظرتة عليه السلام للسنن التاريخية .

84 الميزة الثالثة: تشخيص نتائج السنن .

87 الميزة الرابعة في نظرتة عليه السلام للسنن التاريخية .

89 المسألة الثالثة: حركة التاريخ وسننه عند بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام وأثر ذلك على الوعى فى التاريخى وتدوينه .

89 إشارة .

90 أولاً: حركة التاريخ عند فاطمة الزهراء عليها السلام .

100 ثانياً: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام .

116 الفصل الثانى: السيرة النبوية بين الحركة والوعى والتدوين .

116	اشارة
118	المبحث الأول: حركة السيرة النبوية
118	اشارة
120	النوع الأول: الوعى الفطرى
121	النوع الثانى: الوعى المعرفى
122	المبحث الثانى: تدوين السيرة النبوية
122	اشارة
123	الرأى الأول: هو الاعتقاد بوجود التدوين قبل الإسلام وبعده
128	الرأى الثانى: عوامل نشوء الاعتقاد بتأخر التدوين إلى منتصف القرن الثانى للهجرة
141	المبحث الثالث: تقدم تدوين السيرة النبوية فى مدرسة العترة النبوية عليهم السلام على المدارس الإسلامية كافة
141	المسألة الأولى: متى بدأ المسلمون تدوين السيرة النبوية ؟
144	المسألة الثانية: متى بدأ التصنيف فى مدرسة العترة النبوية عليهم السلام
146	المسألة الثالثة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى عصر النبوة
146	اشارة
148	الكتاب الثانى: كتاب فى علوم القرآن الكريم
149	الكتاب الثالث: كتاب الجامعة
150	الكتاب الرابع: كتاب الجفر
152	الكتاب الخامس: كتاب الدييات
152	الكتاب السادس: كتاب الصحيفة
153	المسألة الرابعة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
153	الكتاب الأول: مصحف فاطمة عليها السلام
155	الكتاب الثانى: كتاب الصحابى المنتجب سلمان المحمدي (الفارسى) رضى الله عنه
155	الكتاب الثالث: كتاب الصحابى المنتجب أبى ذر الغفارى رضى الله عنه
156	الكتاب الرابع: كتاب الصحابى المنتجب أبى رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
157	الكتاب الخامس: كتاب الصحابى الشهيد حجر بن عدى الكندى رضى الله عنه

- 158 الكتاب السادس: كتاب التابعى على بن أبى رافع رضى الله عنه
- 158 الكتاب السابع: كتاب التابعى عبد الله بن أبى رافع رضى الله عنه
- 159 الكتاب الثامن: كتاب التابعى الشهيد ميثم التمار رضى الله عنه (توفى سنة 60 هـ -)
- 160 الكتاب التاسع: كتاب التابعى أبى الأسود الدؤلى رضى الله عنه
- 160 الكتاب العاشر: كتاب التابعى المجاهد سليم بن قيس الهلالي رضى الله عنه (توفى سنة 70 هـ -)
- 162 الكتاب الحادى عشر: كتاب التابعى محمد بن الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بابن الحنفية (توفى سنة 73 هـ -)
- 162 الكتاب الثانى عشر: كتاب التابعى الحارث الهمداني رضى الله عنه
- 163 الكتاب الثالث عشر: كتاب التابعى ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي)
- 163 الكتاب الرابع عشر: كتاب التابعى الشهيد سعيد بن جبير (توفى سنة 94 هـ -)
- 165 الكتاب الخامس عشر: كتاب التابعى الحسن بن محمد بن الحنفية (توفى 100 هـ -)
- 165 الكتاب السادس عشر: كتاب التابعى زيد بن وهب الجهنى (توفى 96 هـ -)
- 165 الكتاب السابع عشر: كتاب التابعى أصبغ بن نباتة المجاشعى رضى الله عنه (توفى سنة 100 هـ -)
- 166 الكتاب الثامن عشر: الصحيفة السجادية للإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام (توفى سنة 95 هـ -)
- 167 الكتاب التاسع عشر: رسالة الحقوق للإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام
- 167 الكتاب العشرون: مناسك الحج، تصنيف الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام
- 167 الكتاب الحادى والعشرون: كتاب الزهد، تصنيف الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام
- 168 الكتاب الثانى والعشرون: الجامع فى الفقه، تصنيف الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام
- 168 الكتاب الثالث والعشرون: كتاب الأحاديث، للإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام
- 168 الكتاب الرابع والعشرون: تفسير القرآن الكريم، تصنيف الإمام محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام (توفى سنة 114 هـ -)
- 169 أ - الكتاب الخامس والعشرون: تفسير القرآن الكريم
- 169 ب - الكتاب السادس والعشرون: وهو مجموعة من أحاديث الإمام الباقر عليه السلام
- 169 ج - الكتاب السابع والعشرون
- 169 د - الكتاب الثامن والعشرون
- 169 هـ - الكتاب التاسع والعشرون: رسالة الإمام الباقر عليه السلام إلى سعد بن عبد الملك الأموى
- 170 الكتاب الثلاثون: كتاب المجموع تصنيف الشهيد زيد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام (توفى 122 هـ -)

170	الكتاب الحادى والثلاثون: كتاب قراءة على عليه السلام
170	الكتاب الثانى والثلاثون: كتاب الصفوة
170	الكتاب الثالث والثلاثون: كتاب التوحيد تصنيف الإمام جعفر بن محمد الصادق بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام (توفى سنة 148 هـ)
171	الكتاب الرابع والثلاثون: كتاب الأهليلجة فى التوحيد تصنيف الإمام الصادق عليه السلام
171	الكتاب الخامس والثلاثون: كتاب الأهوازية تصنيف الإمام الصادق عليه السلام
171	الكتاب السادس والثلاثون: كتاب الجعفریات تصنيف الإمام الصادق عليه السلام
177	المسألة الخامسة: أسبقية مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى تدوين السيرة النبوية وكتابة التاريخ الفلسفى والتحليلى
177	أولاً: أقدم المدارس الإسلامية
177	ثانياً: الاختلاف فىمن أول من صنف المغازى
180	ثالثاً: لا دليل على امتلاك مدرسة المدينة التى اتبعت نهج الشيخين لكتاب مستقل فى المغازى والسير
181	رابعاً: أسبقية مدرسة العترة تجليل الحدث التاريخى وتقده
182	خامساً: نشوء الفكر الجبرى
186	سادساً: الخلط بين الخلافة والملك
190	المسألة السادسة: أهمية كتاب سليم بن قيس الهلالي رحمه الله
190	أولاً: أقوال علماء المدارس الإسلامية فيه
202	ثانياً: منهج التاريخ النقدى والتحليلى عند سليم بن قيس الهلالي
208	الفصل الثالث: مراحل تطور علم السيرة النبوية خلال القرنين الأول والثانى للهجرة
208	إشارة
210	المبحث الأول: نشوء المدارس الإسلامية التاريخية
210	إشارة
212	المسألة الأولى: دور مدرسة العراق فى تطور علم السيرة النبوية
212	إشارة
214	أولاً: دور الإمام على بن أبى طالب عليه السلام فى تطور علم السيرة النبوية وإنعكاس ذلك على مدرسة الكوفة
223	ثانياً: دور عبيد الله بن أبى رافع (صاحب أمير المؤمنين الإمام على بن أبى طالب عليه السلام) فى تطور علم السيرة وإنعكاس ذلك على مدرسة الكوفة
224	المسألة الثانية: دور مدرسة المدينة فى تطور علم السيرة

- 224 اشارة
- 228 أولاً: دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى تعليم ونشر العلوم الشرعية، فضلاً عن علم المغازى والسير
- 235 ثانياً: دور مدرسة الصحابة فى حيرة الناس فى معرفة دينهم! ونفى! وتعذيب من يسأل عن دينه!!
- 239 المبحث الثانى: أسماء الذين رووا أو كتبوا فى المغازى والسير خلال القرن الأول للهجرة
- 239 اشارة
- 239 2 - سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجى
- 242 3 - سهل بن أبى خثيمة (توفى سنة 41 هـ -)
- 243 4 - سَعِيد بن المُسَيَّب (المتوفى سنة 94 هـ -)
- 245 5 - عُرْوَةُ بن الزبير (المتوفى سنة 94 هـ -)
- 247 6 - عُيَيْد الله بن كَعْب (المتوفى سنة 97 هـ -)
- 248 7 - أبان بن عثمان بن عفَّان (المتوفى سنة 96 هـ -)
- 249 المبحث الثالث: أسماء الذين رووا أو دونوا فى علم المغازى والسير فى القرن الثانى للهجرة
- 249 1 - الشعبى (المتوفى سنة 103 هـ -)
- 252 2 - القاسم بن محمد (المتوفى سنة 107 هـ - / 725 م)
- 253 3 - عاصم (المتوفى سنة 120 هـ - / 737 م)
- 254 4 - شرحبيل بن سَعِيد بن سعد بن عبادة الأنصارى (المتوفى سنة 123 هـ -)
- 255 5 - الزُّهْرَى المتوفى سنة 124 هـ - / 742 م)
- 274 6 - السَّيِّعَى (المتوفى سنة 127 هـ - / 745 م)
- 277 7 - يعقوب بن عُثْبَةَ (المتوفى سنة 128 هـ - / 745 م)
- 278 8 - عبد الله بن أبى بكر (المتوفى سنة 130 هـ - / 747 م)
- 279 9 - يزيد بن رومان (المتوفى سنة 130 هـ - / 747 م)
- 280 10 - أبو الأسود (المتوفى سنة 131 هـ - / 748 م)
- 281 11 - داود بن الحسين (المتوفى سنة 135 هـ - / 752 م)
- 282 12 - موسى بن عُقْبَةَ (المتوفى سنة 141 هـ - / 758 م)
- 285 13 - سليمان بن طرخان التيمى (المتوفى سنة 143 هـ - / 760 م)

287	14 - مَعْمَر بن زَائِد (المتوفى سنة 154 هـ - / 770 م)
290	15 - الحُثَيْبِي (المتوفى سنة 162 هـ - / 778 م)
291	16 - أَبُو مَعْمَر السَّنْدِي
293	17 - الفَرَّارِي (المتوفى سنة 188 هـ - / 804 م)
294	18 - أَبُو إِسْمَاعِيل الأَزْدِي البَصْر (المتوفى فى الربع الأخير من القرن الثانى للهجرة)
294	19 - يحيى بن سعيد الأموى (المتوفى سنة 194 هـ - / 809 م)
296	20 - أَبُو العباس الأموى (المتوفى سنة 195 هـ - / 810 م)
302	الفصل الرابع: دور محمد بن إسحاق فى تطور علم السيرة النبوية
302	اشارة
307	المبحث الأول: من هو محمد بن إسحاق رحمه الله
307	اشارة
307	المسألة الأولى: التعريف بشخصيته
307	اشارة
307	الصورة الأولى
309	الصورة الثانية
311	المسألة الثانية: مكانته العلمية، أساتذته، أقوال العلماء فيه، تلامذته، المحذون عنه، رواته
311	اشارة
311	الأمر الأول: أساتذته
312	الأمر الثانى: المحذون عنه
314	الأمر الثالث: أقوال العلماء فيه
318	الأمر الرابع: آثاره العلمية ونتاجه المعرفى
322	الأمر الخامس: تلامذته فى علم السيرة النبوية
325	المسألة الثالثة: الدراسات والبحوث التى كتبت فى ابن إسحاق
325	اشارة
325	أولاً: الدراسات التى كتبت فى شخصية ابن إسحاق رحمه الله

326 ثانيا: الدراسات التي كتبت عن كتاب المغازى لابن إسحاق
328 المسألة الرابعة: منهجه في علم المغازى والسير
328 اشارة
328 أولا: طريقة إعداد البحث
328 ثانيا: تتبعه للكتب التي عند الناس
329 ثالثا: جمعه بين أساليب المحدثين والإخباريين
329 رابعا: توسيع دائرة مصادره من الكتب السريانية
330 خامسا: اعتماده منهج وحدة الفكر التاريخي
330 سادسا: المنهج الموسوعي
332 المبحث الثاني: اضطهاده ومحاربه
332 اشارة
333 المسألة الأولى: محاربة ابن إسحاق أم محاربة السيرة النبوية ؟
333 اشارة
333 الحلقة الأولى: محاربة البلاط الأموي للسيرة النبوية
337 الحلقة الثانية: إعلان الحرب على ابن إسحاق وتهجيره من المدينة المنورة
341 المسألة الثانية: تشيعة لأهل البيت عليهم السلام كان السبب في اضطهاده
341 اشارة
342 الحلقة الأولى: محاربة عروة بن الزبير له مذهبيا
345 الحلقة الثانية: محاربة مالك بن أنس لمحمد بن إسحاق مذهبيا
351 المسألة الثالثة: التعاهد على محاربة ابن إسحاق حتى بعد مماته
351 الحلقة الأولى: دور ابن هشام في تغيير السيرة النبوية
354 الحلقة الثانية: قيام بعض الحفاظ باتهام ابن إسحاق رحمه الله بعد وفاته بتهم عدّة
356 الحلقة الثالثة: دور بعض الكتاب المعاصرين في محاربة ابن إسحاق
362 فهرس الآيات
370 فهرس الأحاديث

374 أعلام -- أ

376 أعلام -- ب

418 المحتويات

426 تعريف مركز

سرشناسه:نبيل الحسنی

عنوان و نام پدیدآور:الشعبة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد/ تالیف نبیل الحسنی

مشخصات نشر: کربلاى معلى - عراق

ناشر: العتبة الحسينية المقدسه، قسم الشؤون الفكرية والثقافية 1430

مشخصات ظاهري: 400ص

یادداشت:عربی.

یادداشت:کتابنامه.

موضوع: تدوين السيرة النبوية - تاريخ ونقد

موضوع: تدوين التاريخ الإسلامی دراسة - وتحقیق

موضوع: أهل البيت - بیلو جرافیا - دراسة وتحقیق

موضوع: الشيعة - بیلو جرافیا - دراسة وتحقیق

ص: 1

هوية الكتاب

الشيعة والسيرة النبوية بين التدوين والاضطهاد: كتاب السيرة النبوية محمد بن إسحاق انموذجاً... / تأليف نبيل الحسنى. - كربلاء: قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة، 1430 ق. = 2009 م.
400 ص. - (قسم الشؤون الفكرية والثقافية؛ 32).

المصادر في الحاشية.

1. تدوين السيرة النبوية - تاريخ ونقد. 2. تدوين التاريخ الإسلامى دراسة - وتحقيق. 3. أهل البيت - بيليو جرافيا - دراسة وتحقيق. 4. الشيعة - بيليو جرافيا - دراسة وتحقيق. 5. مؤلفين الشيعة - تأثير - تدوين السيرة النبوية.
6. ابن إسحاق، محمد، 85 - 151 ق - شبهات وردود. 7. تدوين السنة النبوية - شبهات وردود. ألف. عنوان.

9 ش 5 ح /

تمت الفهرسة في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة قبل النشر / علاء الأعمش

ص: 2

جميع الحقوق محفوظة

للعتبة الحسينية المقدسة

الطبعة الأولى

1430 هـ -- 2009 م

العراق: كربلاء المقدسة - العتبة الحسينية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية - هاتف: 326499

ص:4

الإهداء

إلى شيخ ابن إسحاق الأول

وملهمه الأكمل

إلى المضطهد في حبه والمجاهر في مولاته

إلى باقر علم النبيين وسليل سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم

إلى الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام

أهدى كتابي هذا

ص:5

الحمد لله رب العالمين الذى جعل العلم سلماً للرفعة وطريقاً للكمال والصلاة والسلام على سادة الفكر وقادة العلماء ونبايح الحكمة ومُحاة الجهل، أعنى محمداً وآله الأطياب.

أما بعد:

رفداً للمكتبة الإسلامية التى تضم بين طياتها مختلف العلوم، وتتنظم فى رفوفها أنواع المواضيع، مدت شعبة الدراسات فى قسم الشؤون الفكرية فى العتبة الحسينية المقدسة يدها لتضع كتاباً جديداً إلى جانب الكتب التى رفدت بها المكتبة الإسلامية، وتفتح صفحات كتابها الجديد لتضعه بين يدي طلاب الحقيقة التاريخية، والباحثين عن أعلام كتاب السيرة والراغبين فى الاطلاع على دورهم فى سرد الوقائع والأحداث التى حصلت فى حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من خلال هذا الكتاب الموسوم «الشيعية والسيرة النبوية» لمؤلفه سماحة السيد نبيل قدورى الحسنى دامت بركاته، آملمين أن يكون نافذة يُرى من خلالها القلم الشيعى ودوره فى تدوين السيرة النبوية بيد شيخ كتاب السيرة «محمد بن اسحاق» ونسأله تعالى أن يجعل هذا العمل المبارك ذخراً لصاحبه فى الآخرة إنه ولى التوفيق.

الشيخ على الفتلاوى

رئيس قسم الشؤون الفكرية والثقافية

ص:7

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر بما ألهم، والثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن أولها، جم عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدتها، وتفاوت عن الإدراك أبدها»⁽¹⁾.

والصلاة على خير الأنام ومجلى الظلام، ومنير الأفهام محمد بن عبد الله وعلى آله الهداة إلى السلام ومثبتي الإسلام، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد؛ فإن الحديث عن السيرة النبوية - على صاحبها وآله أزكى الصلاة والسلام - هو حديث عن الأمة التي ولدت بولادة الإسلام، بل هو حديث عن الحضارة الإنسانية؛ منذ ان بعث آدم عليه السلام فكان النبأ الأول لحضارة بنيه، بنى آدم.

والحديث عن سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم - وبغض النظر عن المفهوم القرآني لولادة هذه السيرة حين بدء الخلق الأول⁽²⁾ -، هو حديث عن فلسفة الوجود وعلة الخلق وغرض البقاء.

ص:9

1- (1) هذا ما ابتدأت به بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم خطبتها الاحتجاجية التي ألقتها في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مجمع من المهاجرين والأنصار.

2- (2) سأل جابر بن عبد الله، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن أول شيء خلقه الله تعالى فقال صلى الله عليه وآله وسلم: نور نبيك يا جابر.

إلا أنّ هذه العناوين ليست مما احتوته هذه الصفحات، وإنما هي إطلالة على الحركة العلمية التي ظهرت في المدينة المنورة، واستطاعت ان تجمع هذه العناوين في أبحاثها، فبدت لأهل الفكر والدراسة والبحث من الأجيال اللاحقة محطة تزود وتفكر وتأمل، جعلت البعض متحيراً والآخر مستغرباً والبعض الآخر متسانلاً:

من أين حصل عرب الجزيرة على هذا الرقى والحضارى زحفوا هذا الزحف العلمى فقدّموا بعد مرور مائة عام على وفاة رسول المدينة صلى الله عليه وآله وسلم موسوعة علمية، جمعت بين ثناياها تاريخ الخلق وسير الأنبياء وقيام حضارات وأقول أخرى.

ترى أكون هذا الرقى بفعل الإسلام ممثلاً بنبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم أم هو بفعل ما شهدته الجزيرة من توافد بعض الديانات السماوية إليها ولاسيما اليهودية والنصرانية؟.

هذا ما حاوله المستشرق الانكليزى روزنتال، أى إرجاع هذا الوعى التاريخى الذى برز فى شخصية محمد بن إسحاق الى دور التوراة والإنجيل فى خلق الوعى التاريخى عند العرب.

فيقول: «إنّ فكرة التاريخ فى الكتاب المقدس قد أثرت فى النبي، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية فى إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة، وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية - الإنجيلية، وأن ثمة - أخيراً - توازياً وتشابهاً فى «شكل» تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية».

وقد استنتج روزنتال من كل أولئك أن ثمة مكاناً خاصاً تحتله تلك المواد التوراتية في علم التاريخ الإسلامي.

وأنها أعطته بعضاً من أهم عناصره معنى. وإن كانت حرمة من الفرصة في أن يحقق تطوراً كبيراً في الفكر التاريخي(1).

إلا أن روزنتال قد غفل عن أن السر في اهتمام العرب - المسلمين - بالتوراة والإنجيل إنما كان بسبب التحذيرات التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة السنن التاريخية للأمم السابقة، ولا سيما بنى إسرائيل فكانت محفزاً قويا عند المؤرخين العرب في معرفة تاريخ اليهود والنصارى، وما جرى في أحوالهم من هذه السنن الإلهية (التاريخية).

ومما ساعد على نمو هذه الحركة التاريخية والمعرفية هو (ظهور جماعة من أهل الديانة اليهودية والمسيحية تنصدي بعد إسلامها لإذاعة تلك المعارف، - وهم الذين - يسميهم ابن إسحاق ب - (أهل العلم الأول).

ويذكرون عن وهب بن منبه أنه قرأ من كتب الأنبياء كتباً يختلف عددها في الروايات بين ثلاثين وبضعة وسبعين أو اثنين وتسعين كتاباً.

وهذا على الأقل يعني توفر هذه الكتب في مناطق من الجزيرة والشام والعراق، في القرن الأول الهجري ولو أنها كانت في معظمها على ما يظهر بالسريانية والعبرانية؛ وقد دخل الكثير منها في معلومات هذه الكتب على التاريخ العربي، حتى لقد عرفت آثارها في التاريخ، وفي علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائيليات.

ص: 11

1- (1) التاريخ العربي والمؤرخون، شاكر مصطفى: ص 108، نقلاً عن: مؤرخى الشرق الأوسط «نشر برنارد لويس وهولت» أكسفورد نيويورك 1962، ص 45.

ويبدو مما وجد من أوراق البردي الإسلامي أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربية قد تمت في أوائل القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن الأول الهجري(1).

فهذه الأسباب هي التي كانت وراء دخول المعارف التاريخية التوراتية الإنجيلية إلى الثقافة الإسلامية، ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الذي يفند المزاعم التي أطلقها المستشرق روزنتال في بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتية الإنجيلية في التاريخ لدى المسلمين).

والذي يدعى فيه: (أن فكرة التاريخ في الكتاب المقدس قد أثرت في النبي، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية في إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية - الإنجيلية، وأن ثمة أخيرا توازيا وتشابها في (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية(2).

في حين أن الدافع الذي دفع المسلمين إلى قراءة التاريخ والآثار اليهودية الإنجيلية هو ليس ما تحتويه هذه الكتب من مادة تاريخية، وإنما - كما أسلفنا - الأحاديث النبوية التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع أمته سنن الأمم السالفة ولاسيما بنى إسرائيل؛ فكان الخوف من الوقوع في هذه السنن ومحاولة تجنبها والنجاة منها هو المحفز الأول في قراءة هذه الآثار التوراتية الإنجيلية، وإلا هذه الآثار كانت موجودة قبل الإسلام لكنها لم تأخذ من الوعي التاريخي عند العرب أى اهتمام يذكر كما يدعى روزنتال.

ص:12

1- (1) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 107.

2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 107 و 108.

فى حىن ذهب آخرون كالمستشرق جب هاملتون فى وصف مغازى ابن إسحاق إلى القول بـ: «أنها كانت ثمرة تفكير أبعد أفقاً وأوسع نطاقاً من تفكير سابقه ومعاصره، لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبى صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل تاريخ النبوة، بذاتها فوحدة الفكر التاريخى ظاهرة فيها»⁽¹⁾.

وهنا: وإن كان جب هاملتون قد نظر إلى مغازى ابن إسحاق بموضوعية ومهنية، إلا أنه لم يستطع أن يخفى استغرابه فى نبوغ ابن إسحاق، وتميزه بالوعى التاريخى، والعمل الموسوعى، وهو ابن الجزيرة التى لم تشهد من المقومات الثقافية التى تؤسّس لنشأة نتاج فكرى كهذا.

هذا النتاج الفكرى والموسوعى المميز دفع البعض من الكتاب المسلمين إلى أن ينسب الفضل فى ظهوره إلى شيخ محمد بن إسحاق المطلبى، أى: إلى ابن شهاب الزهرى، الذى نشأ فى أحضان البلاط الأموى، وانتشى من موارده المالية والاجتماعية - كما سيمر بيانه - بعلّة كونه «صاحب الدور الأول فى نشأة مدرسة التاريخ فى المدينة، فهو الذى وضعها على أسس راسخة»⁽²⁾.

بمعنى: إرجاع هذا النتاج العلمى والموسوعى - مع ما يحف به من مشاعر وجدانية، لكونه حفظ سيرة نبى المسلمين صلى الله عليه وآله وسلم، والسلف الذى ارتبط ذكرهم بذكره - إرجاع الفضل فيه إلى البلاط الأموى!

فى حين كان الواقع الذى أظهره البحث مخالفاً تماماً لما ذهب إليه المستشرقون أو الكتاب الإسلاميون.

ص:13

1- (1) التاريخ والمؤرخون، شاكى مصطفى: مج 1، ج 2، ص 61، 62.

2- (2) الدورى، نشأة علم التاريخ عند العرب: ص 67.

بل قد فرض علينا منهج البحث في إعداد هذه الدراسة إلى الرجوع في بحث نشأة علم السيرة النبوية، وتلازم مسارها، وحركتها مع حركة التاريخ.

وان الفضل الأول لولادة هذا النتاج العلمي - الذى حاول المستشرقون والمتطرفون إرجاع مكوناته وبيئته إلى التوراة والإنجيل والبلاط الأموى - يعود للقرآن الكريم، والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، ومدرسة أهل البيت عليهم السلام.

فهذا الرجل - محمد بن إسحاق - الذى نشأ في بيت عرف بالموالاة لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وألتحق بمدرستهم في المدينة والكوفة، كان جاداً ومثابراً في حفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا؛ قادتنا الدراسة إلى البحث في حركة السيرة النبوية عند المسلمين، وعوامل تكون الوعي التاريخي لديهم، ومراحل تدوينها، وما واجهه التدوين من عقبات تمثلت بحرق بعض الخلفاء للصحائف التي دونت فيها سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته، وإقيام البعض الآخر بمحو هذه الصحائف، ومنع التحديث بها وروايتها، وفي المقابل شهدت مدرسة أهل البيت حركة واسعة وسريعة في التصنيف وتدوين العلوم، ولاسيما علم السيرة النبوية.

كما قادتنا الدراسة إلى: البحث في مراحل تطور علم السيرة النبوية، ونشوء المدارس الإسلامية التاريخية في المدينة والكوفة، والتوقف عند أساطين هذه المدارس الذين أسهموا في تطور علم السيرة في القرنين الأول والثاني للهجرة.

لنستقر أخيراً عند محمد بن إسحاق، ودوره في تطور علم السيرة النبوية، والبحث في منهجه في التصنيف، ودراسة العوامل التي مكنته من أن يكون شيخ كتاب السيرة النبوية؟!، وان يكون الذين جاءوا بعده عيالاً عليه.

وفى ذلك يقول سهيل زكار: (مهما تكن أهمية أعمال مثل الزهرى وموسى بن عقبة، فإن عمل مثل ابن إسحاق يبقى الأساسى فيما يتصل بالسيرة وإلى حدّ ما بالتاريخ - وتكمنُ أهميته كمؤرخ فى استيعابه لتجارب شيوخه، وفى تطويرها وإعادة تنظيمها من خلال فهمه الجديد للتاريخ، ومن خلال نظرتة الشاملة النابعة من ثقافته الواسعة وإدراكه للمغزى السياسى (للصورة التاريخية)، ومن هنا صار ابن إسحاق شيخ كتاب السيرة)⁽¹⁾.

وقد كشفت الدراسة عن:

الأسباب التى أدت إلى اضطهاده ومحاربتة فكريا واجتماعيا وعقائدياً، بل إلى نفيه من المدينة وهو شاب فى الخامسة والثلاثين من عمره!

كما كشفت الدراسة عن مواصلة الحرب على ابن إسحاق بعد وفاته، وإلى يومنا الحاضر، لتنتهى الدراسة بالوقوف عند سؤال مفاده: أمحمد بن إسحاق هو المحارب أم السيرة النبوية؟!.

السيد نبيل قدورى حسن الحسنى

فى يوم عيد الغدير الأغر

18 / ذى الحجة / 1429 هـ -

2008/12/19 م

ص:15

لكي نقف على ظهور علم التاريخ عند العرب واهتمامهم به؛ فلا بد من معرفة نشأته وعوامل تطوره، وكيف قام العرب المسلمون بعد ذلك من الاهتمام بالسيرة النبوية وتدوينها؟.

ثم لا بد لنا من معرفة الوعي التاريخي للمسلمين؛ وما هو دور القرآن والنبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى تحفيز هذا الوعي؛ ثم لا بد أن نقف عند أولئك الأوائل الذين كانوا مؤرخين ومدونين للسيرة؛ ونسلط الضوء على المؤثرات التى أحاطت بهم من أجواء سياسية وعقائدية واجتماعية وشخصية.

فمما لا شك فيه أن هذه الأجواء تركت آثارها على المؤرخ؛ إذ ليس من المنطقى أن يكون الإنسان الذى أخذ على عاتقه تدوين الحدث - أن يكون - بمعزل عنه، لاسيما وأن الإنسان العربى يتأثر بالأحداث التى يعاصرها إذا اقتضت الطبيعة القبلية على التأثر القبلى، كما هو واضح فى أشعارهم، فيفخرون بأمجاد آبائهم وقومهم وهو ما يعرف بالإحساب. ومما لا يخفى أن هذه الأجواء ما زالت إلى حد ليس بالقليل فى كثير من البلاد العربية موجودة، بل ونافذة فى تكوين الشخصية العربية.

وقد يرى البعض هذا الأمر من منظور سلبى بوصفه حساً جاهلياً وتمسكاً بما لا يغنى ولا يضمن من جوع مع سرعة التطور المدنى والحضارى؛ فى حين يراه

البعض الآخر ايجابيا، فهو يحافظ على القيم العربية التي تعد رصيذا ضخما، ومكونا أساسياً من مكونات الشخصية العربية.

والذى يهمننا فى البحث هو الوعي التاريخى، فهل كان المؤرخ العربى، - والإسلامى تحديدا - يعى الحدث حينما دونه لنا؟ أم هل كان بمعزل عن الأسباب والدوافع لهذا الحدث أو ذاك؟ ثم ما هو حجم تأثره بأجواء هذا الحدث؟.

ومن هنا: فنحن نجد أنفسنا حينما نقرأ التاريخ العربى الإسلامى نطبق نظرية كولينجود التى (اشتهرت مدة طويلة فى العالم الانجلو ساكسونى، تقول: إن التاريخ كله من صنع المؤرخ)(1).

والسبب فى ذلك يعود إلى أن الرواية التاريخية لم تخضع للنقد، أى لم يجر عليها من الضوابط ما وضع للحدث، وهو ما يعرف ب - (الجرح والتعديل).

ولذا:

«إذا عدنا إلى قواعد النقد (الجرح والتعديل) عند أصحاب الحديث، وقواعد الإيمان والاستحالة عند ابن خلدون، وإذا حللنا - لغويا ومعرفيا - المفاهيم الأصلية المستعملة عند المسلمين، من حديث وأثر وخبر وشهادة وعدالة، نصل إلى تصور متكامل للتاريخ كصناعة تخصص، ونصبح بذلك خبراء متخصصين فى ميدان معرفى متميز»(2).

هذا إذا كان الأمر يتعلق بصناعة التاريخ، وبروز رجال متخصصين فى ميدان النص التاريخى وما يحيط به.

ص:20

1- (1) مفهوم التاريخ، عبد الله العروى: ص 18.

2- (2) مفهوم التاريخ: ص 20.

لكن التاريخ الإسلامى لا يرتبط فقط بنقل الحدث من الماضى إلى الحاضر، وتسجيل سيرة المسلمين الأوائل؛ وإنما يعد الحدث الإسلامى مرتبطاً بعبقيرة المسلم، وصلاح دنياه وآخرته.

ولذلك: نجد أن أصحاب الحديث التزموا بضوابط وشروط معينة للراوى وأهملوا الحدث، والزمان، والمكان، الذى أحاط بهذا الراوى أو ذاك.

بل قد اعتمد كثير منهم على مذهب هذا الراوى أو ذاك، فانظر إلى مصطلحاتهم؛ (فيه ميل، زائغ مجاهر، غالباً فى التشيع، شيعى جلد، ولكنه صدوق فلنا صدقه... الخ) (1) وهذه الأخيرة هى الطامة الكبرى التى لحقت بكل من يروى حديثاً فى بنى هاشم ولا سيما شيخ كتاب السيرة محمد بن إسحاق - كما سيمر علينا بالتفصيل -.

ومن هنا: نجد أن هذا الحس ما زال مسيطراً على الكتّاب والباحثين إلى الآن، فكم من دراسة فى علم التاريخ لم يكلف الباحث نفسه فى الإشارة إلى مؤرخى المسلمين الشيعة على كثرتهم، حتى ولو من باب الإشارة فقط.

وهذا كاشف عن أن الدارس أو الباحث حينما يتحدث عن الوعى التاريخى ينحى فى حديثه، ويكتب منحنى النشأة والحركة للتاريخ، وليس من منطلق تطور البنية العقلية التى تعى التاريخ كأمة وحضارة ومستقبل.

فمن المؤرخين الشيعة نذكر:

1 - عقيل بن أبى طالب (رضوان الله تعالى عليه) الذى يعد كمؤرخ للبيوتات العربية وأنسائها، ولذا عد البعض من (أوائل النسابة المسلمين) (2).

ص: 21

1- (1) أنظر: «سير أعلام النبلاء - الذهبى، ترجمة (أبان بن تغلب): ج 1، ص 59.

2- (2) تاريخ التراث العربى، فؤاد سزكين: مج 2، ج 1، ص 30.

2- سليم بن قيس الهلالي، صاحب أول مؤلف في تاريخ الإسلام(1)، وقد عرف هذا الكتاب واشتهر بين الأوساط العلمية للمسلمين الشيعة، وعند بعض علماء العامة باسم (كتاب سليم بن قيس).

3- جابر بن يزيد الجعفي.

4- أبو مخنف (يحيى بن لوط).

5- عمر بن سعد بن أبي الصيد.

6- نصر بن مزاحم المنقري(2).

7- عباد بن يعقوب الرواجني (وهو أحد رواة البخاري).

8- عمرو بن شمر الجعفي.

9- ابن هلال الثقفي.

10- الكاتب الأسكافي(3).

وعليه: إذا أردنا أن نعي التاريخ الإسلامي فلا بد لنا من دراسة الحدث والمحدث والزمان والمكان والأسباب والأهداف والدوافع والعناصر المشاركة، والآثار المترتبة.

والأسيكتب علينا كأمة إسلامية أن نقى ندور فى الأحداث المأساوية التى أوجدتها أهواء الحكام، ونزعات الساسة، ومتزلفيهم الذين كتبوا لهم ما شاؤوا، ودونوا الأحداث حسبما رغبوا(4).

ص: 22

1- (1) كتاب سليم بن قيس: ص 12 من المقدمة، بتحقيق محمد باقر الأنصارى.

2- (2) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدورى: ص 33.

3- (3) المصدر السابق

4- (4) سيمر بيان ترجمة هؤلاء الأعلام فى مبحث تدوين السيرة النبوية فى القرن الأول للهجرة.

المبحث الأول: نشأة التاريخ عند العرب قبل الإسلام

المسألة الأولى: ما هو المقصود بلفظة «التاريخ»؟

وردت لفظة (التاريخ) في كتب اللغة بمعنى: الوقت.

قال ابن دريد: ورّخت الكتاب وأرخته، ومتى أرّخت كتابك، ورّخت أى متى كتب(1).

وقال ابن منظور: التاريخ والتورّيح: تعريف الوقت، أرّخت الكتاب ليوم كذا: وقّته(2).

وقال الجواليقي: إنّ اللفظة ليست عربية محضة وإنّ المسلمين أخذوها من أهل الكتاب(3).

وقيل: إنها عربية.

وقيل: (هى أكديّة وبابليّة ووردت بصيغة (أرخ) (Arah أرخا) (Arha) أرخو (Arhu) ورخو (Warhu) وتعنى (القمر) (الهلال) (الشهر) (أول الشهر)(4).

ص: 23

1- (1) جمهرة اللغة لابن دريد: ج 2، ص 266.

2- (2) لسان العرب لابن منظور: مادة أرخ.

3- (3) المعرب: باب التاء، ص 137.

4- (4) دراسة مصادر السيرة النبوية لسامى البدرى: ص 21.

كلمة «خير» التي استعملها العرب في صدر الإسلام لمعنى التاريخ لها في اللغات السامية قصة طويلة، منها معنى:

«الربط والتقيد؛ وفيها من خلال كلمة خير، معنى: البحث والفحص، ومعنى الأخبار أيضا.

وقد تأخرت كلمة تاريخ حتى ظهرت وفشت على الأقاليم الإسلامية؛ ولئن اضطرت تفاسير اللغويين لأصل هذه الكلمة، وشكوا في عروبتها حتى أعطوها أصلا فارسيا: (ماه روز) قالوا إنها حرفت عنه، والأرجح أن جذورها (ورخ) هو جذر سامي ولكنه مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية، وليس عن كلمة «يرج» أو «ياريج» العبرية، أو السريانية، كما وردت في الموسوعة الإسلامية، ومعناها الأول هناك هو القمر أو الشهر.

وإذا كانت كلمة تاريخ، تحمل في العربية منذ زمن بعيد خمسة من المعاني على الأقل هي:

1. سير الزمن والأحداث أي التطور التاريخي، تقابل كلمة (The History of ...) وتعنى ما يفهم من كلمة التاريخ الإسلامى أو تاريخ إيطاليا.

2. تاريخ الرجال أو ما يقابل (The Biography).

3. عملية التدوين التاريخي، أو التأريخ ووصف التطور وتحليله، وهي التي تقابل كلمة (Historiography).

4. علم التاريخ والمعرفة به، وكتب التاريخ وما فيها، وهو ما يقابل كلمة (The History) المفردة(1).

5. تحديد زمن الواقعة أو الحادث باليوم والشهر والسنة (The date).

إذا كان ذلك، فقد مرت هذه الكلمة بأطوار عدة، قبل أن تستقى فيها تلك المعاني، وتحملها في الإسلام(2).

ولذا: «فقد وضعوا - أى المختصون - للتاريخ تعاريف مختلفة ومتعددة، ونظروا له من زوايا مختلفة أيضاً، فهناك التصورات العامة للتاريخ، وهناك التصورات الدينية (كالزرادشتية، واليهودية، والإسلام، والمسيحية)، وهنا المعالجات المثالية للتاريخ والتي نشأت في القرن التاسع عشر وما بعده.. إلى غير ذلك».

لكننا نستخلص من جميع المعالجات والدراسات التي تناولت (التاريخ) بأننا نستطيع أن نضع للتاريخ ثلاثة تعاريف، وكل واحد منها يمثل جزءاً أو علماً من علوم التاريخ، وبين هذه العلوم تقوم علاقات وثيقة.

ألف: التاريخ

هو العلم بالأحداث، والوقائع، والأوضاع، وأحوال البشر الكائنة في زمن الماضي، هذه الوقائع والأحداث والأوضاع التي هي في الواقع أحداث يومية صارت جزءاً من التاريخ لمرور الزمن عليها.

ص:25

1- (1) قال الدوري: يمكن أن نضيف معنى سادساً استمر فترة حسنة خلال التاريخ الإسلامي، وكانت كلمة تاريخ تستعمل فيها بمعنى تراث القوم، وتمثيل الشرائع الأساسية فيهم وكانوا يقولون: فلان تاريخ قومه.

2- (2) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 49-51.

التاريخ بهذا المفهوم، هو العلم بالأحداث، والأوضاع الماضية، وأحوال الماضي، والكتابة والتأليف في مثل هذا النوع من التاريخ مشهور بين جميع الشعوب والأمم(1).

باء: التاريخ العلمي

وهو العلم بالقواعد والقوانين والسنن المهيمنة على الحياة الماضية، وهذا يأتي من دراسة الأحداث والوقائع الماضية وتحليلها وتشكل مسائل (التاريخ النقلي) المواد الأولية لهذا العلم.

هذا الجاذب من التاريخ العلمي، وإن كانت مواد الأولية ترتبط بالماضي، لكنه يستهدف اكتشاف القواعد والقوانين التي يمكن تعميمها على الحاضر والمستقبل. وهذا الهدف يجعل التاريخ مقيدا جدا، ويجعل منه مصدرا من مصادر المعرفة الإنسانية(2).

جيم: فلسفة التاريخ

إن التاريخ العلمي يرتبط بنوع آخر من التعاريف التي وضعت في مجال تفسير الحركة التاريخية، وكثيرا ما يحدث تداخل بين الاثنين.

ذلك هو ما يطلق عليه (فلسفة التاريخ).

إن «الفيلسوف» لا «المؤرخ» هو الذي «يجعل فلسفة التاريخ» موضوع تحدياته، ومع ذلك، فالفيلسوف يلتزم ويعتمد على ما يقوله، وما يقدمه «المؤرخ» عن التاريخ كشيء ملموس، كما يلتزم به كرواية أو حدث اجتماعي(3).

ص: 26

1- (1) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 21.

2- (2) المصدر السابق: ص 30.

3- (3) المصدر السابق: ص 35.

(1)

وقالوا أيضا: «إن التاريخ هو الماضي الحاضر، أى: أن مجموع عوارض الماضي حاضره بأخبارها (آثارها)، وفحص تلك الأخبار عملية تنجز دائما فى الحاضر والتاريخ حاضر بمعنيين: 1 - بشواهد. 2 - وفى ذهن المؤرخ.

كثيرا ما تقرأ: لابد من مقارنة الماضي بالحاضر، والحاضر بالماضى، ولا نتعجب، نستخلص منها: أن معرفة الماضي دائما نسبية، إذ تستجيب لمتطلبات الوضع القائم، وأنها دائما عملية إذ تجيب عن أسئلة حالية.

لكن المقولة التى نحن بصددتها تذهب أبعد من هذا، معناها، أن الماضي التاريخى هو عالم ذهنى، يستتبط فى كل لحظة من الآثار القائمة.

أوبعبارة أخرى: موضوع التاريخ هو الماضي الذى هو حاضر، المقصود هنا ليس تمام الماضي، وإنما الماضي التاريخى، أو ما سميناه بالتاريخ المحفوظ؛ فهل يمكن أن يكون غير حاضر فى الذهن، فى الكلام، فى الأشياء... الخ؟

ينتج عن هذا التحليل: أن الكلام على أحوال الماضي هو نوع من المشاهدة، إذ لم يبق من الماضي إلا الأخبار الدالة عليه والمعاصرة لنا؛ إن التاريخ هو مجال الاستنباط، إذ المؤرخ يحمل فى ذهنه كل الأخبار عن الماضي المحفوظ فيستطيع أن يقارن بينها ويستخلص منها قوانين وعبر، خلاصة بديهية قال بها جل المؤرخين القدامى الذين جعلوا من التاريخ مدرسة أخلاق وسياسة»(2).

ص: 27

1- (1) مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص 38.

2- (2) مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص 38 و 39.

إذن: موضوع التاريخ هو استخلاص القوانين والعبر من الأحداث وآثار الماضي، وهو بهذا يكون - أى التاريخ - مدرسة الأخلاق والسياسة.

المسألة الرابعة: علم التاريخ عند العرب

فى خضم هذه التعريفات حول التاريخ، من حيث الاصطلاح والمعنى العام، والخاص، والمفهوم، والحركة التاريخية، كيف هو علم التاريخ عند العرب؟.

«يكون علم التاريخ عند العرب جزءاً من التطور الثقافى العام، وصلته بعلم الحديث والأدب بصورة خاصة وثيقة، وتستحق اهتماماً خاصاً، ثم إن ظهور الإسلام، وتكوين الإمبراطورية، والتصادم بين الآراء والتيارات الحضارية، وتطور الأمة وخبراتها، هذه كلها حيوية لفهم التطورات الأولى للكتابة التاريخية.

ومع أن علم التاريخ عند العرب ظهر فى صدر الإسلام، إلا أن الاستمرار الثقافى يوجب الالتفات إلى تراث ما قبل الإسلام»⁽¹⁾.

«وقد بدأت كلمة التاريخ مسيرتها أولاً بمعنى التوقيم والتوقيت فى صدر الإسلام الأول، وبعد أن استعملت الكلمة فترة من الوقت بهذا المعنى، كسبت معنى آخر هو تسجيل الأحداث على أساس الزمن.

وكان يقوم مقامها فى معنى هذه العملية التاريخية: كلمة خبر، وأخبار، وأخبارى، ثم بدأت كلمة تاريخ تحل بالتدريج محل كلمة خبر، وأخذت تطلق على عملية التدوين التاريخى، وعلى حفظ الأخبار بشكل متسلسل متصل الزمن والموضوع، للدلالة على هذا النوع الجديد من التطور فى الخبر والعملية الإخبارية.

وكان ذلك على ما يبدو منذ أواسط القرن الثانى الهجرى، فما أطل القرن الثالث حتى صارت كلمة التاريخ تطلق على العلم بأحداث التاريخ وأخباره،

ص: 28

1- (1) نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدورى: ص 13.

وبأخبار الرجال، وعلى الكتب التي تحوى ذلك، وحلت نهائيا محل كلمة الخبر والإخبارى اللتين انحطت قيمتهما العلمية قبل أن تختفيا من الاستعمال فى القرن الرابع⁽¹⁾.

«ولعله من الهام أن نلاحظ أن أقدم المؤلفات التي حملت اسم التاريخ كانت كتب أحداث لا تراجم بخلاف الرأى الذى ذكره روزنتال فى هذا الصدد.

فقد كتب عوانة بن الحكم الأخبارى الكوفى (توفى سنة 147 هـ -) 765 أو 758 كتابا بعنوانه: كتاب التاريخ، يتناول أحداث التاريخ الإسلامى فى القرن الأول الهجرى، وهو أول كتاب نعرفه يحمل اسم هذا العلم فى الإسلام.

ثم كتب هشام بن محمد بن السائب الكلبى (توفى سنة 204 هـ -) 819 أيضا كتاب التاريخ وكتابا بعنوان أخبار الخلفاء، وكتب فى الوقت نفسه الهيثم بن عدى (توفى سنة 206 هـ -) 821 كتاب التاريخ على السنين، وكتاب تاريخ الأشراف الكبير، واستقرت من بعد ذلك التسمية، وانتشرت واحتلت عناوين العشرات من الكتب فى القرن الثالث للهجرة، ويبدو أن كتب التراجم حملت بدورها عنوان التاريخ فى تلك الفترة مع أن بعضها كان يدعى من قبل بالطبقات.

وبالرغم من أن هذه التسمية الأخيرة استمرت وانتشرت إلا أن تسمية محمد بن اسماعيل البخارى (توفى سنة 256 هـ -) لكتابه عن رجال الحديث باسم (التاريخ) تمثل مزجا نهائيا ما بين علم التراجم والأحداث فى علم واحد⁽²⁾.

ص: 29

1- (1) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 51.

2- (2) المصدر السابق: ص 52.

إلا أن هذا التطور في علم التاريخ عند العرب قبل الإسلام لم يأت من فراغ أو هو محض صدفة، وإنما كان له جذوره التي نمت منها أغصانه، وتهدلت عليه أوراقه.

هذه الجذور تمثلت من موقع مكة الديني؛ فهي محل بيت الله الحرام الذي أقامه إبراهيم الخليل (عليه السلام)، مما جعله يضافى بقدسيته على الديانتين اليهودية والمسيحية على الرغم من تمسكهم ببيت المقدس وأنه قبلتهم.

فضلا عن اهتمام القبائل العربية بالبيت الحرام، وإن كانت على وثنيته، ناهيك عن الدور المتميز الذي لعبته التجارة في التواصل فيما بين الحضارتين التي نشأت في الجنوب والشمال.

قال الدكتور عبد العزيز الدوري: «في جنوب الجزيرة، تشير الكتابات والنقوش إلى ظهور أربع ممالك خلال المدة ما بين عامي 1200 ق. م. و 527 م. وقد سارت هذه الممالك في تطورها في اتجاهات متماثلة، فهي تبدأ بثيوقراطية يحكمها أمير كاهن أو (مكزّب)، يمارس السلطتين الدينية والزمنية، ثم تتدرج إلى ملكية دنيوية تسود فيها بعض الأسر من المحاربين والملاكين.

وقد خلّفت هذه الممالك - حسب معلوماتنا الآن - كتابات تتراوح تواريخها بين القرن الثامن قبل الميلاد والقرن السابع الميلادي، وتسجل تلك الكتابات الفعاليات المختلفة، مثل أعمال البر والتقوى، وتقديم الجزية، ومشاريع الري، وإنشاء الأسوار والتحصينات والحملات العسكرية»⁽¹⁾.

ص: 30

1- (1) نشأة علم التاريخ عند العرب لعبد العزيز الدوري: ص 13.

«ومع أن بعض هذه الكتابات دينية في طبيعتها، إلا أن بعضها الآخر في الأساس تسجيل للفعاليات البشرية، وتخليد للأعمال الهامة. ونجد فيها في البدء طريقة مشوشة لتأريخ الحوادث، إلا أن تقويماً ثابتاً أدخل في ما بعد يبدأ بسنة 115 ق. م. مما أدى إلى نظام ثابت للتأريخ. هذا التطور مع تسجيل الأعمال البشرية قد يوحي بوجود شيء من الفكرة التاريخية»⁽¹⁾.

«أما في شمال الجزيرة، فقد كان لدى المناذرة (كتب) تحوى أخبار عرب الحيرة وأنسابهم وسير أمرانهم، وكانت هذه محفوظة في كنانس الحيرة، كما أنهم كانوا يعرفون كثيراً من الأخبار الفارسية، وقد استفاد بعض المؤرخين في ما بعد من هذه الكتب والأخبار في تأليفهم، ولكننا لا نجد ما يشير إلى أن عرب الحيرة كانت لديهم فكرة تاريخية واضحة.

أما عرب الشمال، فقد كانت لهم روايات شفوية من قصص عن آلهتهم، وروايات عن شؤونهم الاجتماعية ومآثرهم، ويبدو جلّ تلك الروايات حول غزواتهم ومعاركهم (الأيام) وحول أنسابهم، وهي تتصل بالتنظيم الاجتماعي وبالأراء والمثل الاجتماعية، وفي طبيعتها المروءة، أو مجموعة الفضائل البدوية، وفكرة النسب، أو شرف الأصل، وفكرة الحسب، أو نبيل الأعمال والمآثر. إذ يلزم الأفراد أن يعرفوا آباءهم والمآثر التي قاموا بها، كما أن (الأيام) تجد عناية خاصة في المجتمع القبلي.

وهكذا كان لدى القبائل قصص وأخبار عن أعمالها. وكانت الروايات القبلية هذه تتداول شفهايا؛ وبصورة ثرية؛ ولكن الشعر يلعب دوراً أساسياً في الرواية الشفهية، يتخلل القصة، أو يرد في نهايتها حسب دور الشاعر، إذا شارك في

ص:31

الحوادث أو لم يشارك. وهذا الشعر لا يسير بالقصة، ولكنه يعطيها حيوية وتأثيراً.

وبمرور الزمن أصبح الوثيقة التي تعزز صحة القصة. يقول ابن فارس: (الشعر ديوان العرب، وبه حفظت الأنساب وعرضت المآثر، ومنه تعلّمت اللغة...) وقد نشأت قصص (الأيام) في المجالس القبلية المسائية.

وكانت قصص (الأيام) مجموعة روايات شفوية قبلية جماعية، وهي ملك مشترك للقبيلة، وبقيت كذلك حتى القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي، حين جمعت هذه الروايات وصنفت⁽¹⁾.

وعليه: يمكن أن نستنتج من ذلك:

أ - «أن المادة التاريخية الجاهلية نوعان: بعضها قصص ديني وثني، أو يهودي، أو مسيحي، نقله الأخبار والرهبان معهم؛ أو أخبار من التاريخ الفارسي، كالذي جلس يرويه الحارث بن كلدة لقريش منافسة منه للنبي في القرآن، وما يحظى من أخبار الأولين، ونجد شيئاً من أصداء هذه المعارف ولاسيما ما يتعلق بأهل الكتاب في القرآن الكريم.

وأما النوع الآخر فروايات جماعية، بدوية المنشأ تروى النزاع القبلي، وتحمل اسم (الأيام)، وتضم ذكريات التاريخ البدوي للقبائل. وبالرغم من أن هذه الأشكال من القصص ذات جذور تاريخية إلا أن صلتها بالتاريخ بالمعنى المعروف للكلمة صلة بعيدة. أنها قصص مرسل مقطوع الصلة بالزمن، أو يحمل فكرة جد غامضة عنه، ويقدم بروايات مسجلة هي بين الأسطورة والواقعة التاريخية⁽²⁾.

ب - «وأما الأنساب فهي سلاسل أسماء تدعو لها الحاجة الاجتماعية القبلية للتعرف والتمايز. انها كالأعمدة تنسج من حولها بعض القصص الذي يحفظ تكوينها، هي في الواقع: التاريخ الاثروبولوجي التقليدي والهيكل العظمى للفكرة التاريخية.

ص:32

1- (1) نشأة علم التاريخ للدوري: ص 15 و 16.

2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 54

وبالرغم من أنها أكثر تاريخية من القصص باعتبارها شكلا من أشكال التعبير التاريخي يسجل إطار التكون القبلي إلا أن المعلومات النسبية الجاهلية بقيت شفوية فترة طويلة بعد الإسلام، وتحول شكلها المسجل لدينا من بعد شكوك كثيرة، منها أنها تقسم العرب أفقيا تقسيما ثلاثيا أو ثنائيا، (عارية، ومستعربة، وياندة)، ثم تقسمهم شاقوليا إلى أقسام منفصلة، بمعنى أن العرب ليسوا شعبا واحدا، ولكنهم تركيب مزجى استمر خلال العصور الطويلة محتفظا بعناصره المكونة دون تفاعل أو امتزاج، وهو إن صح في بعض القبائل البدوية المنعزلة فليس يصح لعرب الجنوب الذين قضوا في حياة الاستقرار حوالي عشرين قرنا قبل الإسلام ولا لعرب الشام أو الحيرة»⁽¹⁾.

«وكان للأنساب عند عرب الجاهلية وصدر الإسلام المكانة الأولى بين اهتماماتهم التاريخية، ولم تذكر للأسف أسماء الكتب المتداولة في العصر الجاهلي.

كما لم يخبّ اهتمام العرب بالعصر الجاهلي مع الإسلام الذي أوجد اتجاهات جديدة في الاهتمام بالتاريخ، فكثير من الصحابة المرموقين امتازوا بأنهم نسابون، وعد كثير من قدامى التابعين الذين ألقوا كتبنا في المغازي والفتوح نسابين عظاما»⁽²⁾.

ص: 33

1- (1) المصدر السابق: ص 55.

2- (2) تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين: مج 1، ج 2، ص 27.

«وقد انتقلت الأنساب بالرواية عبر القرن الإسلامي الأول إلى عصر التسجيل، في القرن الثاني. ولم يضعف اهتمام العرب بها كثيراً رغم استقرارهم الحضري، لأنها ركبت السياسة أو أن السياسة ركبها فأخذ النسب شكل النزاع القائم، وكان قناعاً للأطماع وتنازع النفوذ والتنافس في الرزق والمركز.

إلا أن الأنساب حين سجلت لم تحمل معها كثيراً من المادة التاريخية، وظلت حتى في القرون التالية، وحتى القرن السابع وما بعده علماً مستقلاً يرفد التاريخ لكن لا يندمج فيه، وهذا يعني أن النسب لم يسهم إلا قليلاً في إيجاد الأدب التاريخي، وفي تكوين صورة التاريخ الإسلامي. وهذا التاريخ لم يرقم بالاعتماد عليه ولكن بالاعتماد على أسس وعوامل أخرى» (1).

كان من أهمها الإسلام الذي أعطى صورة جديدة ونوعية لحركة التاريخ عند العرب. إلا أننا قبل أن ندخل في خضم دور الإسلام في تطور الحركة التاريخية عند العرب، نشير إلى بعض رواد علم الأنساب عند العرب قبل الإسلام وبعده؛ والذي كان لهم الدور المميز في نشوء حركة التدوين.

1 - جبير بن مطعم: (هو أبو عُلَي جبير بن مطعم بن عدى، القرشي، أحد مشاهير علماء الأنساب عند العرب، كان قد أسلم قبل فتح مكة وكلفه عمر بن الخطاب أن يدون بالاشتراك مع عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل ثبتاً بأنساب العرب.

أخذ النسب في رأي الزبير بن بكار عن أبي بكر، وعن جبير أخذ تلميذه سعيد بن المسيب المتوفى 94 هـ - وابناه محمد ونافع من بعده، وعنه نقلت معلومات في الأنساب؛ وتوفى سنة 59 هـ - / 679 م (2).

ص: 34

1- (1) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 56.

2- (2) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 29.

2 - عقيل بن أبي طالب (رضى الله عنه): «هو أبو يزيد، عقيل بن أبي طالب الهاشمي، وهو أخو علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأسن منه، برز اسمه في الجاهلية - واكتسب مكانات بين قريش؛ لأنه كان أحد الذين يتحاكم الناس إليهم في المناقرات -.

وعقيل هو أخو الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأسن منه، وكان الناس يأخذون عنه الأنساب في مسجد المدينة، وكان يحكى لهم عن أيام قريش ومثاليها.

وكان أحد ثلاثة علماء قاموا بتدوين أنساب العرب، وتوفي مكفوف البصر سنة 60 هـ - / 680 م (1).

3 - مَخْرَمَة: «هو أبو صفوان، مخرمة بن نُوْفَل بن أهيب الزهري القرشي، ولد قبل الهجرة بستين عاما تقريبا، أسلم بعد فتح مكة وكان يعد من كبار التابعين ورواة الشعر العربي القديم من بين المخضرمين.

كلفه عمر بن الخطاب أن يسهم مع عالمين آخرين في إعداد ثبت بأنساب العرب، كان من بين من وضعوا حدود المنطقة الحرام في مكة، وكف بصره في خلافة عثمان وتوفي سنة 54 هـ - / 764 م (2).

وقد برز غير واحد من علماء الأنساب في العصر الأموي، ففضلاً عما ذكر «فقد عرف كل من:

1 - الأقرع بن حابس التميمي: كان من سادات العرب في الجاهلية حكما مرموق المكانة أسلم وشهد فتح مكة، ووصف بأنه كان عالم العرب في زمانه.

ص:35

1- (1) المصدر نفسه: مج 1، ج 2، ص 30.

2- (2) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 31.

- 2 - عبيد بن شريّة (أو: عُبيد) الجرهمي، عاش في الجاهلية والإسلام ويقال: إنه عمّر طويلاً إلى أن أدرك حكم معاوية، وكان راوية الأعشر.
- 3 - صحار بن العباس، أبو عتيّاش بن شراحيل العبدي من بني عبد القيس، كان صحابياً ومن أنصار عثمان، وشهد معركة صفين في صفوف معاوية.
- 4 - خويطب بن عبدالعزيز بن أبي قيس، هو أحد أربعة قرشيين كانوا علماء بالشعر والأخبار والأنساب، أسلم بعد فتح مكة.
- 5 - زياد بن أبيه بن سمية ألقبه معاوية بأبيه أبي سفيان، وقد خالف في ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر».
- 6 - النخّار بن أوس، كان خطيباً ونسابة، وهو في رأى ابن الكلبي أعظم علماء العرب في الأنساب.
- 7 - أبو كلاب، كان من أفضل النسابين ولد في الجاهلية وأدرك الإسلام.
- 8 - أبو جهم، عامر أو عمير بن حذيفة، أسلم عام الفتح.
- 9 - ابن الكواء، عبد الله بن عمرو بن الكواء البشكري، كان من زعماء الخوارج «توفي عام 80 هـ».
- 10 - مشجور بن غيلان، أصله من البصرة كان خطيباً وعالماً بالأنساب.
- 11 - ابن الكيس، زيد بن الكيس النحري، يرجح أنه عاش في صدر الإسلام.
- 12 - دغفل بن حنظلة بن الشيباني، نسبة العرب ضرب به المثل في معرفة الأنساب.
- 13 - علافة، - بكسر العين أو بفتحةها - بن كرسم الكلابي.

14 - حُبيّب بن عبد الله بن الزبير الأسدي، أكبر أبناء عبد الله بن الزبير.

15 - مُقاتِل الأَصول بن سنان بن مرشد.

16 - المسمعي، عامر بن عبد الملك المسمعي.

وقد برز جميع هؤلاء كعلماء للأنساب في العصر الأموي»(1).

أما مَنْ برز في العصر العباسي من رجال هذا العلم الذي يعد النواة لظهور علم التاريخ وأحد أهم العوامل في نشوئه وحركته وتدوينه، «فمنهم ما يلي:

1 - خالد بن طليق: وهو أقدم علماء الأنساب في العصر العباسي، كان قاضياً على البصرة من قبل المهدي العباسي سنة 166 هـ - 782 م، وذكر له ابن النديم الكتب التالية:

أ - كتاب المآثر.

ب - كتاب المتزوجات.

ج - المناظرات.

د - البرهان.

2 - أبو اليقظان (سُحيم): كان أحد كبار العلماء بتاريخ الجاهلية.

3 - الضحّاك بن عُثمان القرشي: علامة المدينة المنورة بأخبار العرب وأيامها وأشعارها.

4 - لقيط المحاربي الكوفي: كان زاهداً عالماً بالأنساب وأخبار العرب وأشعارها.

ص: 37

1- (1) انظر في ترجمة هؤلاء: تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين: مج 1، ج 2، ص 31-43.

5- أبو البختری: وهب بن وهب بن كبر، قرشي ولد بالمدينة، كان محدثاً ضعيفاً لا يوثق به، ولكنه كان من العلماء بالأنساب والأخبار.

6- إبراهيم بن موسى بن صديق: كان عالماً بالشعر وتاريخ العرب.

7- عمارة بن القداح (أبو محمد عبد الله بن محمد بن القداح): كان من كبار علماء الأنساب في عصره، ومن تلاميذه مصعب الزبيري، وابن سعد، وعمر بن شبة.

8- ابن السائب الكلبي (أبو المنذر، هشام بن محمد): ولد في الكوفة وتوفي بها سنة 204 هـ - 819 م، ورث الاهتمام بتاريخ العرب القديم عن والده الذي يرجع إليه الفضل في جزء من معارفه في هذا الميدان.

شغل بموضوعات مختلفة من التاريخ العربي القديم، وكان يفيد في تاريخ الفرس من الكتب المترجمة عن الفارسية. وقد استخدم في تاريخه للأمويين كتباً كثيرة؛ وقد أفاد من نقوش كنانس الحيرة للتعرف على تاريخ اللخمين.

9- علان الشعوبي الوراق: كان نسبة ذا اهتمام خاص بمثالب العرب.

10- مصعب الزبيري: كان يعد نفسه عالماً بالأنساب ومحدثاً.

11- الهيثم بن عدي: كان مؤرخاً عالماً بالأنساب وأديباً⁽¹⁾.

فهؤلاء وغيرهم كانوا ممن أسهموا في نشأة علم التاريخ عند العرب وتطويره، وقد تأثروا بشكل كبير بالإسلام كأحد أهم العوامل الفعالة في حركة التاريخ وتطوره، وهو ما سنتناوله في المبحث التالي.

ص:38

1- (1) انظر في ترجمة هؤلاء وغيرهم ممن برزوا في العصر الأموي كعلماء للأنساب والتاريخ: (تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 45-58).

بعد أن أخذت حركة التاريخ عند العرب شكلها الذي مرّ بيانه - والذي هو عبارة عن ذكر أحوال الماضين في الأندية المكية بأسلوب قصصى عرف باسم (الأيام)؛ يضاف إليه اهتمامهم بالأنساب وتفاخرهم بها، مع ما أفضته ثقافة أهل الجنوب والشمال على هذه الحركة للتاريخ - جاء الإسلام ممثلاً بالقرآن ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما ورد عنهما من مفاهيم حديثة وبخاصة بالتاريخ وحركته ودوره وعلاقته بالإنسان والطبيعة والعقيدة، فأعطى منهجاً جديداً لهذا العلم ودفعاً حيويًا وفعالاً للحركة التاريخية عند العرب ولاسيما أهل مكة.

ويمكن فهم دور القرآن في حركة التاريخ وتطوره من خلال المسائل الآتية:

المسألة الأولى: نظرة القرآن إلى الماضي

لقد جاء القرآن «بنظرة جدية إلى الماضي، وأشار إلى أن ذكريات العرب الماضية محدودة، وعاد إلى بدء الخليقة. وأكد القرآن على أمثلة التاريخ الغابر وعظاته، وذكر حوادث الأمم والشعوب السالفة؛ للتأكيد على العبر الدينية والخلقية التي تنطوي عليها»⁽¹⁾. وقد تحدث القرآن كثيراً عن أساطير الأولين، ولا يعني ذلك الأسطورة الخرافية ولكن ما هو مسطور مكتوب لدى الناس، أى ليس بجديد ولكنه مؤرخ معروف من قبل، وهذا يعني أن الجاهليين قد أدركوا ما فى القرآن من صلة مع الفكر الدينى السابق، وما يملأ الجو القرآنى بوضوح منه وأنه يروى قصصاً وأموراً تاريخية لها كتبها وذكرها المسطور.

ص:39

كما أن القرآن استطاع أن ينتزع العرب من الإطار القبلي، ومن الجو الوثني ولهذا استخف بالأنساب وبخصص الأيام ويمثل الجاهلية وبدلهم منها جوا ثقافيا آخر ربطهم بسلسلة التاريخ الوجداني للبشرية، أى أعطاهم بعدا زمنيا جديدا قوامه التاريخ الماضى كله، من خلال سلسلة الأنبياء عليهم السلام المتعدية منذ مبدأ الخلق»(1).

ولذا: «نجد القرآن الكريم قد دعا إلى التفكير فى أحداث التاريخ، «من خلال استعمال المشاهدة، وتحكيم العقل معا، لتكوين العقيدة، فدعم المدركات العقلية بالشواهد الحسّية، ودعا إلى استكشاف أسرار الخليقة، ومعرفة سنن الاجتماع الإنسانى فى التطور، وتدبر أحداث الكون.

فالقرآن يعرض صور الحياة، وأحداثها التى جرت على الأمم السابقة، ويستخلص منها العبر والحكم ويحذّر الناس أن يقعوا فيما وقعت فيه تلك الأمم، من طغيان مالى، أو استبداد سياسى، وتكذيب وجود، وعصيان وفسوق، فحاق بهم العذاب»(2).

المسألة الثانية: عالمية التاريخ فى القرآن الكريم

من المفاهيم التى جاء بها القرآن الكريم، والمتعلقة بنظرته للتاريخ هو مفهوم العالمية، وهذا يعنى أن القرآن لم يجعل العرب كأمة محصورة ضمن حدودها الجغرافية، والتى يكون لها ماضيها المحصور فى قصص الأيام وبيوت القبيلة، بل نقلهم إلى حضارات متعددة وأطلعهم على ثقافات متنوعة.

ص:40

1- (1) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 58.

2- (2) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 53 و 54.

ثم أنه لم يكتف بذلك بل أراد منهم أن يتصدوا لزيادة المناصب المتقدمة في صياغة حضارات الأمم السابقة وتطويرها ودفعها، وهو ما عبر عنه القرآن الكريم بموقع الشهودية والوسيطه التي رجح إليها في التزود بعوامل الرقي والتقدم، والبناء الإنساني والمجتمعاتي.

أ. قال تعالى:

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَ يُكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) 1.

هذه العالمية للتاريخ التي جاء بها القرآن انعكست على نمط كثير من المسلمين وسلوكياتهم في اكتسابهم العلوم وحركتهم العالمية فيما بعد.

لكن الحافز والدافع لريادة هذا الموقع العالمي كان من خلال نظرة القرآن لعالمية التاريخ وربط أمة الإسلام بجميع الحضارات السابقة.

وقد تمثلت هذه النظرة القرآنية إلى عالمية التاريخ من خلال توالي النبؤات من آدم عليه السلام إلى الحبيب المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وعرضه لسير هذه النبؤات من خلال منهجين أساسيين ومؤثرين على النفس الإنسانية وهما؛ القصص والأمثال.

فأما القصص: (فإن العروض القرآنية للتاريخ وهي تحدثنا عن مواقف الأفراد والجماعات إزاء عدد من الأحداث والقيم التاريخية والتي قد يمتد بعضها إلى خلق آدم. ويصل بعضها الآخر إلى عدد من التجارب التي مارسها أفراد عاديون سلباً أو إيجاباً أو نفذها قادة وملوك وزعماء كبار، يتضح ذلك بالوقائع الخاصة بفرعون وقارون وذى القرنين وأصحاب الفيل، مروراً بسلسلة الأنبياء الطويلة التي

ص: 41

بعثت - كل ذلك - لكي تجدد الحوار الموعود، منذ عهد آدم بين السماء والأرض، وتسعى بأقوامها إلى صياغة حركة التاريخ بما ينسجم ومركز الإنسان في الكون.

إن القرآن يبين لنا في حشد آخر من الآيات الهدف من إيراد القصص، والعروض التاريخية، وهو الهدف نفسه الذي يمكن أن يتمخض عن أى مطالعة جدية ملتزمة لحركة التاريخ(1).

ب. «وعلى الرغم من أن الغرض - من القصص - هو الموعظة والاعتبار.

(أَفَلَمْ يَرَوْا) (هَدَى اللَّهُ وَمَا).

إلا أن الرغبة في معرفة تفاصيل ما أجمله القرآن الكريم من ذلك القصص؛ فتحت بابا من أبواب المعرفة الدينية دخل منه التاريخ، ودخل كرديف ديني شرعي لعمليات التفسير القرآني، وإذا كان كثيرٌ من الإسرائيليات قد دخلت من هذا الطريق إلى التاريخ الإسلامي، كما دخله كثيرٌ من الأخبار القبلية والأجنبية، فأهم من ذلك أن القرآن الكريم منح بذلك نظرة جديدة إلى الماضي، كرسه كأساس فكري للعقيدة(2).

(إن قصص الأنبياء عليهم السلام من أهم العوامل النفسية التي لجأ إليها القرآن، في الجدل مع مخالفيه، والتبشير برضوان الله، والتحذير من معصيته، وفي شرح مبادئ الدعوة الإسلامية وأهدافها، وفي تثبيت قلب من اتبع النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم. كما أن الغاية من قصص الأنبياء عليهم السلام أن الدين كله من عند الله من عهد نوح إلى عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأن المؤمنين يرسل الله كلهم أمة واحدة والله الواحد رب الجميع(3).

ص:42

1- (1) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 73.

2- (2) التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 60.

3- (3) النظرية القرآنية لحسن سلمان: ص 74، نقلا عن: مع الأنبياء في القرآن لعفيف عبد الفتاح: ص 24.

بمعنى: أن القرآن نقل التاريخ من محله المحصور ضمن رقعة جغرافية محدودة إلى حضارات نشأة على مواقع متعددة وفي أزمنة مختلفة، بل: كانت هذه النظرة القرآنية أوسع وأعمق من ذلك حينما نقل الإنسان خارج حدود الزمان والمكان، فربطه بالكون وعواقب الأفعال وتحكم السنن.

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) 1.

وهو ما دلّ عليه كثير من الآيات القرآنية. قال تعالى:

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) 2.

(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا) 3.

(فَأَقْصِي الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) 4.

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) 5.

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) 6.

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ) 7.

ص: 43

(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَ مُوعِظَةً وَ ذِكْرًا لِلْمُؤْمِنِينَ)1.

أما منهج الأمثال الذي جاء به القرآن الكريم للتعبير عن نظرتة العالمية للتاريخ فقد جعل منها مادة خصبة لنمو الحركة التاريخية، وشموليتها العالمية منذ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم من جانب، ومن جانب آخر دفع الفكر الإنساني إلى أثر هذه الحركة العالمية للتاريخ في رسم المستقبل القريب والبعيد للأمة الإنسانية ولاسيما المسلمة بوصفها (خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)2.

كما أن هذا المنهج القرآني أعطى بنية جديدة لحركة الإنسان في الحياة الدنيوية والأخروية، من خلال تحريك البنية العقلية، ودفعها نحو التفاعل مع القنوات المعرفية، أى ربط الإنسان بكل ما يدور من حوله، كي يرسم حياة كريمة مفعمة بالخير والسلام.

يقول السيد العلامة الطباطبائي: (تصريف الأمثال ردها وتكرارها وتحويلها من بيان إلى بيان ومن أسلوب إلى أسلوب - غاية ذلك - أن يوضح لهم سبيل الحق، ويمهد لهم طريق الإيمان والشكر)3.

قال تعالى:

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)4.

ص:44

1- (3) تفسير الميزان لمحمد حسين الطباطبائي: ج 13، ص 202.

بل يظهر القرآن الكريم انحصار من لا- يعتبر بهذا النهج القرآني، وهم الكفار فيتحولون من المحور العالمي إلى المحور الفردي المتوقع والمهم، من خلال تغليب الجهل على العقل وحججه وعزله عن التفكير في هذه المناهل المعرفية، الممثلة بالأدلة والحجج التي ضمها منهج القرآن عند إيراده الأمثال.

فيعطى صورة واضحة الملامح لمستقبل هؤلاء وترديهم وانحطاطهم، حينما يتولد عندهم النفور من هذه الحضارة القرآنية، وهذا النهج التعليمي لاكتساب العلوم.

المسألة الثالثة: كيف ينظر القرآن إلى السنن التاريخية ؟ وما علاقة الإنسان بها؟

أولاً: حقيقة سريان السنن التاريخية في الأمم

لا تختلف العلوم التطبيقية من الإنسانية في الوجود الحياتي، هذا الوجود الذي نشأ وتبلور فيه النهوض على السنن والقوانين الخاصة بتلك العلوم سواء كانت رياضية أو منطقية أو مجردة عن الحس الوجداني كونها مادة؛ أو تلك العلوم التي اختلج في مكوناتها الوجودية الحس الوجداني الإنساني فاقترن بقاؤها ببقاء الإنسان.

والقرآن الكريم حينما يدعو العقل البشري إلى النظر والتأمل والتفكير في خلق السموات والأرض والآفاق، وما تشابك في قيامها من سنن وقوانين فيزيائية ورياضية وغيرها، هو في نفس الوقت يدعو إلى النظر والتفكير في نفسه وخلقها وما ارتبط بينه وبين العوالم السماوية والأرضية بسنن وقوانين كان المؤثر الأكبر في تحريكها عمل الإنسان بشقيه الخير والشر.

بمعنى أن هذا العمل محكوم بسنن كونية قائمة في الحياة لا تتعدى أحدا من البشر، حالها حال السنن الفيزيائية والمنطقية الرياضية، وهو ما قدمه القرآن ضمن عنوان السنن التاريخية. قال تعالى:

(قَدْ خَلَّطْنَا مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) 1.

وقال سبحانه:

(فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّطْنَا فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) 2.

وقال عز وجل:

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) 3.

وقال عز شأنه:

(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) 4.

وغيرها من الآيات التي أظهرت آثار السنن التاريخية في مسيرة الحياة الإنسانية.

ص: 46

ولقد تبلورت الفكرة القرآنية للسنن التاريخية في عدد كثير من الآيات والمقاطع القرآنية بأشكال مختلفة، وصور متعددة، وألسنة متباينة.

ففي بعض هذه الآيات أعطيت الفكرة بشكلها وصياغتها الكلية؛ فيأتي التعبير القرآني حول الفكرة مجملًا عامًا، وفي بعض الآيات الأخرى أعطيت الفكرة القرآنية على مستوى التطبيق على المصاديق والنماذج، وفي بعضها الآخر وقع الحث على الاستقراء، والفحص الاستقرائي، والتتبع العلمي للشواهد التاريخية من أجل الوصول إلى القانون التاريخي⁽¹⁾.

فكان من بين بنود هذا القانون التاريخي في القرآن هو عاقبة سلوك التجمعات البشرية التي عبر عنها القرآن ب - (الأمّة) أو (الأمم) التي كانت قبل أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

والغرض في هذا العرض القرآني لعاقبة المجتمعات السابقة هو الغرض الإرشادي، بمعنى أن الأفعال الجماعية والصفات الغالبة على بعض المجتمعات كقتل الأنبياء عليهم السلام، وتكذيبهم كما في بنى إسرائيل؛ واكتفاء الرجال بالرجال كما في قوم لوط، والإعراض عن الدعوة وعدم الاستجابة للنذير كما في قوم نوح عليه السلام؛ ونكران الخليفة والوصى وإتباع السامري كما في قوم موسى عليه السلام، وغيرها من الأفعال الجماعية التي سلكتها الأمم السابقة كلها تعبر عن سنن تاريخية، جرت في هذه الأمم، فأظهرت للمسلمين وغيرهم أن عاقبة هذه الأفعال الجماعية تكون جماعية الوقوع.

بمعنى أن العقاب سيقع على الجميع دون استثناء، وإن كان هناك تفاوت في

ص:47

1- (1) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 87.

صدور الأفعال من بعض الناس؛ فالساكت عن الظلم وفاعله سواء، بل أبعد من ذلك الرضا بفعل الظالم إشراك في الظلم، كما دلت عليه مجموعة من الآيات.

قال تعالى:

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُغْلِبُ الظَّالِمُونَ(1).

(وَإِنْ يَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ (42) وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ (43) وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ)2.

وقال عز وجل:

(وَكَأَيُّ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ)3.

ثانياً: تحقق الغرض الإرشادي في عرض السنن التاريخية

وقد أظهر القرآن الكريم الغرض الإرشادي في إيراد السنن التاريخية التي جرت في الأمم السابقة، فقال تعالى:

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا)4.

ص:48

وقال عزّ شأنه:

(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)1.

وقال سبحانه:

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْجِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ)2.

فهنا: تظهر الآية الكريمة اشتراك الفرد مع الأمة في الأجل الواحد، في حين أن لكل فرد أجلاً خاصاً به، فما هو سبب اشتراك جميع أفراد الأمة في موت ونهاية واحدة؟.

يجيب السيد محمد باقر الصدر قدس سره: «هناك دائماً وراء الأجل المحدود المحتوم لكل إنسان بوصفه الفردي، هنالك أجل آخر وميقات آخر للوجود الاجتماعي لهؤلاء الأفراد، للأمة بوصفها مجتمعاً ينشئ ما بين أفرادها العلاقات والصلات القائمة على أساس مجموعة من الأفكار والمبادئ المستندة بمجموعة من القوى والقابليات»(1).

بمعنى آخر:

«هذا المجتمع الذي يعبر عنه القرآن بالأمة، له أجل، له موت، له حياة، له حركة كما للفرد يتحرك فيكون حياً ثم يموت، كذلك الأمة تكون حية ثم تموت،

ص:49

1- (3) سنن التاريخ في القرآن لسيد محمد باقر الصدر: ص 57.

وكما أن موت الفرد يخضع لقانون معين، كذلك الأمم أيضاً لها آجالهم التي تخضع لقوانين معينة⁽¹⁾.

وهذا الذى أراده القرآن من المسلمين بوصفه كتابهم الذى يرجعون إليه فى معرفة دينهم، أن يلتفتوا إلى تلك القوانين التى خضعت لها الأمم السابقة، ولم يكن لها أن تتفلسف من سطوتها؛ فليس الفرد حينما يكون ضمن مجتمع معين أن يحيا أو يموت أو ينمو بمعزل عن الأمة التى ينتمى إليها.

إذ قد يظن كثيرون بأنه بمنأى عن عواقب انحراف الأمم والجماعات التى يعيش معها وينتمى إليها، بل: لعلنا نجد أن هذه الحالة قد أخذت مأخذها من الأمم المحاضرة، فى حين يعرض القرآن الكريم حتمية إجراء هذه السنن فى الأمم كافة؛ فقد يموت الإنسان قبل موت الأمة، ألا أنه يفنى فى ماله وذريته، فيكون حينها قد مات مع الأمة التى ينتمى إليها، ناهيك عن ما يحمله من الآثام التى شارك الأمة فيها.

ثالثاً: علة تأخير العقوبة الجماعية

لكن القرآن الكريم؛ فى الوقت الذى يتحدث عن تلك السنن التاريخية، وما تؤول إليه عواقب الأعمال الفردية والجماعية، هو فى نفس الوقت يتحدث عن سنن أخرى، هى تأخير العقوبة الجماعية لحكمة خاصة، منها الرحمة والمغفرة؛ ومنها (الإصلاح)، وهو الغاية المنشودة فى عرض سيرة الأمم السابقة، وما آلت إليه عواقب أفعالها.

ص:50

1- (1) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 90.

قال تعالى:

(وَرَبُّكَ الْعَفُوُّ ذُو الرِّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا (58) وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ أَمْهَلْنَا لَهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا)1.

وقال عز وجل:

(وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا)2.

(فضى هاتين الآيتين الكريمتين، تحدث القرآن الكريم، عن أنه لو كان الله يريد أن يؤاخذ الناس بظلمهم، وبما كسبوا، لما ترك على الأرض من دابة، يعنى لأهلك الناس جميعا، وقد وقعت مشكلة فى كيفية تصوير هذا المفهوم القرآنى، حيث أن الناس ليسوا كلهم ظالمين عادة، ففيهم الأنبياء، وفيهم الأئمة، وفيهم الأوصياء، هل يشمل الهلاك الأنبياء والأئمة العدول من المؤمنين؟ حتى أن بعض الناس استغل هاتين الآيتين لإنكار عصمة الأنبياء عليهم السلام.

والحقيقة أن هاتين الآيتين تتحدثان عن عقاب دنيوى لا عقاب أخروى، فالآية تتحدث هنا عن النتيجة الطبيعية لما تكسب أمة عن طريق الظلم والطغيان هذه النتيجة الطبيعية لا تختص حينئذ بخصوص الظالمين من أبناء - المجتمع بل تعم

ص:51

أبناء - المجتمع على اختلاف هوياتهم وعلى اختلاف اتجاهاتهم، حينما وقع (التيه) على بنى إسرائيل نتيجة ما كسب هذا الشعب ظلمه وطغيانه وتجزّده، هذا التيه لم يختص بخصوص الظالمين من بنى إسرائيل. إنما شمل موسى عليه السلام، شمل أظهر الناس وأزكاهم وأشجعهم فى مواجهة الظلمة والطواغيت، شمل موسى عليه السلام لأنه جزء من تلك الأمة، وبهذا شمل التيه موسى عليه السلام.

هذا كله هو منطق سنن التاريخ، والعذاب حينما يأتى فى الدنيا على مجتمع وفق هذه السنن، لا يختص بخصوص الظالمين من أبناء ذلك المجتمع، ولهذا قال القرآن الكريم فى آية أخرى:

(وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)1.

بينما يقول فى موضع آخر:

(وَ لَا تَرَوْا وَزْرًا وَزُرًّا أُخْرَى)2.

فالعقاب الأخرى دائما ينصب على العامل مباشرة، وأما العقاب الدنيوى فيكون أوسع من ذلك. إذن هاتان الآيتان الكريمتان تتحدثان عن سنن التاريخ وما يمكن أن يحصل نتيجة كسب الأمة وسعيها وجهدها، لا عن العقاب بالمعنى الأخرى، والعذاب بمعنى مقاييس يوم القيامة(1). ويمضى القرآن الكريم فى عرضه للسنن التاريخية وعلاقتها بالإنسان والمجتمع فمنها:

ص:52

1- (3) السنن التاريخية فى القرآن لمحمد باقر الصدر: ص 54 و 55.

من السنن التاريخية التي أظهرها القرآن الكريم هي سنة التغير الإنساني وعلاقتها بالمجتمع؛ هذه العلاقة التي يظهرها القرآن على هيئة قانون مؤثر في إصلاح الأمم، بل يظهر مفهوم أعم من ذلك؛ وهو ارتباط الإصلاح المجتمعي بالإصلاح الفردي. بمعنى: لا يمكن أن تنهض الأمة ما لم تبدأ بإصلاح أفرادها، أو من أراد أن تكون أمته التي ينتمى إليها، وقومه الذين ينتسب إليهم أمة صالحة، فعليه أن يبدأ بمشروع التغير الشخصي، أي أن يبدأ بتغيير نفسه أولاً ثم أهل بيته ثم أقربائه وهكذا، وهو ما دل عليه قوله تعالى:

(لَهُ مَعَقَّبَاتٌ مِّنْ تَبَنٍ يَدِّيهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)1.

والعلة في هذا الترابط، وهذه العلاقة هو أن: «المحتوى الداخلي النفسي والروحي للإنسان هو القاعدة، - وإن - الوضع الاجتماعي هو البناء العلوي، وأن هذا البناء العلوي لا يتغير إلا وفقاً لتغير القاعدة. إذن: هذه الآية تتحدث عن علاقة معينة بين القاعدة والبناء العلوي، بين الوضع النفسي والروحي والفكري للإنسان وبين الوضع الاجتماعي، بين داخل الإنسان وبين خارجه، فخارج الإنسان يضعه داخل الإنسان، فإذا تغير ما بنفس القوم تغير ما عليه وضعهم، وعلاقتهم، والروابط التي تربط بعضهم ببعض، - ولذا - فهذه سنة من سنن التاريخ، ربطت القاعدة بالبناء العلوي.

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)2«3.

المسألة الخامسة: آثار سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة

كثيرة هي السنن التاريخية التي يعرضها القرآن الكريم، إلا أننا أجملنا في ذكرها كي لا يخرج الكتاب عن عنوانه واكتفينا ببعضها كي ينسجم ذلك مع ما شهدته الحركة التاريخية عند المسلمين وعوامل تطویرها، ومنها الدور المميز للقرآن الكريم في تجديد الفكر العربي، ونموه بشكل خاص، والإنساني بشكل عام.

ولذا كان القرآن قد تصدر الكتب السماوية في بيانه لهذه السنن التاريخية وآثارها على الفرد والمجتمع.

فكان منها:

سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله تعالى على الفرد والمجتمع؛ وهي سنة تاريخية لعبت دوراً مهماً في تحديد مصير الإنسان والأمة.

قال تعالى:

وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مَا أَنزَلْنَا إِلَيْهِمْ مِنَ رَبِّهِمْ لَأَكْلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ)1.

وقال عز وجل:

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)2.

ص: 54

وقال عزّ شأنه:

(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)1.

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ)2.

«هذه الآيات تتحدث عن علاقة معينة بين الاستقامة وتطبيق أحكام الله سبحانه، وبين وفرة الخيرات ووفرة الإنتاج، وبلغة اليوم: بين عدالة التوزيع وبين وفرة الإنتاج.

فالقرآن يؤكد أن المجتمع الذى تسوده العدالة فى التوزيع، التى عبر عنها القرآن تارة بـ: (يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ)، وأخرى بـ: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا)، وأخرى بـ: (وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ) - هو المجتمع المتقدم والمعافى من الأمراض والانحرافات -.

لأن شريعة السماء نزلت من أجل تقرير عدالة التوزيع، وأقامتها على أسس عادلة، يقول: لو أنهم طبقوا عدالة التوزيع، إذن لما وقعوا فى ضيق من ناحية الثروة المنتجة، بل لازداد الثراء وازدادت الخيرات والبركات، لكنهم تخيلوا أن عدالة التوزيع تقتضى التقسيم، ومن ثم تقتضى فقر الناس.

بينما الحقيقة أن السنة التاريخية تؤكد عكس ذلك، تؤكد بأن تطبيق شريعة السماء وتجسيد أحكامها فى علاقات التوزيع، تودى دائما وباستمرار إلى وفرة الإنتاج وإلى زيادة الثروة، إلى أن يفتح على الناس بركات السماء والأرض.

ص:55

فهذه السنة التاريخية التي يعرضها القرآن الكريم والتي جرت في الأمم السابقة هي أيضا ممكنة الوقوع في هذه الأمة.

ولذا:

نجد القرآن قد قرن نتائجها باتباع أحكام الله عز وجل، بمعنى: أن الأمة لو استقامت في سلوكها واتبعت أحكام الله تعالى لنالت بركات السماء والأرض؛ بل لَحَيَّتْ حياة لم تحيها أمة من الأمم، وهذا نفسه كان حتمى الوقوع والنتائج في الأمم السابقة فيما لو استقامت في سيرها وسلوكها(1).

أقول: إن الأمر غير محصور في عدالة التوزيع فقط، كما ذهب إليه سماحة السيد الشهيد السعيد قدس سره بحيث لو أن الأمم قد استقامت في عدالة التوزيع إذن لما وقعوا في ضيق من ناحية الثروة المنتجة، وإنما الأمر يتعداه إلى أبعد من ذلك، وهو تقديم عقيدة الآباء على أحكام السماء بشكل عام كما دلت عليه الآية:

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهُتَدُونَ)2.

فمخالفة المجتمعات والأمم أحكام الله واتباعهم لمعتقدات آباؤهم هو الذى حرمهم من أن يسقوا ماءً غدقا.

نعم، عدالة التوزيع إن تمت في أى أمة من الأمم حتى ولو لم تكن على دين سماوى يؤدي ذلك إلى ازدياد الخيرات، والتاريخ قديماً وحاضراً ملىء بالشواهد التي تدل على أثر عدالة الحاكم في نمو خيرات بلده. ومما يدل عليه المبحث القادم.

ص:56

1- (1) السنن التاريخية في القرآن لمحمد باقر الصدر: ص 60 و 61.

يشغل التاريخ حيزاً واسعاً في علوم أهل البيت عليهم السلام، والسبب في ذلك يعود إلى اهتمام القرآن أولاً بعلم التاريخ، وثانياً لكونه مدرسة كبيرة لمن أراد أن ينطلق لبناء الحياة الدنيا وينجو في الآخرة.

فالتاريخ كما يعرضه القرآن والعتره:

هو خزين لتجارب الأمم مع الأنبياء والرسل عليهم السلام الذين بعثوا إلى هذه الأمم، والتاريخ هو ساحة للمصراع بين الخير والشر، وهو نماذج عديدة ومتنوعة من العقول البشرية، ورصيد ضخم من الفكر السياسي والقيادي لهذه الأمم، ناهيك عن تجارب في الاقتصاد كما في قضية يوسف أثناء توليه خزانه مصر.

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ)1.

وفي الاجتماع وعوامل رقيه وفساده كقوم لوط.

(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (80) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ)2.

وفي الوعي الثقافي والفكري كقوم إبراهيم في أرض بابل حينما كانت الاتجاهات العقائدية والفكرية متنوعة بين عبادة الشمس والقمر والنجوم.

(فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْنُ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (77) فَلَمَّا رَأَى السَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ)1.

وبين عبادة الأصنام:

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)2.

وبين قدرة إبراهيم عليه السلام في نفوذه إلى تلك العقول بعقيدة التوحيد، فمرة ينفذ إلى عقول معتقدى عبادة الأصنام فيكسرهما إلا كبيرهم.

(فَجَعَلْنَاهُمْ جُذُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ (58) قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ (59) قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ (60) قَالُوا فَاتُوا بِهِ عَلَى أَغْنِينَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يُشْهَدُونَ (61) قَالُوا أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ (62) قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ)3.

ومرة ينفذ في حوار العقائدي مع النمرود، حينما أوقف منافذه الفكرية بآية خروج الشمس من المشرق وتعجز أن يأتي بها من المغرب وغيرها.

ص: 58

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الضَّالِّينَ)1.

وفي الجانب السياسي والقيادي للامة كما في استخلاف هارون عليهم السلام.

(وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي (29) هَارُونَ أَخِي)2.

(وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْنَةٍ مِّمْقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ)3.

ناهيك عن الخزين الضخم من التجارب المتنوعة في المجالات المختلفة والمحصورة بأشخاص، كمؤمن آل فرعون، ومؤمن آل ياسين، وآسية بنت مزاحم، وأصحاب الكهف، وهابيل وقابيل، ومريم ابنة عمران عليها السلام، وغيرها.

كل ذلك وغيره مما لم نستطع الإحاطة به كان مدعاة لأن يشغل التاريخ حيزا واسعا في علوم أهل البيت عليهم السلام، لاسيما وان حركة التاريخ وسننه تبدأ عند أهل البيت عليهم السلام وسنامهم هو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف كانت حركة التاريخ وسننه عنده؟.

ص:59

أولاً: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

من البديهي أن يهتم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بحركة التاريخ، وهو يرى الوحي قد نزل على قلبه بهذا الكم الكبير من الآيات، التي تخبره عن الحركة التاريخية والسنتن التاريخية لمختلف الأمم، التي خلقها الله تعالى، إذ لا يخفى أن القرآن يعرض الحركة التاريخية لأمم أخرى غير الإنس، كالملائكة وسجودها لأدم، والشياطين ودورها في انحراف الأمم.

ولذا تبدأ هذه الحركة منذ خلق آدم عليه السلام.

بل القرآن يتحدث عن الحركة التاريخية للعلوم ونشونها وتطورها، كمراحل خلق السموات والأرض، ومراحل النشأة والتكوين للعناصر الحياتية على الأرض، وتاريخ تكوّن الأعراق البشرية، واختلاف الألوان والألسن، وغيرها مما لا حصر له، فما من علم إلا وله بداية نشأ منها، وانطلق من عندها، ليكون بذلك سجلاً تاريخياً يدون فيه سير هذه الحركة التاريخية لهذا الصنف من العلم أو ذاك، ولهذه الأمة أو تلك.

ومن هنا: ظهرت الحركة التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسعة وعميقة، فقد أخرج أحمد في المسند عن عمران بن حصين: «كان نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم، يحدثنا عامة ليله عن بنى إسرائيل لا يقوم إلا لمعظم صلاة»⁽¹⁾.

ص: 60

1- (1) مسند احمد بن حنبل: ج 4، ص 437 و 444. مستدرک الحاكم - النيسابوري: ج 2، ص 379. البداية والنهاية لابن كثير: ج 2، ص 157، وقال: رواه أبو داود عن قتادة، عن أبي حسان، عن عبد الله بن عمرو. والحديث رواه البزار من هذا الطريق، ومن طريق عمران بن حصين.

ويبدو أن السبب في تركيز النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم على بني إسرائيل لعدة أمور، منها:

1 - تعاقب عدد من الأنبياء الذين أرسلهم الله إليهم.

2 - تنوع الجوانب الحياتية لديهم باختلاف الأزمنة التي بعثت بها أنبياؤهم؛ بمعنى أن كل فترة زمنية أو مكانية هي عبارة عن سجل تاريخي للحركة البشرية.

3 - اختلاط اليهود بالمسلمين وتشكيلهم نسبة جيدة من الجغرافية العربية التي تعددت فيها المعتقدات، فقد ظهرت في الجزيرة والعراق واليمن والشام مجموعة من المعتقدات.

4 - قرب زمانهم من زمان بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا يدل على استيعاب المسلمين لأثر السنن التاريخية التي مرت بها مجتمعات بني إسرائيل.

5 - نفوذ الثقافة اليهودية والنصرانية في أندية المدينة بشكل خاص.

6 - تجدد العوامل الفاعلة في حركة السنن التاريخية في أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وهو الأمر الذي كان ينبه عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان يحذر المسلمين منه، بعد أن لاحظ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن العديد من أسس السنن التاريخية بدأت تتحرك في أمته. ولذا أراد حفظهم من عدم تحقق هذه السنن التاريخية، كي لا تحصد الأمة ما سبترت على هذه السنن من نتائج.

ومن هنا؛ نجده صلى الله عليه وآله وسلم كان يحدّث المسلمين عن تلك السنن التاريخية التي جرت في بني إسرائيل، كي يحذرهم منها ويأمنوا من عدم الوقوع بها. وهو في نفس الوقت أعطى خزيناً تاريخياً وعاملاً نهضوياً في قيام الحركة التاريخية عند المسلمين.

7 - مشكلة الوصاية وتبادل الأدوار القيادية بين موسى وهارون عليهما السلام والمعارضة والعزوف الذي عاناه هارون وموسى من بنى إسرائيل مع ما حدث في عصر ما بعد النبوة نجد أن هناك تشابهاً بين المحتنين، محنة هارون وموسى ومحنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه عليه السلام.

ثانياً: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

لم يغيب عن ناظر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم المنهج الذي قدّمه القرآن في إصلاح الأمم، من خلال وضع العديد من السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، والتي عرفت فيما بعد؛ وحسب اصطلاح المؤرخة؛ بالسنن التاريخية؛ فهذه السنن لم تكن تغيب عن ناظر الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولذا كان يحدث المسلمين، ويبين لهم تلك القوانين الإلهية، التي تحكمت في مصير الأمم السالفة، ولاسيما بنى إسرائيل الأقرب عهداً بأمة الإسلام والأكثر احتكاكا وتعايشا، وربما فهما واستيعابا لتلك النتائج التي تمخضت منها هذه السنن التاريخية.

وحيث أن الطبيعة البشرية هي، تتأثر بالمتغيرات الحياتية والفكرية، وحيث أن عناصر الشر والخير متأصلة ومتنامية في جميع الأمم، كان لزاما على هذه الأمة أن تحيي تلك السنن التاريخية، والقوانين الحياتية التي عاشتها الأمم السابقة.

ومن هنا: نجد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم؛ ولاسيما في السنة الأخيرة من حياته الشريفة؛ يحذّره من اتباع تلك السنن التاريخية؛ بل يظهر الحديث الشريف أنه كان يرى أن هذه الأمة قد سلكت سبيل السنن التاريخية للأمم السابقة لا محالة.

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل، والقذة بالقذة حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه!».!

قالوا: فاليهود والنصارى يا رسول الله؟ قال:

فمن أذن»(1).

وفى لفظ آخر أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر، وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه.

قلنا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ قال:

فمن»(2).

وفى لفظ أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع.

فقليل يا رسول الله: كفارس والروم؟ قال:

ومن الناس إلا أولئك»(3).

هذه التحذيرات التي أطلقها النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة السنن التاريخية للأمم السابقة، ولاسيما بني إسرائيل كانت محفزا قويا عند

ص:63

1- (1) الرسائل العشر للشيخ الطوسي: ص 127.

2- (2) صحيح البخارى: كتاب بدء الحلق، ج 4، ص 144.

3- (3) صحيح البخارى: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، ج 8، ص 151.

المؤرخين العرب في معرفة تاريخ اليهود والنصارى، وما جرى في أحوالهم من هذه السنن الإلهية (التاريخية).

ومما ساعد على نمو هذه الحركة التاريخية والمعرفية هو «ظهور جماعة من أهل الديانة اليهودية والمسيحية تنصدي بعد إسلامها لإذاعة تلك المعارف، - وهم الذين - يسميهم ابن إسحاق ب - (أهل العلم الأول).

ويذكرون عن وهب بن منبه أنه قرأ من كتب الأنبياء كتباً يختلف عددها في الروايات بين ثلاثين وبضعة وسبعين أو اثنين وتسعين كتاباً.

وهذا على الأقل يعني توفر هذه الكتب في مناطق من الجزيرة والشام والعراق، في القرن الأول الهجري ولو أنها كانت في معظمها على ما يظهر بالسريانية والعبرانية؛ وقد دخل الكثير منها في معلومات هذه الكتب على التاريخ العربي، حتى لقد عرفت آثارها في التاريخ، وفي علوم الدين باسم خاص هو: الإسرائيليات.

ويبدو مما وجد من أوراق البردى الإسلامي أن ترجمة هذه الأمور والنصوص إلى العربية قد تمت في أوائل القرن الثامن الميلادي أو أواخر القرن الأول الهجري⁽¹⁾.

فهذه الأسباب هي التي كانت وراء دخول المعارف التاريخية التوراتية الإنجيلية إلى الثقافة الإسلامية، ولاسيما التاريخ والحديث، وهو الأمر الذي يفند المزاعم التي أطلقها المستشرق روزنتال في بحث كتبه عن (أثر التقاليد التوراتية الإنجيلية في التاريخ لدى المسلمين).

ص:64

1- (1) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 107.

والذى يدعى فيه:

«أن فكرة التاريخ فى الكتاب المقدس قد أثرت فى النبى، وأن العلماء المسلمين قد استخدموا هذه النظرة التاريخية العالمية فى إنتاج مؤلفات تاريخية شاملة وأنهم أغنوا تلك المؤلفات بمواد تاريخية مأخوذة عن الكتاب المقدس والآثار التوراتية - الإنجيلية، وأن ثمة أخيراً توازياً وتشابهاً فى (شكل) تقديم تلك المواد بين النصوص التاريخية التوراتية والإسلامية»⁽¹⁾.

فى حين أن الدافع الذى دفع المسلمين إلى قراءة التاريخ والآثار اليهودية الإنجيلية هو ليس ما تحويه هذه الكتب من مادة تاريخية، وإنما الأحاديث النبوية التى أطلقها النبى الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم فى اتباع أمته سنن الأمم السالفة ولاسيما بنى إسرائيل؛ فكان الخوف من الوقوع فى هذه السنن ومحاولة تجنبها والنجاة منها هو المحفز الأول فى قراءة هذه الآثار التوراتية الإنجيلية، وإلا هذه الآثار كانت موجودة قبل الإسلام لكنها لم تأخذ من الوعى التاريخى عند العرب أى اهتمام يذكر كما يدعى روزنتال.

«ويثير روزنتال بعض التساؤلات حول أى نوع من النصوص التوراتية - الإنجيلية نقل إلى العربية أهو بعض الفرق المسيحية أو اليهودية المعنية أم هو أشكال محورة عن النصوص الأهلية لذلك القصص القديم، ويضيف أنه من المقبول عامة لدى الباحثين المحدثين أن معظم المواد التاريخية التى أخذها المؤرخون (منذ أواخر القرن الثالث فما بعد) كما اتضح لدى الطبرى وحمزة الأصفهاني والبيروني واليعقوبي، إنما ترجع إلى كتاب المدارس

ص:65

1- (1) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 107 و 108.

والهاغاداه(1) لدى اليهود والنصارى، ولكنها خضعت للكثير من التعديل؛ ومثل ذلك قصص الأنبياء.

وما أراد روزنتال أن يعدّه تأثيراً ونقلًا إنما يرجع في الواقع إلى حقيقة مسبقه وهي أن القرآن جاء:

(مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ).

وأن الإسلام لم ينكر وجود العقائد الدينية السابقة ولكنه رفض استمرار الإيمان بها بعد ظهوره، ووحدة الرسالة منذ إبراهيم نبي الأنبياء، وعبر الأنبياء المتعددين حتى محمد صلى الله عليه وآله وسلم آخر النبيين، إنما كانت تقتضى هذا النوع من التطابق مع الفكر التاريخي للتوراة والإنجيل، وهذا النوع من المقبول للمادة التاريخية الناجمة عنها(2).

بل أن السبب في التشابه بين المادة التاريخية اليهودية - الإنجيلية وبين المادة التاريخية الإسلامية هو ليس هذا النقل الذي تم من خلال ترجمة كتابي «المدارش والهاغاداه»، ودخول هذه الثقافة إلى الفكر الإسلامي، إنما هو تحقق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اتباع هذه الأمة سنن نبي إسرائيل لدرجة الشبر بالشبر والذراع بالذراع؛ بل لو دخل أحدهم في جحر ضب لدخله المسلمون!

ص:66

-
- 1- (1) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 108، (المدارش) هي: التفاسير الأولى للتلمود وهي أساس المثنا الذي نسقه الحاخامون بعد القرن الثاني الميلادي وأما (الهاغاداه) فكتب التهجد والوعظ. وهناك الجمارة، وهي: جمرة المناظرات والتعاليم والتفاسير التي جرت في المدرش، أي: أماكن تدريس الكتاب المقدس في الكتييس (وجذر كلمة مدرش = دراسة ومدرسة) وذلك بعد انتهاء جمع المثنا.
- 2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 108.

هذا الانطباق الواقعي للسنن التاريخية بين بني إسرائيل والمسلمين لاسيما ابتداء تحقق ذلك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانقسامهم إلى ثلاث وسبعين فرقة في هذا الزمن، وانتشار الفكر التكفيرى فيما بينهم، هو الذى خلق هذا التصور الذى ذهب إليه روزنتال وغيره من المستشرقين والباحثين فى نشأة التاريخ العربى والإسلامى وحركته وتطوره.

إذن:

مثلما ركز القرآن الكريم على نفوذ السنن التاريخية فى الأمم السابقة كذلك كان حالها عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المسألة الثانية: حركة التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام

إشارة

لكى نضع أيدينا على تطور الوعي التاريخى عند العرب ولاسيما عند ابن إسحاق المتوفى سنة 115 هـ -، ولكونه شيخ كتاب السيرة النبوية، فلا بد أن ندرك دور القرآن وأهل البيت النبوى عليهم السلام فى تدريس هذا العلم وتطويره.

بل؛ إنهم أصحاب الفضل الأول بعد القرآن فى خلق هذا الوعي التاريخى وتطويره وتنقيفه بين أهله - كما سيمر علينا - فى عرض الأسباب التى جعلت ابن إسحاق يحتل الصدارة فى هذا العلم.

ولذا كان لزاماً أن نعرّج إلى مدرسة الإمامة، ونهبط عند أعتاب باب مدينة علم النبوة، وأن نجلس بين أروقة مدرسة أمير المؤمنين عليه السلام لفهم كيف هو التاريخ عنده، حركة وسُنناً؟.

ص:67

يتخذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من حركة التاريخ وسيلة لتقويم السلوك الإنساني وأداة لإصلاح المجتمعات؛ هذا الإصلاح الذي لا يتم إلا من خلال إصلاح أفراد المجتمع أو الأمة كما يعبر عنها القرآن الكريم. وتمتاز علاقة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بحركة التاريخ عن غيره ممن يهتمون بالتاريخ بأنه عليه السلام يتعايش مع هذه الحركة وكأنه عنصر من عناصر هذه الحركة، وواحد من مكوناتها، فما أن مرّ على أمة من الأمم حتى تحدث عنها وكأنه أحد أفرادها المبصرين بأحوال أمته.

ولذا لم يكن - حينما يتحدث عن هذه الأمة أو تلك - بالرجل القاص، أو الراوي المتسلي؛ وإنما هو الرجل المتعايش لهذه الأمة والعارف بعوامل نهوضها، أو اندثارها، المتبحر في أخلاقها وسلوكها. ومن هنا: نجدّه يحثّ على التعامل مع التاريخ تعامل المرشد، والمصلح، والمقوم لحركة الإنسان الدنيوية والأخروية؛ مما جعل بعض الباحثين ينظرون إلى هذه العلاقة بأنها علاقة وعظية⁽¹⁾، أي أن الغالب في حديثه عليه السلام عن التاريخ هو الوعظ.

في حين أنه عليه السلام لم يكن ليخالف المنهج القرآني والنبوي - الذي عرضناه - في فهم حركة التاريخ وسننه، وهو الأمر الذي يمكن ملاحظته بشكل واضح في خطبه وحديثه عن حركة التاريخ وسننه.

ففي حركة التاريخ يقول عليه السلام وهو يوصي ولده الإمام الحسن عليه السلام:

ص:68

1- (1) حركة التاريخ عند الإمام علي عليه السلام، محمد مهدي شمس الدين.

«أى بنى إني وإن لم أكن عُمرْتُ عُمرَ من كان قبلي، فقد نظرت في أعمالهم، وفكرت في أخبارهم، وسررت في آثارهم، حتى عدت كأحدهم، بل كآني انتهى إليّ من أمورهم، قد عُمرْتُ مع أولهم إلى آخرهم، فعرفتُ صفو ذلك من كبره، ونفعه من ضرره»⁽¹⁾.

هذه المعرفة الواسعة والشاملة والعميقة والدقيقة بالتاريخ حركة وسنة - كما سيمر علينا - كان لها الأثر الفعال في نمو الوعي التاريخي عند المسلمين، ولاسيما رواد مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليه السلام ك - (سليم بن قيس الهلالي، وجابر بن يزيد الجعفي، ومحمد بن إسحاق المطلبى صاحب السير) وغيرهم.

ثانياً: السنن التاريخية عند الإمام علي عليه السلام

إشارة

امتازت نظرتة عليه السلام إلى السنن التاريخية بميزات عديدة منها:

- 1 - الإحاطة بهذه السنن منذ أبني آدم إلى أمة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.
- 2 - تحديد العامل المشترك في جميع هذه السنن وهو طاعة الله عز وجل ومعصيته.
- 3 - تشخيص ما تؤول إليه هذه الأمة من اتباعها للسنن التاريخية التي سارت عليها الأمم السالفة.
- 4 - الدور الإرشادي لهذه السنن في إصلاح المجتمع.

ص:69

1- (1) نهج البلاغة: خطب الإمام علي عليه السلام: ج 3، ص 41. تحف العقول لابن شعبة الحراني: ص 70. كشف المحجة للسيد ابن طاووس: ص 161.

الميزة الأولى في نظره عليه السلام للسنن التاريخية

ومن الشواهد على الميزة الأولى، قال عليه السلام:

«وَأَنَّ لَكُمْ فِي الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةٌ أِنَّ الْعَمَالِقَةَ وَأَبْنَاءَ الْعَمَالِقَةِ أِنَّ الْفِرَاعَةَ وَأَبْنَاءَ الْفِرَاعَةِ أِنَّ أَصْحَابَ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيَّ وَأَطْفَأُوا نَارَ الْمُؤَسِّلِينَ وَأَحْيَوْا نَارَ الْجَبَّارِينَ أِنَّ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا بِالْأُلُوفِ وَعَسَّكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ» (1).

فهذه النظرة المحيطة بالسنن التاريخية التي تهاوت بفعلها تلك الأمم فلم تبق منها سوى الأساطير هي في الواقع تصرخ بالقدام من الأجيال إلى الحذر من الوقوع في مهالك تلك الأمم، حينما لم يراعوا قوانين السماء وما جاءت به الأنبياء من شرايع.

الميزة الثانية لنظرته عليه السلام للسنن التاريخية

أما الميزة الثانية لنظرته عليه السلام إلى السنن التاريخية، وهي: تحديد العامل المشترك في جميع هذه السنن وهو طاعة الله عز وجل ومعصيته، فيقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرَّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهَمُ اللَّهُ بِالْعَذَابِ، لَمَّا عَمَّوهُ بِالرَّضَا» (2).

«وَأَنَّ عُنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ، فَلَا تَسْتَبِطُنُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ وَتَهَاوُنًا بِنُطْقِهِ وَيَأْسًا مِنْ بَأْسِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ الْقَرْنَ الْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ الْأَمْرَ

ص: 70

1- (1) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطبة في تنزيه الله، ج 2، ص 108، ح 182.

2- (2) مستدرک الوسائل للميرزا النوري: ج 12، ص 194.

بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَلَعَنَ اللَّهُ السُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ الْمَعَاصِي، وَالْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ النَّهْيِ»(1).

والسمة الأبرز في هذا العامل المشترك بين السنن التاريخية هي سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي بها يكون حفظ المجتمعات من التفكك والانهيار وضياع النعم والخيارات وفقدان الأمن وما يتلوه من انعدام الأمان والسلام وانتشار الفوضى وعموم الفساد.

ولذا نجد عليه السلام قد ركز على دور هذه السنة التي تعد السمة البارزة في ظهور طاعة الله وعصيانها؛ ولذلك اتبعها بلعنه للسفهاء الذين يركبون المعاصي، والحلماء لتركهم التناهي.

الميزة الثالثة: تشخيص نتائج السنن

وفي تشخيص ما توول إليه هذه الأمة من أتباعها للسنن التاريخية التي سارت عليها الأمم السالفة يقول عليه السلام:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَخَازِلُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهْتُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ بِمِثْلِكُمْ وَلَمْ يَقُوْ مَنْ قُوَى عَلَيْكُمْ لِكَيْتَكُمْ يَهْتُمُّ مَنَاءَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْعَمْرِي لِيَصَدَّ عَنْكُمْ النَّبِيُّ مِنْ بَعْدِي أضعافاً بما خَلَقْتُمْ الْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَقَطَعْتُمْ الْأَذْنَى وَوَصَلْتُمْ الْأَبْعَدَ»(2).

ص:71

1- (1) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: الخطبة القاصعة، ج 2، ص 156. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 34، ص 223.

2- (2) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: من خطبة له أول خلافته عظم فيها حق: ج 2، ص 79، ح 166، ط دار الذخائر، قم - إيران. الكافي للشيخ الكليني رحمه الله: ج 8،

وتشخيصه عليه السلام لسلوك هذه الأمة سنن من كان قبلها، لم يكن تشخيص المنظر للأحداث التاريخية، وأحوال الأمم السابقة؛ وإنما تشخيص الخبير المتمرس.

ولذا نجده يظهر الأسباب والنتائج، فيبدأ بذكر الأسباب، فيقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنِ نَصْرِ الْحَقِّ، وَلَمْ تَهْتُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ» «لَمْ يَطْمَعُ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِنْكُمْ، وَلَمْ يَقْوَىٰ عَلَيْكُمْ».

وهذه النتيجة التي تكشف عن تحرك السنة التاريخية في هذه الأمة تظهر نتائجها في كل زمان ومكان.

ثم إنه عليه السلام لم يكتفِ بذلك فقط وإنما يظهر ما توول إليه مضاعفة النتائج، إذ نفس هذه النتيجة يمكن للأمة أن تتحكم في تغييرها نحو الأفضل فيما لو سعت إلى تغيير هذه النتيجة التي يظهرها عليه السلام بأنها سبب آخر لتردى الحال، فيقول عليه السلام:

«لَكَيْتَكُمْ تَهْتُمُّ مِثْلَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَعُمْرِي لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ النَّبِيُّ مِنْ بَعْدِي أضعافاً بما خَلَّفْتُمُ الْحَقَّ وَرَاءَ طُهُورِكُمْ، وَقَطَعْتُمُ الْأَذَى، وَوَصَلْتُمُ الْإِبْعَدَ».

ويظهر هنا أن بعض السنن التاريخية المتعلقة بهذه الأمة تتضاعف فيها النتائج الارتدادية لسيرها، لدرجة يبدو فيها أن التدارك لهذه النتيجة صعب، إن لم يكن

مستحيلاً؛ والسبب يعود إلى تمسك هذه الأمة بالنهج الذى انتهجته، من جعلها الحق وراء ظهرها، وقطعها الأذنى (أى القريب من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ووصلها أى مؤازرتها وأتباعها) للبعيد من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

فكيف لا تكون كل هذه الإحاطة بهذه السنن التاريخية من مقدماتها، وديمومتها، وتضاعف نتائجها، من تكوين وعى تاريخى عند تلامذته بشكل خاص وعند العرب بشكل عام؟.

وكيف لا يكون سليم بن قيس الهلالي صاحب التصنيف الأول فى كتابة الوجه الآخر لتاريخ المسلمين بهذا القدر الكبير من الوعى التاريخى والفكر المنهجى.

وكيف لا يكون محمد بن إسحاق المطلبى صاحب المغازى والسير ومصنف السيرة النبوية الأول بهذا الوعى التاريخى، وهو قد نشأ فى بيت عُرف بموالاته للعترة النبوية، وتلمذ فى مدرسة على أمير المؤمنين عليه السلام، فهذا نهجهم فى حفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتدينها على الرغم من اضطهاده ومحاربه على ما قدم لهذا العلم.

ولذا:

لم تكن الحضارتان اللتان أحاطتا بأهل مكة فى الشمال والجنوب، وما تناقل إليها من أخبار الأكاسرة والقباصرة هما اللتين أنشأتا التاريخ عند العرب، ولا سيما العرب المسلمين، بل ما زخر به القرآن الكريم والعترة النبوية من مادة لهذا العلم حركة، وسنن، ووعيا، وتطويرا، هو السبب الأول والمباشر لنشأة التاريخ عند العرب وتطوره.

ص:73

إن بيان الدور الإرشادي لهذه السنن في إصلاح المجتمع المسلم - وهي الميزة الرابعة في نظرتة عليه السلام إلى السنن التاريخية - يركز الإمام عليه السلام على هذا الدور الفعال وما له من أثر عميق على النفس وهي تنظر في عاقبة تلك الأمم السابقة، وما آلت إليه من رُقى وتدهور ورفعة ودنو، بل كيف كان عاقبة أفرادها.

فيقول عليه السلام:

«فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَّةَ الْمُتَكَبِّرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ، مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَصَوْلَاتِهِ وَوَفَائِعِهِ وَمَثَلَاتِهِ، وَأَنْعَظُوا بِمَنَاقِبِ خُدُودِهِمْ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ، وَأَسَدِّ تَعَبُدُوا بِاللَّهِ مِنْ لَوَائِحِ الْكِبْرِ كَمَا تَسَدِّ تَعَبُدُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ، فَلَوْ رَخَّصَ اللَّهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِحَاصَةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ، وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ كَرِهَ إِلَيْهِمُ التَّكَاثُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ؛ فَالْصَّفَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ، وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا قَوْمًا مُسْتَضْعَفِينَ، وَقَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللَّهُ بِالْمُخْمَصَةِ، وَإِتْلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ، وَامْتَحَنَهُمُ بِالْمَخَافِ، وَمَخَصَّهُمُ بِالْمَكَارِهِ.

فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَى وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ، وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوْضِعِ الْغِنَى وَالِاقْتِنَارِ، فَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ)1.

فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يُخَيِّرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَانِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ» (1).

ونلاحظ في هذا النموذج من الخطاب أن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قد استخدم في الدور الإرشادي مع المؤمنين أسلوب الحث على التدبر في السنن التي جرت في الأمم السابقة، والنظر في أحوال المؤمنين فيها؛ وهو المنهاج الذي يدعو إليه القرآن، قال سبحانه:

(وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الْمُرْسَلِينَ) (2).

إذن: حظيت حركة التاريخ وسننه باهتمام كبير عند أمير المؤمنين عليه السلام، مما انعكس بشكل ملحوظ وفعال على الوعي التاريخي عند العرب، وكان أحد العوامل التي دفعت بهذا العلم إلى التطور والنهوض، وهو الأمر الذي أدى ثماره في ظهور شخصيات إسلامية تصدرت الكتابة عن التاريخ حركة وسننا ووعيا وتدوينا، كابن إسحاق وغيره.

ولو أردنا أن نتتبع بقية الشواهد في خطب الإمام على عليه السلام لرصد حركة التاريخ وسننه لاحتاج البحث إلى جهد أكبر في حين وجدنا فيما استشهدنا به كفاية، لتكوين صورة حول أثر مدرسة أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم السيرة وتطوره.

ص: 75

1- (1) نهج البلاغة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام: خطب الإمام على عليه السلام، الخطبة القاصعة في ذم الكبر، ج 2، ص 143، ح 192. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: باب 31، ج 14، ص 468، ح 37.

إشارة

من الروافد التي نمت على منهله جذور علم التاريخ فانتشى واقفاً يلقي بأغصانه على خواص أهل هذا العلم، فأناخوا في ساحتهم ركابهم، وحطوا بجواره قرطاسهم ودواتهم؛ هو رافد كلمات البضعة النبوية فاطمة الزهراء عليها السلام الذي أحدث نقلة نوعية في دفع حركة التاريخ الإسلامي وتدوينه.

إلا أن الفارق الذي يفترق به رواد مدرسة أهل البيت عليهم السلام عن غيرهم من رواد المدارس الأخرى، أن رواد هذه المدرسة حينما كتبوا الحدث التاريخي كانت كتابتهم محاطة بالوعي والنقد والتحليل والواقعية والأمانة لجميع ما سارت عليه الأمة سواء كان يرضى أصحاب الحدث أم لم يرضهم.

ولذلك نجد أن جهاذة هذا العالم حوربوا أشد المحاربة، واضطهدوا وشردوا ونفوا عن مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما سيمر بيانه - في الفصل القادم.

نضيف إلى ذلك أن طلاب هذه المدرسة المحمدية امتازوا - فضلاً عما ذكر - بتدوين الحدث وتصنيفه وتوثيقه قبل غيرهم سواء من الثفت من المؤرخين إلى تدوين بعض ما يتعلق بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ك- (سعيد بن سعد بن عباد الأنصاري⁽¹⁾) أو من دون التاريخ الحولى كابن جرير الطبري⁽²⁾ وغيره.

ص: 76

1- (1) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج 2، ص 65.

2- (2) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 159.

ومن هنا: نجد معظم الكتابات في هذا العلم أو الدراسات التي كتبت حوله تجنبت الخوض في مصنفات طلاب هذه المدرسة ك-: كتاب سليم بن قيس الهلالي أو حتى الإشارة إليه، ناهيك عن اتهامهم بالطائفية والتحزب لعلى عليه الصلاة والسلام، وكأنه لم يكن أحد أركان هذا التاريخ الإسلامي والعربي.

والسبب في ذلك كله يعود إلى كتابتهم التاريخ بوعي وأمانة وعدم انحياز للأهواء والأغراض السياسية، فكانت حياتهم في خطر مستمر وتشريد وغربة.

أولاً: حركة التاريخ عند فاطمة الزهراء عليها السلام

ألف: خصوصية بيان الحركة التاريخية عند سيدة نساء العالمين عليها السلام

تمتاز بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عمن سبقها وعمن لحقها في بيانها لحركة التاريخ بأنها عليها السلام تنفرد بتشخيص نقطة انطلاق النشأة والتكوين للخلق وتحديدها، بمعنى آخر جميع الذين تحدثوا عن تاريخ الأمم والشعوب ومن توسع في هذا التصنيف ليشمل جميع أنواع المخلوقات الحيوانية والنباتية والجمادات، كل هذه الأجناس لها تاريخ في نشوئها ومواطن خلقها ووجودها.

إلا أن فاطمة عليها السلام حينما قدمت الحركة التاريخية ابتدأت من النقطة الأولى التي خلق الله تعالى فيها الأشياء، فمن هذه اللحظة تبدأ حركة تاريخ الأشياء عند البضعة النبوية عليها السلام.

ولذا: حينما بدأت بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالحديث عن الحركة التاريخية للوجود بدأتها من الخلق الأول والنشأة الأولى للأشياء، فقالت عليها السلام:

«ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها، كونها بقدرته، وذراها بمشيئته، من غير حاجة منه إلى تكوينها، ولا فائدة له في تصويرها، إلا تبييناً لحكمته، وتبييناً على طاعته، وإظهاراً لقدرته، تعبداً لبريته وإعزازاً لدعوته، ثم جعل الثواب على طاعته، ووضع العقاب على معصيته، زيادة لعباده من نعمته، وحياسة لهم إلى جنته»(1).

باء: حركة تاريخ العرب قبل الإسلام

كثرت الدراسات حول تاريخ العرب قبل الإسلام، وبيان الجوانب الاجتماعية والثقافية والدينية والاقتصادية لهم، وتشابهت هذه الدراسات قديماً وحديثاً في بيانها للوضع المزرى لهم على هذه الأصدعة، دون التركيز على دور الرسالة المحمدية، وجهد النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وجهاده في نقل هذه الأمة من الحضيض إلى القمة، ومن الهمجية إلى التمدن والحداثة؛ وإذا أرادت بعض هذه الدراسات الحديث عن ذلك فإنها تمر عليه مروراً عابراً.

في حين أننا نجد أن بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم حينما تتحدث عن حركة تاريخ العرب قبل الإسلام، وتبين الجوانب الاجتماعية والثقافية والعقائدية لهم، تتبعها بالتغير الجذري لسلوك هذه الأمة وحركتها من خلال دور النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم في هذا البناء الجديد للأمة؛ فتقول عليها السلام:

«وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم، مذقة الشارب، ونهزة الطامع، وقبسة العجلان، وموطى الأقدام، تشربون الطرق، وتقتاتون

ص:78

1- (1) كتاب الاحتجاج للطبرسي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 133. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 29، ص 321، الباب 11. بلاغات النساء لابن طيفور: ص 15.

القد، والورق أذلة خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم، فأنتذكم الله تعالى بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم»⁽¹⁾.

ورصدها عليها السلام للحياة التي كان عليها العرب قبل الإسلام كان مبنيا على الأسس البنائية للمجتمع العربي، بحيث أن هذا البناء المتآكل والمتصدع أوشك على السقوط والانهار.

ولذلك: بعد هذا البيان لتاريخهم اتبعته عليهم السلام ببيان آخر، وهو أن الحياة الكريمة التي أصبحوا عليها بعد مرور ثلاث وعشرين سنة وهي الفترة الزمنية التي عاشها النبي الأعظم بعد البعثة، كان السبب الأول فيها هو الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

ولذا قالت: (فأنتذكم الله تعالى بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم).

لكن كيف كانت عملية الإنقاذ هذه؟! سؤال تجيب عليه السيدة فاطمة عليها السلام ببيان آخر تعرض فيه تاريخ حركة السيرة النبوية.

جيم: الحركة التاريخية للسيرة النبوية وبيان إنجازاتها وجهادها

من الملاحظات التي لوحظت في عرض السيدة فاطمة عليها السلام لحركة التاريخ هو تتبعها بشكل دقيق مراحل تطور البشرية، أي: أنها تمزج في هذا العرض عامل الزمن كمصداق لمفردة الحركة، مع عامل التاريخ الذي يكون مصداقا للحدث.

ص:79

1- (1) شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 3، ص 35. الاحتجاج للطبرسي، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 135 و 136. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 29، ص 236، ح 9.

وهنا: تقوم بضعة النبي الأعظم عليها السلام بعرض الحركة التاريخية للسيرة النبوية في ثلاثة محاور.

المحور الأول لهذه الحركة التاريخية يتمثل في شخص النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الثاني لهذه الحركة التاريخية يتمثل في عمل النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الثالث لهذه المرحلة التاريخية يتمثل في النتائج التي حققها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

المحور الأول

تبدأ عليها السلام في بيان هذا المحور بقوله تعالى:

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُفٌ رَحِيمٌ) 1.

والآية تبين ثلاث صفات من صفات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

الأولى: «علاقته صلى الله عليه وآله وسلم بأمته».

والثانية: «صفاته الشخصية فهو عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم، بالمؤمنين رءوف رحيم».

والثالثة: «إنه عربي ومن قريش».

وهذا بحد ذاته يعطيهم زخماً نفسياً ومعنوياً؛ ثم تتطرق بعد هذه الآية فتقول:

ص: 80

«فإن تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبى دون نسانكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم»⁽¹⁾.

ولكون أن النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم هو الذى أنقذهم من الهلاك والموت والاندثار، لذا قالت: «تجدوه أبى دون نسانكم».

هنا: بيان لحفظ هذا الشخص الذى أنقذكم من خلال حفظ ابنته، وأن لها خصوصية خاصة بهذه الكينونية.

وإن ابن عمها على بن أبى طالب عليه السلام، وهو زوجها له فيهم مثل ما لها من الخصوصية المرتبطة بشخص هذا الرجل الذى أنقذهم من الهلاك والموت والاندثار.

لكنها وجدتهم قد أدخلوا بهذا الجانب خللاً شديداً؛ ولذا قالت: (ولنعم المعزى إليه صلى الله عليه وآله وسلم) وهى فى نفس الوقت قد لوحت فى هذا المحور بتحريك السنن التاريخية التى جرت فى الأمم السابقة كما سيمر بيانه.

المحور الثانى

وفى المحور الثانى فى عرضها عليه السلام للحركة التاريخية للسيرة النبوية تقوم عليها السلام ببيان العمل الذى قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«فبلغ الرسالة، صادعا بالندارة، مانلا عن مدرجة⁽²⁾ المشركين، ضاربا ثبجهم⁽³⁾، آخذا بأكظامهم⁽⁴⁾، داعيا إلى سبيل ربه بالحكمة

ص: 81

1- (1) الاحتجاج للطبرسى، خطبة الزهراء عليها السلام: ج 1، ص 134 و 135.

2- (2) المَدْرَجَةُ، الطريق: معظمه وسننه. لسان العرب: مادة (درج)، ج 2، ص 267.

3- (3) الثبج، ثبج كل شىء: معظمه، ووسطه، وأعله، والجمع أثباج (لسان العرب): مادة (ثبج).

4- (4) الكظيم، المكروب، ويقال: أخذ بكظمه فما يقدر أن يتنفس، أى أخذهم صلى الله عليه وآله وسلم فجعلهم لا يقدر أن يتنفسوا، أنظر كتاب العين: مادة (كظم)، ج 5، ص 345.

والموعظة الحسنة، يجف الأضنام(1)، وينكث الهام(2)، حتى انهزم الجمع وولوا الدبر(3).

المحور الثالث

ثم بعد إيرادها ما قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من عملٍ انعطفت عليها السلام على إيراد النتائج، فقالت:

«حتى انهزم الجمع وولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه، ونطق زعيم الدين، وخرست شقاشق الشياطين وطاح وشيظ النفاق وانحلت عقد الكفر والشقاق، وفهتتم بكلمة الإخلاص فى نفر من البيض الخماص(4).

دال: الحركة التاريخية لحال الصحابة وأهل البيت عليهم السلام فى حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

بعد ذكرها عليها السلام لبيان الحركة التاريخية للسيرة النبوية، وبيان إنجازاتها وجهادها، ممثلاً فى ثلاثة محاور تنتقل بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم بعد ذلك لبيان الحركة التاريخية لسير الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 82

1- (1) جُف الطلعة وعأؤها الذى تكون فيه، وجُف الشيء: شَخَّصَهُ. لسان العرب: مادة (جفف).

2- (2) النكث: هو التفریق، والهام: هو الدماغ، فيكون المعنى: أنه صلى الله عليه وآله وسلم فرق ما عليه فكرهم الضال المنحرف.

3- (3) الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 135. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 29، ص 263.

4- (4) المصدر السابق.

وعند الوقوف فى معانى هذا البيان، نجد أن الزهراء عليها السلام تحدد مسارين لهذه الحركة التاريخية التى رافقت سيرة الدعوة النبوية.

المسار الأول: الحركة التاريخية لمسير الصحابة رضى الله عنهم.

المسار الثانى: الحركة التاريخية لمسير أهل البيت عليهم السلام.

دلالة تحديد الحركة التاريخية لكلا المسارين

ألف - إن هذا التحديد فى مسار الحركة التاريخية لسير الصحابة وأهل البيت عليهم السلام أثناء حياة النبى صلى الله عليه وآله وسلم يظهر أن هذه الفترة الزمنية كانت تشهد تجمعين، وأن لكل منهما صفاته وإنجازاته وأهدافه.

باء - إن هذين المسارين أخذوا بالاستقلال فى حركتهما التاريخية بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ أصبح لكل منهما مدرسته الخاصة به، وله أتباعه وتلاميذه الذين ينهلون منه أحكامهم وعقائدهم.

جيم - ظهور بعض الخلافات فيما بين أنصار أعمدة هذين المسارين فى هذه الفترة الزمنية، بسبب اختلاف الرؤى فى فهم الرسالة المحمدية، وطريقة التعايش معها.

دال - التباين فى إنجازات كلا المسيرين فى الجهاد الميدانى، فى ساحات الحروب، أو الجهاد البنائى فى نشوء المجتمع الجديد.

فتقول عليها السلام:

«وبعد أن منى - النبى صلى الله عليه وآله وسلم - بهم (1) الرجال وذؤبان

ص: 83

1- (1) البهم اسم للمذكر والمؤنث، وهى أولاد الضان، والمغرى والسبخال، فإذا اجتمعت قبل لها ابهام وبهم. «الصحاح للجوهري: ج 5، ص 187».

العرب، ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفاها الله، أو نجم قرن الشيطان(1) أو فغرت(2) فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها(3)«(4). «قذف أخاه (أى على بن أبى طالب) في لهواتها، فلا ينكفى(5) حتى يطاء صماخها(6) بأخمسه(7)، ويخمد لهيها بسيفه، مكدوداً(8) في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً في أولياء الله، مشمراً ناصحاً مجدداً كادحاً وأنتم...»(9).

ثم بعد بيانها للحركة التاريخية لمسار أهل البيت عليهم السلام، ممثلاً في هذه الفترة بشخص على أمير المؤمنين عليه السلام تنتقل بعد ذلك لبيان الحركة التاريخية لمسير الصحابة في هذه الفترة الزمنية من عمر الرسالة المحمدية وسير الدعوة النبوية.

ص: 84

-
- 1- (1) نجم: ظهر وطلع.
 - 2- (2) فغر فاه: فتحه، وفغر فوه، أى: انفتح.
 - 3- (3) اللهاة: اللهنة المطبقة في أقصى سقف الفم.
 - 4- (4) الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 136. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 29، ص 224.
 - 5- (5) انكفاً: رجع.
 - 6- (6) الصماخ: خرق الأذن، ويقال: هو الأذن نفسها.
 - 7- (7) الأخمص: ما دخل من باطن القدم فلم يصب الأرض. «الصحاح للجوهري: ج 3، ص 1038».
 - 8- (8) الكد: الشدة في العمل وطلب الكسب، وكددت الشيء: أتبعته «الصحاح، الجوهري: ج 2، ص 530».
 - 9- (9) الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 136. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 29، ص 224.

«وأنتم في رفاهية من العيش، وادعون فاكهون آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون(1) الأخبار وتكصون(2) عند النزال، وتفرون عن القتال»(3).

هذا التباين الواضح في الحركة التاريخية لكلا المسارين ألقى بثقله على الحركة التاريخية للإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، مما أدى إلى تقديم التاريخ بوجهين مختلفين قد تكونت ملامحهما في أروقة المدرسة التاريخية لأهل البيت عليهم السلام والمدرسة التاريخية للمصحابة.

وقد تدخلت السلطات الحاكمة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشكل جذري في الحركة التاريخية لكلا المسارين - كما سيمر بيانه في الفصل القادم -.

وجدير بنا ونحن ندرس الحركة التاريخية عند بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن نستوفي ما جاء عنها عليها السلام في بيان هذه الحركة ومراحل تنقلها حسبما وضعته الزهراء عليها السلام من محطات زمنية لهذه الحركة التاريخية التي ابتدأتها من نقطة الانطلاق الأولى لتاريخ خلق الوجود وإلى انتهاء عمر الدنيا، وما ارتبط بهذه الحركة التاريخية من سنن إلهية رافقت الأمم السابقة وسترافق هذه الأمة.

1- (1) التوكف: التوقع «الصحاح: ج 4، ص 1441».

2- (2) النكوص: الأحجام عن الشيء «الصحاح: ج 3، ص 1060».

3- (3) الاحتجاج للطبرسي: ج 1، ص 136.

من المحطات التي عرضت فيها بضعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحركة التاريخية الكونية، هي الفترة الزمنية التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي توضح فيها حركة تاريخ المسلمين. فتقول عليها السلام:

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، ومأوى أصفياه، ظهر فيكم حسيكة (1) النفاق، وسمل جلباب (2) الدين، ونطق كاظم الغاوين (3)، ونيغ خامس الأقلين (4)، وهدر فنيق المبطلين (5)، فخطر في عرصاتكم (6)، واطلع الشيطان رأسه من مغرزه (7) هاتقا بكم، فالفاكم لدعوته مستجيبين، وللعزة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافا، واحمشكم (8) فالفاكم غصابا فوسمتم (9) غير إيلكم، ووردتم غير مشربكم، هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والجرح لما يندمل والرسول لما يقبر، ابتدارا، زعمتم خوف الفتنة.

ص: 86

- 1- (1) حسكة النفاق: عداوته.
- 2- (2) صار خلقاً، والجلباب الإزار.
- 3- (3) الكظوم: السكوت.
- 4- (4) الخامل: من خفى ذكره وكان ساقطاً لا نباهة له.
- 5- (5) الهدير: ترديد البعير صوته في حنجرتة، والفنيق: الفحل المكرم من الإبل الذي لا يركب ولا يهان.
- 6- (6) خطر البعير بذنبه إذا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذه.
- 7- (7) مغرزه: أي ما يختفي فيه تشبهاً له بالقتف فإنه يطلع رأسه بعد زوال الخوف.
- 8- (8) أي حملكم على الغضب فوجدكم مغضبين لغضبه.
- 9- (9) الوسم: أثر الكي، وهو علامة توضع على الإبل لتشخيصها.

(أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) 21».

وهذا البيان الذى تعرض فيه الزهراء عليها السلام سير الحركة التاريخية للمسلمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تشرك فيه أول السنن التاريخية التى لحقت بالأمم السابقة، مع بيان للنتائج التى أعقبت هذه المقدمات مع تحديد دقيق لعامل الزمن الذى بدأت فيه الحركة التاريخية للمسلمين بمرحلة جديدة، أى حين وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقبل أن يدفن كانت الحركة التاريخية الجديدة قد انطلقت عجالاتها بالدوران لتبدأ مرحلة من السير.

هذا السير الذى شخصت الزهراء عليها السلام مقدماته ونتائج سننه التاريخية، وهو كالاتى:

ثانياً: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام

مثلما كانت الحركة التاريخية تحظى باهتمام بضعة النبى صلى الله عليه وآله وسلم كذلك هو حال السنن التاريخية، فقد ركزت عليها فاطمة عليها السلام متبعة فى ذلك النهج القرآنى والنبوى فى بيان السنن الإلهية التى أجزها الله عز وجل فى الأمم السابقة وتوضيحها.

وحيث أن هذه الأمة ستسير تبعاً لما سارت عليه الأمم السابقة، لاسيما السنن التاريخية التى لحقت ببني إسرائيل حسبما أوضحه النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فإن هذه ستحذو فى سيرها حذو الأمم السابقة؛ بل ستظهر فى هذه

الامة بعض السنن التاريخية الجديدة التي لم تقع في الأمم السابقة، كسنة قتل أولاد الأنبياء وما أعقبها من نتائج، وغير ذلك من السنن.

ومن هذه السنن التاريخية نختار:

ألف: سنة تضاعف النتائج

مثلما قدر الله عز وجل في الحياة الدنيا سنة مضاعفة لنتائج الأفعال كنتيجة تدحرج كرة الثلج، أو سريان الموج في المحيطات، أو سريان النار في الغابات، وغيرها من الشواهد التي تتحدث عن هذه السنة الكونية في مضاعفة النتائج كذلك الحال في السنن التاريخية التي تتحدث عن سلوكيات الأمم والمجتمعات، بل والسلوك الفردي أيضا.

وفي هذه السنة التاريخية تقول الزهراء عليها السلام:

«ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها»(1).

أى: سوف لن يطول الأمر، بى ستسارعون فى مضاعفة نتائج الوقوع فى الفتنة بعد فترة قصيرة كنفرة الدابة، ثم يسهل قيادة الفتنة فى مضاعفة الانحراف فتضاعف النتائج السلبية.

وتمضى عليها السلام فى بيان هذه السنة التاريخية فتقول:

«ثم أخذتم تروون وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهتاف الشيطان الغوى، وإطفاء أنوار الدين الجلى، وإهمال سنن النبى الصفى، تشربون حسوا فى ارتغاء، وتمشون لأهله ولده فى الخمرة»(2).

ص:88

1- (1) الاحتجاج للطبرسى: ج 1. أعيان الشيعة لسيد محسن الأمين: ج 1، ص 316.

2- (2) ما واراك من شجر وغيره، أى الاختباء.

والضراء ويصير منكم على مثل حز المدى ووخز السنان في الحشاء، وأنتم الآن ترعمون: أن لا إرث لنا».

(أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْتَغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)1«2.

ولذلك: تذكركم الزهراء عليها السلام بأن عندهم آية الله عز وجل ومعجزة النبوة التي تصدهم عن الضلال والتردى، لكن مقدمات الفتنة كانت قد سرت فيهم لتتسارع معها سنة مضاعفة النتائج.

قالت عليها السلام:

«فهيئات منكم، وكيف بكم، وأنى توفكون، وكتاب الله بين أظهركم، أموره ظاهرة، وأحكامه زاهرة وأعلامه باهرة، وزواجره لايحة، وأوامره واضحة، وقد خلفتموه وراء ظهوركم. أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟.

(بُسِّ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا)3 ، (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)4«5.

ص:89

هذه السنة التاريخية ترتبط مع سنة مضاعفة النتائج ارتباطا كبيرا، إذ يجر هذا التسارع في مضاعفة النتائج إلى حلول الدمار ونزول العذاب بصورة تناسق فيما بين هذين السنتين، ككرة الثلج كلما كبرت تسارعت وتضاعفت معها الأضرار. تقول عليها السلام:

«فدونكموها فاحتقروها دبرة الظهر، نقبة الخف، باقية العار، موسومة بغضب الجبار، وشنار الأبد، موصولة ب -:

(عَلَيْهَا إِلَّا لَيُعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ) 1.

فبعين الله ما تفعلون.

(سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) 2.

وأنا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إنا عاملون، وانتظروا إنا منتظرون» (U).

جيم: سنة انقلاب الأمم بعد أنبيائها

من السنين التاريخية التي وقعت في الأمم السابقة هي سنة انقلاب الناس بعد غياب أنبيائها أو موتهم؛ ويظهر أن هذه السنة التاريخية كانت قد وقعت في بنى إسرائيل قبل موت موسى عليه السلام مما يكشف عن حجم هذه الفتنة وأثر هذه السنة.

ويبدو أن الحكمة في تذكير النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بتاريخ بنى

ص: 90

إسرائيل وما وقع فيهم من السنن الإلهية كان لأجل أن يحذر أمته من السير على نهج بني إسرائيل؛ إلا أن الأمر الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحقق له.

ولذلك نجد أن هذه الأمة قد حذت حذو بني إسرائيل في انقلابها على أعقابها، غير أن الفارق بين الأمتين أن أمة بني إسرائيل انقلبت في حياة نبيها موسى عليه السلام، وإن هذه الأمة انقلبت بعد موت نبيها صلى الله عليه وآله وسلم والفارق أيضا: أن موسى عليه السلام لم يكن يعلم ماذا سيجرى بعده أثناء غيابه وذهابه لميقات ربه، بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم بما ستؤول إليه أمور أمته من بعده، ولطالما صرح بذلك.

أما عدم علم موسى عليه السلام فقد أظهره القرآن، قال تعالى:

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ نَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ)1.

وأما علم النبي المصطفى بحال قومه من بعده فقد صرح به القرآن الكريم في قوله تعالى:

(وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْتَابْتُمْ عَلَىٰ آخِفَائِكُمْ)2.

وأظهرته السنة، فقد روى البخارى فى صحيحه عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إنكم تحشرون حفاة عراة.

- إلى أن يقول -:

وأناسا من أصحابي فيؤخذ بهم ذات الشمال!! فأقول أصحابي أصحابي، فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم...»(1).

وروى مسلم في صحيحه، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«انا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن عليهم فأقول يا رب أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»(2).

وفي لفظ آخر أخرجه أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«فأقول أصحابي أصحابي فيقال إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك.

قال:

فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدي»(3).

أما بضعة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد كشفت الأمر عن الحقيقة

ص:92

1- (1) صحيح البخاري: ج 4، ص 110. مسند أحمد بن حنبل: ج 6، ص 53. المستدرک للحاكم النيسابوري: ج 2، ص 447.

2- (2) صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وآله وسلم، ج 7، ص 68. مسند أحمد بن حنبل: ج 1، ص 384. كنز العمال للمتمقى الهندي: ج 14، ص 418، المبعث والحشر، الحوض.

3- (3) مسند أحمد بن حنبل: ج 5، ص 333. صحيح البخاري، كتاب الفتن: ج 8، ص 87. الايضاح لفضل بن شاذان الأزدي: ص 233. إمتاع الأسماع للمقريزي: ج 14، ص 223.

القرآنية والواقعية؛ لأنها عاشت هذه اللحظات التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجرت فيها هذه السنة التاريخية، وقد خصت عليها السلام الأنصار في خطابها فتوجهت إليهم قائلة:

«يا معشر النقيبة(1) وأعضاء الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميمة(2) في حقى والسنة(3) عن ظلامتى؟ أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبى يقول (المرء يحفظ فى ولده)؟»(4).

وهنا: تجمع الزهراء عليها السلام بين حركة التاريخ لمسار الأنصار فى حياة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وحركة التاريخ لمسارهم بعد وفاته صلى الله عليه وآله وسلم؛ ثم تنطلق من هذا البيان إلى تحرك السنن التاريخية فى أمة أبيها صلى الله عليه وآله وسلم، فتقول:

«سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة(5) ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول، أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله وسلم؟ فخطب جليل: استوسع وهنه(6) واستنهر(7) فتقه وانفتق رتقه، واظلمت الأرض لغيته، وكسفت الشمس والقمر، وانتثرت النجوم لمصيبته، وأكدت الآمال(8)،

ص:93

1- (1) النقيبة: الفتية.

2- (2) الغميمة: بفتح الغين المعجمة الزاى - ضعفة فى العمل.

3- (3) السينة: النوم الخفيف.

4- (4) الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 139.

5- (5) إهالة: بكسر الهمزة: الدسم، وسرعان ذا إهالة: مثل يضرب لمن يخبر بكنينة الشىء قبل وقته.

6- (6) وهنه الوهن: الخرق.

7- (7) واستنهر: اتسع.

8- (8) أكد: قل خيرها.

وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمه عند مماته، فتلك والله النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا بانقة (1) عاجلة، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه، فى أفنيتكم، وفى ممساكم، ومصبحكم، يهتف فى أفنيتكم هتافاً، وصراخاً، وتلاوة، وألحاناً، ولقبه ما حل بأنبياء الله ورسله، حكم فصل، وقضاء حتم:

(و ما مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ)2»3.

دال: سنة رين القلوب بين الأسباب والنتائج

من السنن التاريخية التى عرضها القرآن مجملاً ومفصلاً هى سنة رين القلوب، فمن حيث المجمال يذكر القرآن الأسباب التى تؤدى إلى تكون هذه السنة وآثارها ممثلاً ذلك بالنتائج. قال تعالى:

وَلِئَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (10) الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بَيِّمَ الدِّينِ (11) وَمَا يُكذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ (12) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (13) كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)

ص:94

وذكرها القرآن مفصلاً في سير حديثه لنتائج تكذيب الأنبياء عليهم السلام، ويظهر من العرض المجمل والمفصل لهذه السنة التاريخية أن الأساس في تكونها هو التكذيب بما جاءت به الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم، فيلحقه التكذيب باليوم الآخر، ليصل إلى ذروته في حجب الأذن عن كل موعظة أو إنذار أو تحذير أو آية أو معجزة، فيكون عند ذلك الرين على القلب أى حجبتها وصدأها وموتها عند ذلك فلا حياة لها.

وإذا ما وصلت القلوب إلى تلك المرحلة تمادت في الظلم، وظهر منها ما لم يظهر من أشد الوحوش قساوة وشراسة والعياذ بالله.

ولذلك تتوجه عليها السلام في بيانها لهذه السنة التاريخية وما يعقبها من نتائج إلى عامة الناس من المهاجرين والأنصار والأعراب، لأن الأمر لم يتعلق بفئة محددة بل بقانون إلهي وسنة ربانية جرت في جميع الأمم السابقة، وقد وقعت في هذه الأمة. فقالت عليها وعلى أبيها وعلى بعلها وولدها الصلاة والسلام:

«معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضية على الفعل القبيح الخاسر.

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)1.

كلا بل ران على قلوبكم ما أسأتكم من أعمالكم، فأخذ بسمعكم وأبصاركم، ولبس ما تأولتم، وساء ما به أشرتكم، وشر ما منه اغتصبتكم، لتجدن والله محمله ثقيلًا، وغبه وبيلا، إذا كشف لكم الغطاء، ويان بأورانه الضراء، وبدا لكم من ربكم ما لم تكونوا تحتسبون، وخسر هنالك المبطلون»(2).

ص:95

1- (2) الاحتجاج للطبرسي: ج 1، ص 144، ط دار النعمان، النجف.

في الوقت الذي كانت فيه فاطمة الزهراء عليها السلام تحذر المسلمين من الوقوع في فم السنن التاريخية التي توجد السلوكيات المنحرفة، فتتذف بها في الهاوية والخسران المبين - كانت عليها السلام أيضا - تذكر بالسنن التاريخية التي تكون وليدة السلوكيات المستقيمة والمنضبطة بضوابط الشريعة المقدسة، وما تثمره من نتائج خيرة تعود على الإنسان بالسرور والخير والبركة في الدنيا والآخرة.

قالت عليها السلام:

«وما الذي تقوموا من أبي الحسن عليه السلام؟! تقوموا والله منه نكير سيفه، وقلة مبالاته لحتفه، وشدة وطأته، ونكال(1) وقعته، وتنمره(2) في ذات الله.

وتالله لو مالوا عن المحجة اللايحة، وزالوا عن قبول الحجة الواضحة، لردهم إليها، وحملهم عليها ولسار بهم سيرا سجحا(3)، لا يكلم(4) حشاشه، ولا يكلم(5) سانه، ولا يمل راكمه، ولا يوردهم منهلا نميرا(6)، صافيا، روبا، تطفح صفته ولا يترق جانباه وأصدرهم بطانا، ونصح لهم سرا وإعلانا، ولم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، ولا يحظى منها بنائل(7)،

ص:96

1- (1) النكال: ما نكلت به غيرك كأننا ما كان.

2- (2) تنمر: عيس وغضب.

3- (3) سجحا: سهلا.

4- (4) يكلم، كلمه: جرحه.

5- (5) يكلم: يتعب.

6- (6) النمير: الأبيض.

7- (7) النائل: مثل الذي يعدو وعليه حمل ينهض به، أى لم يكن يحتمل من الدنيا بحمل.

غير رى الناھل، وشبعة الكافل، ولبان لهم: الزاهد من الراغب والصادق من الكاذب.

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)1.

(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِن هَٰؤُلَاءِ سَنصِيبُهُمْ سِنِينَ مَّا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ)2،3.

بمعنى أن رواد هذه المدرسة قد تعلموا مناهج كتابة التاريخ، لا الرواية بمنهج (حدثنا، وأخبرنا) فقط.

ومن هنا:

فإن سليمان بن قيس الھلالی ومحمد بن إسحاق المطلبی وأشباههما لم يكونوا قد أوحى إليهم هذا الوعي التاريخی، بل إنهم تتلمذوا في مدرسة القرآن والعترة النبوية الطاهرة، فتخرجوا منها وهم مسلحون بهذا الوعي التاريخی والنقدی، فكتب الأول التاريخ بوجهه الحقیقی الذي لا يروق لأصحاب الأهواء والميولات والمصالح والأغراض قديما وحديثا، وحرص الثاني على تدوين السيرة النبوية بما مكنته قواه من جمع أخبارها وبيان أحوالها؛ وإن لم تكن تروق لأقطاب عصره فحورب وهجر واضطهد لذلك.

ص: 97

ولم يكن سليم بن قيس بالأحسن حالا منه فهو الآخر قد فرّ بدبته وعلمه من بلد إلى آخر، حتى وافته المنية في دار غربة مظلوما مهتضما - كما سيبر بيانه لاحقا -.

ولذلك: لا بد أن يكون هناك رؤية جامعة وحاذقة في آن واحد عند من أراد أن يتعرف على التاريخ، ولا سيما التاريخ العربي والإسلامي.

ولا بد أن يكون عند مدون التاريخ وقارنه منهج يعتمد على دراسة الإنسان وطبيعته البشرية وما يبيديه من سلوكيات، فما الحدث التاريخي إلا صناعة بشرية، ولمعرفة هذه الصناعة وما يرتبط بها من آثار على البشر أيضا، فلا بد من دراسة العناصر البشرية المكونة والموجودة لهذه الصناعة، التي هي الحدث التاريخي.

قال المؤرخ البلجيكي الشهير هنري بيران: (إن الحدث التاريخي هو الذي يؤكّد نتائج(1)).

وقال مارك بلوك:

(لا يعنى التاريخ جمع وتكديس كل أخبار الماضى، الكثيرة المتنوعة، بل هو علم المجتمعات البشرية) ثم يوضح: (الأحداث التاريخية هي في جوهرها وقائع نفسانية(2)).

ويؤكد آرون: (أن الواقعة الخاضعة تماما للقوانين المتواترة ليست حدثا تاريخيا(3)).

ص:98

1- (1) مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص 72 و 73.

2- (2) نفس المصدر.

3- (3) المصدر السابق.

يفرض هذا المنهج - فضلا عن دراسة السلوكيات البشرية - نقد الحدث التاريخي، لأن (الأحداث بمثابة جزئيات مختزلة من التيار الزماني، قابلة أن تكون أسبابا جامعة إلى نتائج في حاجة إلى أسباب، وصاحب الأمر في هذه القضية هو المؤرخ الذي يسمى الأشياء فيقول هذه سابقة وهذه لاحقة، بالنظر إلى قضية مطروحة، مجموعة الشواهد يقابل مجموع الأحداث المذكورة (المروية) المحفوظة، ونسبة هذه بتلك هو بالضبط ما يعرف بالنقد(CI).

لان التاريخ الذي لا يعطى نتائج في تقدم الأمم وتحسين سلوكها وبناء كيانها هو تاريخ ميت، وإن أقل ما يمكن أن يقال فيه أنه غير متحرك.

والظاهر أن من أهم أسباب موت التاريخ هو عدم إشغال العقل البشري فيه، ومزجه بأحداثه خشية أن تتعري رموز الأحداث التي قد أحيطت بهالة من المحاذير التي وضعها ناقلو الحدث - ربما - وربما تجنبنا للوقوع فيما يخالف الموروث عند الآباء والأجداد.

وربما حرصا من المؤرخ على نقل التاريخ كما نقل إليه، كما يقول الطبرى في مقدمة كتابه:

«إن اعتمادي في كل ما أحضرت ذكره فيه والآثار التي أنا مسندها إلى روايتها فيه دون أن أدرك بحجج العقول واستنبط بفكر النفوس إلا اليسير القليل منه؛ إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين وما هو كائن من أبناء الحادئين غير واصل إلى من لم يشاهدهم، ولم يدرك زمانهم إلا بإخبار المخبرين ونقل الناقلين دون

الاستخراج بالعقول والاستنباط بفكر النفوس، فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه من بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يتشعنه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقلية إلينا وأنا إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا»(1).

وربما حرصا على تكثير الصحائف كما يقول فولتير إمام التاريخ الفلسفي: (لورضى المؤلفون بأن يقدموا العقل على الحفظ، وأن يمحسوا الأخبار قبل رواياتها لما تمادوا في تسويد الصحائف ونشر الأغاليط)(2).

في حين كان ينبغي بأصحاب هذا النهج تقديم المصلحة البشرية والسعى في دفع حركة الإصلاح المجتمعاتي قبل الخوض في تدوين الحدث أو على الأقل شمول الحدث بحقائق وأسباب موجداته، وهو الأمر الذي يدعو إليه كثير من المختصين بعلم التاريخ.

يقول فوستيل حامل لواء التاريخ النقدي: (لا يكفي أن نقرأ النصوص، يجب أن نقرأها قبل أن نجعل من آرائنا عقيدة راسخة)(3).

ويقول ابن خلدون: (وتمحيصه، - أي: التاريخ - إنما هو بمعرفة طبائع العمران، وهو أحسن الوجوه وأوثقها في تمحيص الأخبار وتمييز صدقها من كذبها، وهو سابق على التمهيص بتعديل الرواة، ولا يرجع إلى تعدى الرواة حتى يعلم أن ذلك الخبر في نفسه ممكن أو ممتنع)(4).

ص:100

1- (1) تاريخ الطبري: ج 1، ص 5.

2- (2) مفهوم التاريخ لعبد الله العروى: ص 88.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) تاريخ ابن خلدون: ج 1، ص 37.

ويقول في المعنى نفسه:

«فإن كل حادث من الحوادث، ذاتا أو فعلا، لا بد له من طبيعة تخصه في ذاته وفيما يعرض له من أحواله، فإذا كان السامع عارفا بطبائع الحوادث والأحوال في الوجود ومقتضياتها، أعانه ذلك في تمحيص الخبر على تمييز الصدق من الكذب، وهذا أبلغ في التمحيص من كل وجه يعرض»(1).

بينما يرى الجاحظ أن: (دلائل الأشياء أشد تثبيتا من أقوال الرجال)(2).

ويرى غيره من أعلام الفكر الغربي، وهو «بول فين»، أن: (لا تقدّم أصلا في كتابة التاريخ، وإنما يحصل التقدم في نقد النصوص واختيار الموضوعات)(3).

إذن هذه الدعوات التي دعى إليها المتخصصون في دراسة التاريخ من المفكرين الغربيين والإسلاميين كإبن خلدون هي في الواقع كانت منهجاً عملياً من مناهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام والذي كان سبباً في اضطهاد رموز هذه المدرسة ومحاربتهم لمنع وصول هذا الفكر التاريخي والتوعوي إلى الأمة.

وهو الأمر الذي حرص على منعه الساسة والمتزلفين لهم من الرواة والمحدثين.

ص: 101

1- (1) تاريخ ابن خلدون: ج 1، ص 36.

2- (2) مفهوم التاريخ: ص 214، (الهامش).

3- (3) مفهوم التاريخ: ص 196.

إن حركة السيرة النبوية هي امتداد لحركة التاريخ إن لم تكن هي نفسها، ولاسيما عند المؤرخين العرب، بجعل ما يحمله التاريخ من مفهوم تسجيل الحوادث وروايتها سواء كانت ذات ارتباط ديني أم مادي هو نفسه الذي ينطبق على حركة السيرة النبوية مع ترجيح الطابع الديني لما تحاط به السيرة النبوية من ارتباط بالسماء في كونها تختص بتسجيل حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

ويرى آخرون أن التاريخ تأثر في كتابته بالمبادئ الإسلامية، ويتكون امبراطورية عربية، وبالميول والعصبية القبلية، وبالنزعة الأقليمية، وإن بداياته الأولى كانت في أوساط المعارضة للحكم الأموي في البصرة والكوفة وفي المدينة(1)، أي: أن حركتي التاريخ والسيرة كانتا تسيران جنباً إلى جنب.

ويرى بعض الباحثين: «أن التيار الذي يحمل تراث العرب قبل الإسلام، وفي مجال المعرفة التاريخية، قد ترك تأثيراً واضحاً على صياغة سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، لاسيما الجزء الذي يتناول حياته في المدينة وغزواته، فقد كان كتاب المغازي في تناولهم لهذه المرحلة من حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحاكمون

قدامى القصاصين فى تناولهم لأيام العرب فى الجاهلية، وربما كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فى المغازى يحتل مكانة شبيهة بتلك المكانة التى كان البطل يحتلها فى «الأيام»⁽¹⁾.

فى حين يرى البعض: «أن الوقت الذى كانت الثقافة العربية، الإسلامية فيه تنمو وتتضح كان التاريخ جزءا منها وكان ينمو ويشهد عوده بدوره معها، فهو ابن تلك الحركة الثقافية الواسعة التى امتدت منذ أواسط القرن الأول الهجرى فى دمشق، وبلغت شبابه فى عهد المأمون فى مطلع القرن الثالث.

وأشد روابط التاريخ قوة إنما كانت مع علم الحديث والسيرة من جهة ومع علوم الأنساب واللغة والأدب من جهة أخرى، لأنه إنما اشتق من ضلعها، وقد مشى خطواته الأولى خاصة مع السيرة النبوية»⁽²⁾.

أى بمعنى: أن حركة السيرة النبوية كانت الأسبق على حركة التاريخ عند العرب، وهى التى دفعت الحركة التاريخية إلى الظهور والتطور حتى وصلت إلى الحوليات، لينبتق من هذه الحركة تواريخ تعنى بالسياسة والاجتماع والاقتصاد والأدب والثقافة والأثر وبولوجيا، وغيرها.

وبهذا يتضح تعدد وجهات النظر فى تحديد الأسبقية والتبعية فى كلا الحركتين على الأخرى، أى حركة السيرة النبوية وحركة التاريخ عند العرب.

والأمر المهم من البحث فى هذه الآراء هو تشخيص الوعى فى الالتفات إلى تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو تاريخ العرب قبل ظهور الدين

ص:106

1- (1) النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ لحسن سلمان: ص 276.

2- (2) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 86.

الإسلامى وبعده، ومما لا شك فيه أن للإسلام الدور الفعال فى خلق هذا الوعى التاريخى وتطويره، مما انعكس إيجاباً على رقد الوعى التاريخى عند العرب، لاسيما وأن المتتبع لحال العرب الثقافى والنفسى والاجتماعى قبل الإسلام وحسبما تم عرضه فى السنن التاريخية عند بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يلمس بعمق الأثر الفعال للإسلام فى خلق هذا الوعى عند المسلمين.

كما أن الباحث المتفحص للنصوص ينكشف له بوضوح وجود نوعين من الوعى التاريخى عند المسلمين.

النوع الأول: هو الوعى المجرد

النوع الثانى: هو الوعى المعرفى

النوع الأول: الوعى الفطرى

وهو الوعى الذى نشأ عند العرب من خلال دور القرآن والنبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما حملته الاثنان من بيان للتاريخ الأسمى الذى استعرضا فيه حياة الشعوب منذ نشأتها وبلوغ أوجها، ثم أفولها واندثارها مما عمل على تحريك العقلية العربية فى الالتفات إلى تسجيل هذا التاريخ سواء عن طريق الحديث الشريف، أو عن طريق آراء الصحابة فى تفسير الآيات القرآنية التى لم يرد فيها نص نبوى.

ويكون هذا الوعى مجرداً عن البحث والدراسة فى الحدث التاريخى، ومدى واقعيته، ومدى مدخلية الزمان والمكان، والأجواء السياسية، والنفسية، والمذهبية فى تكوينه.

وهو الوعي الذى تكوّن عند بعض المسلمين فى تسجيل الحدث التاريخى مع النظر فى واقعية هذا الحدث والأسباب الموجدة له، وبيان دور الزمان والمكان وما يصاحبهما من أفكار مذهبية، وسياسية، و نفسية، واجتماعية.

وهذا النوع من الوعي المعرفي تكون من خلال دور أهل البيت عليهم السلام فى تأسيس هذا المنهج البحثي فى عناصر الحدث، لاسيما دور أمير المؤمنين على عليه السلام وبضعة النبی فاطمة عليها السلام فى بيان حركة التاريخ وسننه - كما مر - مما كان البداية لتطور منهج الجرح والتعديل عند المسلمين، الذى اقتصر على النظر فى المستوى المذهبي لحرفة الرواية.

حسبما أسسه أهل هذا المنهج؛ وهم جماعة الحفاظ فى وضع الشروط الخاصة بهم، دون أن يكون لهذه الجماعة رأى فى التوجهات السياسية التى فرضتها أجندة الحكام الذين تعاقبوا على السلطة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكان له الأثر المباشر فى خلق الأحداث وتسييرها وصياغتها فيما بعد، بما يتناسب مع تلك التوجهات السلطوية.

ولذا نجد كثيراً من شراح البخارى ومسلم، حينما يمر بهم حديث يختلف مع القرآن، ويمجه الذوق السليم نجدهم يلتمسون العذر لهذه الشخصية أو تلك، كموت بضعة النبی صلى الله عليه وآله وسلم وهى واجدة على أبى بكر؛ وكخروج عائشة زوج النبی صلى الله عليه وآله وسلم من دارها لحرب على أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أمرت أن توفى فيه؛ وكاختلاف الصحابة فى موضع دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ وكقول عمر بن الخطاب: دعوه إنه ليهجر وغيرها كثير من الأحداث التاريخية التى لا يسع البحث تتبعها.

وعليه؛ فقد تركت هذه الأحداث مع ما أوجده أهل البيت النبوى عليهم السلام من منهج الوعى المعرفى أثرها الفعال فى تكوين البنيوية العقلية عند رواد هذه المدرسة، فتم رصد الحدث التاريخى وتشخيص الأسباب والنتائج، وفهم الأدوار البشرية، ومقدار مدخليتها فى خلق الحدث الإسلامى.

ولولا هذا المنهج من الوعى المعرفى لضاعت المنات من الحقائق التاريخية، التى قُدمت بسلمات مغايرة لما عليه واقعها، فكان بين يدى المسلمين نوعان من التاريخ، تاريخ مجرد من الوعى، وتاريخ ملئ بالوعى؛ مما ساعد على تكوين بنيوية عقلية ومعرفية لدى القارئ.

المبحث الثانى: تدوين السيرة النبوية

إشارة

لم تتمكن الدراسات التاريخية من تحديد الوقت الذى ظهر فيه أمر التدوين عند العرب بشكل دقيق، على الرغم من أن الدراسات التى تناولت هذا الموضوع كانت منذ أكثر من مائة عام.

(وهى كثيرة بالقياس إلى الأبحاث التى تمت فى أكثر المجالات الأخرى للتراث العربى، ومع هذا كله، ونظرا لأن الآراء فى هذا الموضوع لا تزال مختلفة متضاربة، فإنه يكاد يصبح متعذرا على المؤرخ أن يقدم عرضا إجماليا لهذا الموضوع بنفسه، وأن يخضع النتائج التى توصل إليها الباحثون للفحص النقدى من جديد).⁽¹⁾

وتدور أغلب الدراسات التاريخية حول محورين، المحور الأول: يذهب إلى أن الحديث كان يتداول أساسا بالرواية الشفوية، بمعنى: انعدام التدوين فى

ص: 109

1- (1) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: ج 2، ص 6.

القرن الأول ومطلع القرن الثاني الهجرى وأن الأحاديث والأخبار كانت تنقل بالأسانيد.

ويدور المحور الثاني: حول وجود كتب قديمة سبقت مرحلة التدوين التي ظهرت فى القرن الثاني (1) الهجرى، أى بمعنى، وجود كتب دونت فيها الأحداث والوقائع التاريخية، ولاسيما فيما يختص بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنها كانت المادة الأساس التي نقل عنها الطبرى وغيره.

والظاهر أن السبب فى اختلاف هذه الدراسات، وعدم تمكنها من تحديد ظاهرة التدوين يعود إلى رأيين:

الرأى الأول: هو الاعتقاد بوجود التدوين قبل الإسلام وبعده

وأصحاب هذا الاعتقاد يرجعون إلى مجموعة شواهد وهى كالآتى:

أولاً: وجود مجموعة شواهد تؤكد وجود ظاهرة التدوين عند العرب حتى قبل مجىء الإسلام، فقد ورد فى عدد من الأخبار ما يفيد (بأن دواوين الشعراء قبل بدء الإسلام بفترة قصيرة وفى السنوات الأولى للإسلام كانت ترد شفها عن طريق الرواة مع أنها كانت مكتوبة مدونة)⁽²⁾.

ثانياً: ورود نصوص قرآنية تأمر المسلمين بالكتابة فى عقد (الدين) لإثبات حقوق صاحب المال؛ قال تعالى:

ص:110

1- (1) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج 1، ص 151 و 229؛ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ج 1، ص 351؛ تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطى: ص 261.

2- (2) تاريخ التراث العربى لفؤاد سركين: ج 2، ص 3.

(بِأَيِّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ)1.

وهذا يستلزم وجود عدد لا بأس من الذين يقرؤون ويكتبون، كما يستلزم وجود ظاهرة التدوين في المجتمع المكي.

ثالثا: قيام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم ببعث بعض الرسائل إلى الحكام والملوك الذين عاصروه؛ كقصر الروم وكسرى الفرس.

رابعا: كتابة قريش الصحيفة التي اتفقوا فيها على فرض الحصار الاقتصادي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومن آمن به من المسلمين، وحصارهم في شعب أبي طالب، وتعليق هذه الصحيفة على جدار الكعبة.

خامسا: كتابة بنود صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل مكة.

سادسا: رواية بعض الصحابة وصايا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتبه المكتوبة؛ كرسالته التي يرويها عمرو بن حزم بن زيد، والتي يبين فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفرائض والزكاة والديات(1).

سابعا: رواية الصحابة الكتب التي تحمل أوامر الخلفاء إلى الولاة، كما هو حال الكتاب الذي بعثه عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري عن الصلاة(2).

ص:111

1- (2) الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ج 2، ص 1264.

2- (3) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 59.

ثامنا: رجوع بعض الصحابة إلى ابن عباس في عرض بعض المدونات التي لديهم(1).

تاسعا: امتلاك بعض الصحابة صحائف خاصة بهم، يدونون بها الحديث؛ كالصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري(2).

عاشرا: وجود عدد كبير من الصحائف والكتب عند مجموعة من الصحابة، وأنها منعت من الظهور إلا بعد وفاتهم بسنين فأصبحت جزءا من ميراث أبنائهم وأحفادهم، وهم الذين كشفوها فيما بعد لأسباب ستمر الإشارة إليها، ومما يدل عليه قول أبناء الصحابة: (وجدت في كتاب آبائي) أو (وجدت في كتاب أبي)(3).

حادى عشر: روى عن أبي هريرة قوله للحسن بن عمرو بن أمية الضمري وهو يسأله عن حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأجابه أبو هريرة قائلا: (إن كنت سمعته مني فهو مكتوب عندي، فأخذ بيدي إلى بيته فأرانا كتبا كثيرة من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فوجد ذلك الحديث، فقال: قد أخبرتك إن كنت حدثت بك به فهو مكتوب عندي)(4).

ثاني عشر: فضلا عما تقدم فما أمر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم المسلمون بكتابة العلم وتدوينه لخير دليل على كتابة بعض الصحابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته مع تدوينهم رسائل وصحائف في الفرائض وأحكامها.

ص:112

1- (1) الإصابة لابن حجر عن ميمون بن مهران عن ابن عباس: ج 2، ص 809.

2- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 467.

3- (3) الإصابة لابن حجر: ج 2، ص 162.

4- (4) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر: ج 1، ص 74.

وقد روى الحفاظ قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قيدوا العلم بالكتاب».

من طرق عدة.

الطريق الأول: عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قيدوا العلم»

قلت يا رسول الله وما تقييده؟ قال:

«الكتاب»(1).

والطريق الثاني: عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قيدوا العلم بالكتاب»(2).

والطريق الثالث: عن أنس بن مالك، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«قيدوا العلم بالكتاب»(3).

فضلاً عما روى عنه صلى الله عليه وآله وسلم من ألفاظ أخرى تأمر المسلمين بالكتابة:

ص:113

1- (1) مستدرک الحاکم: ج 1، ص 106. جامع بيان العلم لابن عبد البر: ج 2، ص 27.

2- (2) الحد الفاصل لرامهرمزي: ص 365.

3- (3) المعجم الكبير للطبراني: ج 1، ص 246؛ ناسخ الحديث لعمر بن شاهين: ص 576؛ مسند الشهاب لابن سلامة: ج 1، ص 370.

1 - فعن يوسف بن ماهك عن عبد الله بن عمرو قال: كنت أكتب كل شيء أسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأريد حفظه فنهتني قريش وقالوا نكتب كل شيء نسمع من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بشر يتكلم في الرضا والغضب، قال: فأمسكت فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال:

«أكتب فوالذي نفسى بيده ما خرج منه إلا حق وأشار بيده إلى فيه»(1).

2 - عن عقيل بن خالد، عن عمرو بن شعيب: إن شعيباً حدثه ومجاهداً أن عبد الله بن عمرو حدثهم أنه قال: يا رسول الله أكتب ما أسمع منك؟ قال:

«نعم».

قلت: عند الغضب والرضا؟ قال:

«نعم، إنه لا ينبغي لى أن أقول إلا حقاً»(2).

وقريب منه ما روى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام، قال:

«قيدوا العلم بالكتابة»(3).

فهذه الشواهد وغيرها كونت لدى الباحثين الاعتقاد بوجود التدوين حتى قبل مجيء الإسلام، وأن المؤرخين والمحدثين والفقهاء كانوا يرجعون إلى كتب مدونة فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحياته وحياته أصحابه إلا أن

ص: 114

1- (1) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج 1، ص 106.

2- (2) المستدرک للحاکم النیسابوری: ج 1، ص 105.

3- (3) الثاقب فی المناقب لابن حمزة الطوسی: ص 278.

ظهورها تأخر ثلاثة قرون لأسباب عديدة، مما خلقت عند البعض الآخر من الباحثين اعتقاداً مخالفاً لهذا الرأي، وهو عدم وجود ظاهرة التدوين في القرن الأول الهجري ومنتصف القرن الثاني لأسباب عدة، منها:

الرأي الثاني: عوامل نشوء الاعتقاد بتأخر التدوين إلى منتصف القرن الثاني للهجرة

لقد ظهرت لدى بعض الباحثين مجموعة من الشواهد قادتهم إلى الاعتقاد بتأخر نشوء التدوين وظهوره في القرنين الأولين من عمر الإسلام، وهي كالآتي:

أولاً: نهى النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عمر بن الخطاب عن كتابة أحاديث اليهود مما انعكس سلباً فيما بعد حينما تولى الخلافة، فمنع كتابة حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حسب اجتهاده.

فقد روى ابن الأثير: (إن عمر بن الخطاب قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا! أفترى أن نكتبها؟ فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

«أمتهوكون كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جنتكم بها بيضاء نقية»⁽¹⁾.

والحديث واضح الدلالة في نهى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن كتابة أحاديث اليهود، كي لا تدخل الإسرائيليات وما حرف من كتاب التوراة وشرايع اليهود إلى الإسلام، ولذا علل قوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«لقد جنتكم بها بيضاء نقية».

ص: 115

1- (1) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير: ج 5، ص 282. لسان العرب لابن منظور: ج 12، ص 400.

فى حفن أن الحدفث فدل أفضا على وءوء ءالة الفءوفن فى هءا الوءف فى الإسلام.

ءانفا: وفظهر من الروافاء أن عمر بن الءطاب كان له أكثر من مءاولة فى إءءال آءافء الءهوء إلى الشرعة الإسلامفة؛ والنبى الأعظم صلى الله علیه وآله وسلم فمفع ذلك.

ففى روافة آءرى: (أن عمر بن الءطاب ءاء بءوامع من الفوراة إلى النبى صلى الله علیه وآله وسلم فقال: مررف على أنء لى فى قرفةة فءفب لى ءوامع من الفوراة أفلا أعرض علىء؟.

فءءفر ءه رسول الله صلى الله علیه وآله وسلم، فقال الأنصارى: أما ترى ما بوءه رسول الله صلى الله علیه وآله وسلم؟!.

قال عمر: رضفء بالله ربا وبالإسلام ففنا، وبمءمء رسولاً؛ فءهء ما بوءه رسول الله، فقال صلى الله علیه وآله وسلم:

«والءى نفسى ففءه لو أن موسى أصبح ففكم ثم افبعفموه وترففمونى لصلفمف، أفم ءظى من الأمم وأنا ءظكم فى الففبن»(L).

فالءفءف فظهر نهى النبى الأعظم صلى الله علیه وآله وسلم عن ءءابة شرائع الءهوء الفى ءرفف ءوفا منه على الأمة من الوءوع فى الظلال والافءراف وءءرفم ما أءل الله وءءللل ما ءرم الله، ولم فكن نهفه صلى الله علیه وآله وسلم عن ءرفة ءءابة والفءوفن للعلوم الإسلامفة.

ص:116

1- (1) مءمع الزوافء للهفمى: ء 1، ص 174.

ويبدو أيضا أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم كان يرى أن المسلمين حدثوا العهد بالاسلام، ومن السهل على كثير منهم أن يتسرب إلى فكره وعقيدته ما هو باطل أو مخلوط، بباطل وما أكثر الشبهات! ولذا منع ذلك.

ثالثا: إقدام أبي بكر على حرق أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي كانت قد كتبت على صحائف كما يروى الذهبي في روايتين.

1 - عن عائشة أنها قالت: جمع أبي الحديث عن رسول الله وكانت خمس مائة حديث، فبات ليلته يتقلب كثيرا، قالت فغممني، فقلت: أنتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟.

فلما أصبح، قال:

«أى بنية، هلمى الأحاديث التى عندك، فجننت بها، فدعا بنار فحرقها».

فقلت: لم أحرقتها!؟

قال:

«خشيت أن أموت وهى عندى فيكون فيها أحاديث عن رجل قد اتتمنته ووثقت (به) ولم يكن كما حدثنى فأكون قد نقلت ذلك» (1).

والحديث واضح الدلالة على أن الصحابة كانت تكتب حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإلا كيف لعائشة أن تجمعها فيحرقها أبوها ما لم تكن مكتوبة فى صحائف.

ص: 117

1- (1) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج 1، ص 5.

كما يدل الحديث على نشوء ظاهرة منع الحديث النبوي جملة وتفصيلاً، من خلال قيام أبي بكر بحرق جميع هذه الأحاديث دون النظر فيها لدفع ما كان يتخوف منه، بمعنى لو كان الدافع في حرقها هو احتواءها على بعض من لم يثق به الخليفة للزم منه عزلها وإبقاء التي فيها من يثق بهم لا أن تحرق جميعها. ولذلك تركت هذه الحادثة شعوراً عند البعض في منع كتابة الأحاديث الشريفة وروايتها مهما تكن رتبتهما صحيحة أو ضعيفة أو مكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

2 - عن ابن أبي مليكة قال: «إن أبا بكر جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون عن رسول الله أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافًا، فلا تحدثوا عن رسول الله شيئاً! فمن سألكم فقولوا بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه» (1).

والحادثة تدل على تعميم المنع لرواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتحديث بها، وهذا يلزم أن يمتنع الناس عن كتابة هذه الأحاديث للحد من نشرها، كما يلزم إتلافها وحرقها امتثالاً لما قام به الخليفة، وبكلا الحالتين تركت هذه الحادثة شعوراً لدى بعض الباحثين بانعدام التدوين عند العرب، وتأخر نشأته إلى ما بعد مائة وخمسين سنة من الهجرة.

رابعاً: ومما عظم الاعتماد بانعدام التدوين عند العرب، وتخلفهم عن الكتابة هذه السنين هو اعتمادهم على ما قام به عمر بن الخطاب من حرق جميع الكتب التي كانت عند الصحابة، والتي احتوت على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تؤكد روايات، منها:

ص: 118

1- (1) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج 1، ص 32.

1 - روى: «أنه لما بلغه - أى: عمر بن الخطاب - أنه قد ظهرت فى أيدى الصحابة، كتب استنكرها وكرهها وقال: أيها الناس إنه قد بلغنى أنه قد ظهرت فى أيديكم كتب، فأحبها على الله أعدلها وأقومها، فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتانى به، فأرى فيه رأى».

فأتوه بكتبهم، فأحرقها بالنار ثم قال: أمنية كأمنية أهل الكتاب»(1).

وهذا يدل على أن الصحابة كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بدلالة قوله:

«فلا يبقين أحد عنده كتابا إلا أتانى به».

2 - عن يحيى بن جعدة: أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنة، ثم بدا له أن لا يكتبها، ثم كتب فى الأمصار من كان عنده شىء فليمححه(2).

ومن البديهي أن يكون فعل المحو من لوازم الكتابة فلو لم يكن عند المسلمين من غير أهل المدينة - وهم الذين عبر عنهم ب - (الأمصار) أى فى المدن الإسلامية الأخرى - كتب مدون فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما طلب منهم أن يحوها ما كتبوه من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

3 - وروى أيضا «أنه قد أستشار الصحابة فى تدوين أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فأشاروا عليه بأن يكتبها، فطفق يستخير الله فيها شهرا، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له، فقال: إني كنت أردت أن أكتب السنن وإني ذكرت

ص:119

1- (1) تاريخ الإسلام للذهبي: ج 7، ص 221؛ الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 188؛ سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 5، ص 59.

2- (2) تقييد العلم: ص 53؛ حجية السنة: ص 395؛ من حياة الخليفة عمر بن الخطاب للبكري: ص 274.

قوما كانوا قبلكم كتبوا كتباً فأكبوها عليها، فتركوا كتاب الله تعالى، وإني لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً»(1).

ويدل الحديث على وجود حالة التدوين وكتابة الكتب قبل مجيء الإسلام عند العرب لكن قيام عمر بن الخطاب بمنع التدوين مرة، ويحرق الكتب التي كتبت فيها أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة، وتعميم الأمر إلى المسلمين في المدن المختلفة كافة بمحو هذه الأحاديث النبوية مرة أخرى؛ خلق اعتقاداً عند بعض الباحثين بعدم وجود الكتابة عند العرب وتأخر نشوء التدوين ما يقارب القرنين.

والسؤال الذي يرد في البحث هو: كيف تسنى للحفاظ اعتماد التدوين بعد مائة وخمسين عاماً من وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أتبين لهم خطأ الشيخين في حرق سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومنع كتابتها فعمدوا إلى تصحيح هذا الخطأ؟ أم أنهم قاموا بمخالفة سنة الشيخين فعمدوا إلى كتابة أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟.

أم أنهم أكرهوا على فعل ذلك؟.

ومما يدل عليه:

ما روى عن الزهري، أنه قال: (كنا نكره كتاب العلم حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء، فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين)(2).

ص: 120

1- (1) تقييد العلم: 49.

2- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2، ص 389. جامع بيان العلم لابن عبد البر: ج 1، ص 76. المصنف للصنعاني: ج 11، ص 258.

والظاهر من قول الزهري أن السبب في كتابة العلم هو إكراه الأمراء لحملة الأحاديث في تدوينها، وحيث أن الأمراء لا تتحرك من وحى الحفاظ على سنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقدر ما تدفع للحفاظ على كرسى الحكم، فقد بدا أن الغرض من إكراه الزهري وجماعته على كتابة الأحاديث هو: (تمكين الحكام الأمويين بتقديم مادة عقيدية وسيلة تخدم مصالح أسرهم الحاكمة) وهو الأمر الذي فهمه جولدتسهيير من قول الزهري⁽¹⁾.

بقي أن نقول:

إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد أخبر عن تعرض السنة إلى الحرق والمحو والمنع من نشرها وتدوينها حيث قال:

«يوشك الرجل متكى على أريكته يحدث بحديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ومن حرام حرّمناه»⁽²⁾.

وفي لفظ آخر قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم:

«يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكى على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه إلا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما حرم الله»⁽³⁾.

ص: 121

1- (1) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج 2، ص 7.

2- (2) مسند أحمد بن حنبل: ج 4، ص 133؛ سنن ابن ماجه: ج 1، ص 6؛ سنن أبي داود: ج 4، ص 200؛ السنن الكبرى للبيهقي: ج 9، ص 331.

3- (3) مسند أحمد بن حنبل: ج 4، ص 132.

فهذه الشواهد في (أولا وثانيا) قد خلقت عند الباحثين رأيين، فذهب أصحاب الرأي الأول إلى الاعتقاد بوجود التدوين عند العرب من قبل مجيء الإسلام، وأنهم كانوا يكتبون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بينما ذهب أصحاب الرأي الثاني إلى الاعتقاد بتأخر الكتابة والتدوين إلى ما يقارب القرنين من الهجرة النبوية.

وعليه: «فإذا أراد الباحث تقدير قيمة المواد المتعلقة بالقرنين الأول والثاني الهجريين في المصادر التي وصلت إلينا اعتمادا على الإسناد، فعليه أن يتحرر من الآراء القائلة بأن هذه الأخبار ظلت تتداول شفهاها على مدى مائة وخمسين عاما، أو أن المحدثين قد اخترعوا الإسناد في نهاية القرن الثاني للهجرة أو في القرن الثالث للهجرة (وأضافوه) إلى الأخبار فدونت به بعد ذلك.

وعليه أن ينظر إلى هذه المؤلفات بوصفها كتباً مجموعة من مصادر مدونة تعود بدورها إلى مصادر مدونة أقدم، فالأسماء الواردة في الأسانيد تعطى - في مجموعها أو معظمها - أسماء المؤلفين أو أسماء عدد من الرواة والمؤلف»(1).

وقد تناول الباحثون عبارات الطبري التي تشير إلى نقله روايات من مصادر متعددة أشار إليها بألفاظ مختلفة كقوله:

1 - (حُدِّثُ عَنْ هِشَامِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي مَنْخَفٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي الصَّقَبِيُّ بْنُ زَهْرٍ)(2).

وهو بهذا يكون قد نقل من كتاب هشام بن محمد الكلبي.

ص: 122

1- (1) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج 2، ص 8.

2- (2) تاريخ الطبري: ج 1، ص 1810.

2- (حُدِّثْتُ عن الواقدي، قال: سألت ابن أبي سيرة)⁽¹⁾.

وهو بهذا يكون قد نقل عن كتاب مغازي الواقدي.

3- (حُدِّثْتُ عن عمار بن الحسن، قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع)⁽²⁾.

وبهذا الإسناد يكون قد نقل عن كتاب تفسير القرآن للربيع بن أنس البكري (المتوفى 139 هـ - 756 م)⁽³⁾.

وهذه الشواهد تدل على وجود كتب عن الصحابة، وأن مجموعة منها قد حفظت ولم يستجب أصحابها إلى دعوة الشيخين في إحراقها أو محوها؛ ولا سيما الكتب التي دونها طلاب مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام.

إلا أن الحرب التي كانت تشن ضد هذه المدرسة منذ حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - كما أظهرته بضعة النبي الأعظم فاطمة عليها السلام في السنن التاريخية - وتعاظم هذه الحرب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوما بعد يوم، جعل كثير من الباحثين في حالة فراغ من الإحاطة بنشأة التدوين لمختلف العلوم، وتطویر هذه الظاهرة. بل قد انعكس ذلك سلبا عند كثير من الباحثين المستشرقين، فذهبوا إلى الاعتقاد بتخلف العرب عن تدوين علومهم، وأنهم كانوا يعتمدون على النقل الشفوي؛ مما يجعل الحدث التاريخي أو الأثر أو الحديث في معرض الخطأ والتداخل ونسب ما ليس من الشريعة إليها، وما أكثر الشواهد على ذلك!

ص: 123

1- (1) تاريخ الطبري: ج 1، ص 1812.

2- (2) تاريخ الطبري: ج 1، ص 315.

3- (3) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 10.

فمنها ما ذهب إليه المفكر الفرنسي روجيه جارودي بعد أن أسلم فيقول: (قرأت القرآن الكريم، وأعدت قراءته مرات كثيرة، ولا أدري إن كنت قد فهمته جيداً بالطريقة التي يجب على الإنسان أن يفهمه بها أم لا، فقد بدا لي أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم جاء بدين عظيم هو أساس الأديان، لم ينكر فيه الأنبياء السابقين، بل جاءت رسالته متممة ومكملة للرسالات السابقة، ثم شرعت في قراءة الأحاديث النبوية، وعندما أتيت لى السفر إلى المدينة المنورة قمت بشراء واقتناء مجموعة من الأحاديث في كتب البخارى ومسلم، فرأيت شيئاً آخر أعبر عنه بهذه العبارة الصريحة: رأيتني وكأننى أمام دين آخر ونشأ فى نفسى انطباع من قراءتى للحديث الشريف أننى أمام دين تقليدى.

فكل ما وجدته فى كتب الأحاديث، وكل ما رأيت للرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتحدث عنه أو يشير النبى فعله يتعلق بلبس الثياب أو كيفية الدخول للمكان والخروج منه وأشياء أخرى من هذا القبيل، لا كما رأيت فى القرآن الكريم من الأساسيات التى تدل على كمال الدين الإسلامى(1).

فهذا الانطباع بل والتحول فى الرؤية والقراءة للدين الإسلامى كان من أسبابها محاربة مدرسة القرآن النبوية عليهم السلام، وفرض الحصار على نتائجها الفكرى والعلمى، بل وسعى كثيرين ممن تصدوا للفتيا لتثويبه صورة هذه المدرسة وطلابها.

فعلى سبيل الاستشهاد لا الحصر نذكر ما أفتى به البعض من فتاوى تفرض بمجملها حصاراً وحرباً على مدرسة العترة النبوية عليهم السلام وطلابها الشيعة.

ص:124

1- (1) أحاديث أم المؤمنين عائشة لمرضى العسكرى: ج 2، ص 381.

- 1 - قال ابن تيمية في منهاجه عند بيان التشبه بالشيعة: (ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات، إذ صار شعاراً لهم - أي الشيعة - فإنه وإن لم يترك واجبا لذلك، لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم، فلا يتميز السنن من الرافضن، ومصالحة التمييز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة ذلك المستحب)(1).
- 2 - وقال مصنف الهداية: (إن المشروع التختم باليمين، ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار)(2).
- 3 - وقال الغزالي إن تسطیح القبور هو المشروع - أي أن يجعل لها بناء وسطح - ولكن لما جعلته الرافضة شعارا لها، عدلنا إلى التسنيم(3).
- 4 - وقال ابن عبد الرحمن: (السنة في القبر التسطیح، وهو أولى على الراجح من المذهب الشافعي)(4).
- 5 - وقال أبو حنيفة وأحمد: التسنيم أولى، لأن التسطیح صار شعارا للشيعة، أي على الرغم من كونه سنة، وهو المشروع إلا أن الحرب المعلنة على مدرسة آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جعلتهم يعدلون عن السنة(5).

ص: 125

-
- 1-1 (1) منهاج السنة لابن تيمية: ج 2، ص 143، (التشبه بالروافض).
 - 2-2 (2) الغدير للعلامة الأميني: ج 10، ص 210.
 - 3-3 (3) نهج الحق للعلامة الحلي: ص 451؛ الصراط المستقيم لعلي بن يونس العاملي: ج 3، ص 206.
 - 4-4 (4) الغدير: ج 10، ص 210.
 - 5-5 (5) أنظر فتح الباري لابن حجر: ج 3، ص 204؛ تحفة الأحوذى: ج 4، ص 130 وفيها: عوض الشيعة وأهل البدع، وقال: يرجحان التسطیح على التسنيم؛ رحمة الأمة للدمشقي: ج 1، ص 88.

6- ذكر الزرقاني في المواهب اللدنية في صفة عمّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - أى العمامة - على رواية على عليه السلام فى إسدالها على منكبيه حين عممه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم ذكر قول الحافظ العراقي: إن ذلك أصبح شعار كثير من فقهاء الإمامية ينبغي تجنبه لترك التشبه بهم(1).

كل ذلك وغيره قد انعكس سلبا على إعطاء صورة غير حقيقية لواقع الرسالة المحمدية ودورها القيادية للبشرية، ناهيك عن تكوّن رؤى وآراء وقراءات سلبية ومشوشة عن الإسلام ونبية الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم.

7- قال الفخر الرازى: روى البيهقى عن أبى هريرة قال: كان رسول الله يجهر فى الصلاة ب - (بسم الله الرحمن الرحيم) وكان على - رضى الله عنه - يجهر بالتسمية وقد ثبت بالتواتر، وكان على بن أبى طالب يقول: «يا من ذكره شرف للذاكرين، ومثل هذا كيف يلقى بالعاقل أن يسعى فى إخفائه».

وقالت الشيعة: السنة، هى الجهر بالتسمية، سواء أكانت فى الصلاة الجهرية أم السرية، وجمهور الفقهاء يخالفونهم - إلى إن قال: ان علماً كان يبألغ فى الجهر بالتسمية، فلما وصلت الدولة إلى بنى أمية بالغوا فى المنع من الجهر، سعياً فى إبطال آثار على - رضى الله عنه - (2).

إذن: اتجهت مدرسة العترة النبوية الطاهرة - على الرغم من محاربتها - إلى تصنيف كثير من الكتب التى شملت مختلف العلوم الإسلامية فى الحديث

ص:126

1- (1) شرح المواهب للزرقانى: ج 5، ص 13.

2- (2) مفاتيح الغيب للفخر الرازى: ص 90.

والتفسير والفقه والتاريخ والسيرة النبوية، وكانت هذه الكتب هي أقدم بكثير مما اكتشفه الباحثون عن بعض المقاطع هنا وهناك في النصوص التاريخية التي احتواها تاريخ الطبري، أو الطبقات لابن سعد، أو المغازي للواقدي، أو ما جمعه الزهري وغيره.

(لأن أقدم وأبسط ما دون عن حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو ما نجده عند متأخرى الصحابة، وفي الجيل التالي لهم مباشرة، أي عند قدامى التابعين ظهرت سيرة الرسول بالمعنى الحقيقي للكلمة في كتب كبيرة نسبياً باسم المغازي)⁽¹⁾.

في حين نجد أن كتابة السيرة النبوية بدأت في مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، لتسجل الوجه الآخر لتاريخ العرب وما نزل بالأمة الإسلامية من متغيرات، ومن هذه الكتب كتاب سليم بن قيس الهلالي، الذي غير نظرية تأخر نشوء التدوين عند العرب إلى ما يقارب القرنين من الهجرة النبوية، فضلاً عن كونه أقدم مصنف كتبه المسلمون في السيرة النبوية، فقد حمل مع الرواية التاريخية التحليل النقدي والفلسفي للحدث مع بيان لمختلف التوجهات السياسية، ناهيك عن إظهاره العديد من العقائد الإسلامية.

وما كتاب سليم بن قيس إلا واحد من العديد من المصنفات التي سبقت في مدرسة العترة النبوية، والتي يعود أول مصنفاته إلى عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو ما سيمر بيانه في المبحث الآتي:

ص:127

أشارت بعض الدراسات التاريخية قديما وحديثا إلى وجود بعض الكتب التي اهتمت بدراسة حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتي عرفت باسم المغازي، وتعنى غزوات الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وحروبه.

فإن هذه الدراسات أشارت إلى أن أقدم ما كتب في هذا المجال هو ما دونه أبان بن عثمان (المتوفى بين 95-105 هـ / 713-723 م).

(فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي، ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه إلا أنها توصف بأنها من الحديث، - وإذا استثنينا إشارة إليه في تاريخ - يعقوبى، فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروى عنه في كتب الحديث، ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي)(1).

وهذا في الواقع يطرح تساؤلا حول وجود كتاب المغازي من تصنيف أبان بن عثمان مع إهمال المؤرخين له، وعدم نقلهم نصوصا منه.

في حين يرى البعض: أن عروة بن الزبير (توفى 94 هـ / 712 م) هو أول من ألف كتابا في المغازي(2)، وأن (شينا من مغازيه في مقتبسات وردت عن بعض

ص:128

1- (1) نشأة علم التاريخ عند العرب للدورى: ص 19.

2- (2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مج 2، ص 1747. الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ لشمس الدين السخاوى: ص 99.

المؤرخين كالتطبري، وابن إسحاق، والواقدي، وابن سيد الناس، وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل من تاريخ المغازي.

وهي تتناول جوانب مختلفة من حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كبدء الوحي، وبعض الغزوات، وبعض الشؤون الخاصة بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم (1).

وهذا في الواقع يكشف عن حجم الحصار الذي فرضته الأجزاء السلطوية الأموية ومن سار على نهجها - كما سيمر بيانه مشفوعاً بالأدلة - على النتاج الفكري لمدرسة العترة النبوية، ولو أطلع الباحثون على هذا النتاج الفكري لعلموا أن هناك العديد من الكتب التي كتبت في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل عروة بن الزبير بعشرات السنين.

إلا أن ممّا يؤسف له أن أغلب الدراسات التاريخية ما زالت محكومة بالتعصب، لما ورثوه في المصادر التاريخية والحديثية التي كتبت في ظروف خاضعة للسلطة الحاكمة، وحتى الذين حاولوا التحرر من هذا التعصب للتاريخ السلطوي؛ نراهم يمتنعون عن الإدلاء بأرائهم حول الحقائق التي توصلوا إليها خوفاً من أن ينسب لهم الانتساب لمدرسة العترة النبوية، كما هو حال صاحب الكشاف الزمخشري في بيانه لكيفية الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

قائلاً: (القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى:

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ).

وقوله تعالى:

(وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ).

ص: 129

وقوله صلى الله عليه وآله وسلم:

«اللهم صل على آل أبي أوفى».

ولكن للعلماء تفصيلاً في ذلك: وهو إنها إن كانت على سبيل التبع كقولك: (صلى الله على النبي وآله)، فلا كلام فيها، وأما إذا أراد أفراد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه! لأن ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأنه يؤدي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم(1).

وتمت سؤال يطرح في البحث: فلو كان الزمخشري يحيا في دولة تمنع الناس من اتباع دين الإسلام أفكان يترك الصلاة أو الصيام أو السفر لحج بيت الله الحرام خشية أن يتهم بأنه مسلم. فإذا كان ذكر الصلاة على أهل البيت يجر إلى التهمة بالرفض؛ مع مالها من ضرورة شرعية نص عليها القرآن والسنة كما هو مفصل في كتب الفقه، فكيف يذكر النتائج الفكرية والعلمية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام؟! ثم ما بالهم يصلون على النبي الأكرم الصلاة البتراء، وقد منعهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الصلاة عليه ويمسكون فلا يصلون على أهل بيته عليهم السلام؟.

بل إننا لنجد هذا الخوف عند البعض وصل إلى درجة الهروب من علي بن أبي طالب عليه السلام حتى في المنام، كما يروى الحافظ الخطيب البغدادي، قانلاً:

(إن رجلاً رأى علياً في المنام فلم يجسر على الدنو منه، فسأله صاحبه؟ فقال: أخشى أن قربت إليه أسأله أن أتهم بالتشيع)(2)!!.

ص:130

1- (1) الكشف للزمخشري: ج 3، ص 273. فلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي: ص 318.

2- (2) وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم للشهرستاني: ج 1، ص 454.

يظهر من هذا الذى سبق حجم الحرب والحصار اللذين فرضا على مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام. ويظهر أيضا أن أغلب الدراسات التاريخية لم تتمكن من الوصول إلى نتائج صحيحة حول تاريخ العرب ومسيرتهم الفكرية والعلمية، وإن الذى توصلت إليه هو أنصاف معلومات، لأنها نظرت إلى الإسلام بعين واحدة.

المسألة الثانية: متى بدأ التصنيف فى مدرسة العترة النبوية عليهم السلام

لكى يعلم الباحث والقارئ أسبقية مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى تدوين العلوم والكتابة؛ فعليه أن يقارن بين قول الحافظ الذهبي فى تحديد السنة التى بدأ بها مخالفو أهل البيت فى التصنيف، وبين مشروع مدرسة العترة فى الكتابة والتصنيف فى مختلف العلوم.

قال الذهبي:

(فى سنة ثلاث وأربعين ومائة شرع علماء الإسلام فى هذا العصر فى تدوين الحديث، والفقه والتفسير، فنصف ابن جريح بمكة، ومالك (ابن أنس) الموطأ بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبى عروة وحماد بن سلمة وغيرهما بالبصرة، ومعمرباليمن، وسفيان بالكوفة، ونصف ابن إسحاق المغازى، ونصف أبو حنيفة الفقه والرأى، ثم بعد يسير نصف هشيم والليث (بن سعد) وابن لهيعة ثم ابن المبارك وأبو يوسف وابن وهب وكثير تدوين العلم وتبويبه، ودونت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، وقبل هذا العصر كان

الأئمة يتكلمون من حفظهم، أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة(1).

ولم يشير الذهبي إلى هذه الصحف غير المرتبة عند من كانت؛ لاسيما وأن الشيخين قد جمعا السنة وأحرقاها، ومنعا تدوين الحديث النبوي الشريف والسيرة، وما زال الناس على هذا المنهج حتى أكرههم حكام بني أمية على الرواية والكتابة - كما مر بيانه عن الزهري -.

وهذا يدل على أن هذه الصحف، وبالأحرى الكتب هي مما خرج من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، التي كانت لا ترى رأى الشيخين، فعمدت إلى التدوين والتصنيف منذ عهد النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ عنها ظاهرة التدوين والتصنيف، فذهب أولئك الذين عدّهم الذهبي في تدوين ما بقي في ذاكرة التابعين وأبنائهم من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كعبد الله بن عروة بن الزبير، وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو بن العاص ناهيك عن أن هؤلاء الرموز في نقل الرواية كان آباؤهم أقطاب الجبهة المعارضة لأهل البيت عليهم السلام.

وعليه:

فإن التصنيف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام كان قد بدأ منذ عصر النبوة - على صاحبها وآله آلاف الصلاة والسلام - وإن التصنيف عند غيرهم بدأ بعد مائة وخمسين عاما، وإنه قد اختلف في أول من صنف(2) بعد مرور هذه السنين.

ص: 132

1- (1) تذكرة الحفاظ لشمس الدين الذهبي: ج 1، ص 151 و 229؛ النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى: ج 1، ص 351.

2- (2) مرآة الكتب للتبريزي: ص 23.

إشارة

لقد بدأت مرحلة التصنيف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقد أشارت الروايات إلى أن الإمام علياً عليه السلام هو أول من صنف كتاباً في الإسلام، وكان ذلك في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن هذا الكتاب كان من إمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويخط الإمام علي عليه السلام، وكان عند أولاده المعصومين، وفيه علم ما يحتاج إليه الناس حتى أرش الخدش، ويعد هذا الكتاب من حيث التصنيف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام الكتاب الأول.

وقد أوقف الأئمة عليهم السلام بعض شيعتهم عليه، ورووا عنه في موارد شتى، بل كان له عليه السلام كتب متعددة كما تدل عليه الأخبار، وقد نص الأئمة عليهم السلام، أن هذا الكتاب فيه ما يحتاج إليه الناس من الحلال والحرام.

ففي كتاب البصائر بإسناده عن محمد بن مسلم، قال: سألته - أي الإمام الصادق عليه السلام - عن ميراث العلم ما بلغ؟ أجوامع هو من العلم، أم فيه تفسير كل شيء من هذه الأمور التي يتكلم فيها الناس من الطلاق والفرائض؟.

فقال عليه السلام:

إن علياً عليه السلام كتب العلم كله القضاء والفرائض، فلو ظهر أمرنا لم يكن فيه شيء إلا وفيه سنة يمضيها(1).

ص:133

وفيه أيضا: بإسناده عن عبد الله بن أيوب عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ما ترك على شيعته وهم محتاجون إلى أحد في الحلال والحرام، حتى أنا وجدنا في كتابه أرش الخدش».

قال: ثم قال:

«أما إنك إن رأيت كتابه لعلمت أنه من كتب الأولين»(1).

ومما يدل على أن الأئمة عليهم السلام قد أوقفوا شيعتهم عليه ما في البصائر عن عبد الملك، قال: دعا أبو جعفر عليه السلام بكتاب علي فجاء به جعفر عليه السلام مثل فخذ الرجل مطوى، فإذا فيه: إن النساء ليس لهن من نهار الرجل إذا هو توفي عنها شيء. فقال أبو جعفر عليه السلام:

«هذا والله إمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه على يده عليه السلام»(2).

فإن قيل: ما فائدة الكتاب دون نشره بين الناس.

قلنا: هو منشور بين الأئمة المعصومين عليهم السلام وقد رووا منه كثيرا من الأحكام، حتى وإن لم يشيروا إليه وهذا أولا.

وثانيا: لو أمن أئمة أهل البيت عليهم السلام من أذى الناس لأدعوا علم هذا الكتاب بينهم، ولكن الحال الذي كان عليه الأئمة من إعلان الحرب عليهم ومحاصرتهم - كما مرّ بيانه - لتغنى اللبيب عن المصنف في نشر علوم آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين عامة الناس.

ص: 134

1- (1) بصائر الدرجات للصفار: ص 165.

2- (2) المصدر السابق.

ثالثا: نضيف إلى ذلك أن الكلام في (أول ما صنف لا أول ما ظهر في الناس وشاع)(1).

رابعا: إن شهرة الكتاب لا يلزم أن يكون عند جميع الناس، وإلا فيجب عدم ذكر ما لم يشتهر نسخته(2).

خامسا: إن من الموانع التي منعت نشر الكتاب هو الخوف من أخذه قسرا منهم كما طلب بنو العباس مواريث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، منهم والفرق بين ذلك الكتاب وسائر المواريث كالفرق بين الظاهر المشهور من الأئمة والغائب منهم(3)، وغيرها من الأسباب.

إذن؛ يكون هذا الكتاب الذي كتبه الإمام على عليه السلام في حياة رسول الله وبإملائه صلى الله عليه وآله وسلم هو الكتاب الأول.

الكتاب الثاني: كتاب في علوم القرآن الكريم

هذا الكتاب من إملاء الإمام أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام، وقد ذكر فيه ستين نوعا من أنواع علوم القرآن.

والكتاب رواه الحافظ أبو العباس، أحمد بن محمد بن سعيد، بن عقدة الكوفي (المتوفى سنة 333 هـ -)، بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام(4).

ص:135

1- (1) مرآة الكتب للتبريزي: ص 33.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) أعيان الشيعة لمحسن الأمين: ج 1، القسم 1، ص 321؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 93، ص 3.

وللكتاب طرق أخرى تعود لكبار محدثي الإمامية، وهي كالتالي:

- 1 - أبو القاسم سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي (المتوفى 346 هـ -) تحت عنوان آخر وهو: (ناسخ القرآن ومنسوخه)(1).
- 2 - محمد بن إبراهيم بن أبي زينب، الكاتب البغدادي، (المتوفى 360 هـ -) وهو أحد تلاميذ الشيخ الكليني رحمه الله، تحت عنوان: (تفسير النعماني)(2).
- 3 - السيد الشريف المرتضى رحمه الله، على بن الحسين الموسوي (المتوفى 346 هـ -) تحت عنوان: (المحكم والمشابه في القرآن)(3).

الكتاب الثالث: كتاب الجامعة

أما الكتاب الثالث الذي صنف في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو (كتاب الجامعة) وهو أيضا للإمام علي عليه السلام كما دلت عليه الأخبار.

1 - روى الصفار عن أبي بصير، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: سمعته يقول وقد ذكر ابن شبرمة في فتاها(4)، فقال عليه السلام:

«أين هو من الجامعة، أملى رسول الله وخطه على يده، فيها جميع الحلال والحرام حتى أرش الخدش فيه»(5).

ص: 136

1- (1) رجال النجاشي: ص 177 برقم 467؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 1، ص 15 و 32 - ج 92، ص 40 - ج 84، ص 382؛ الذريعة للطهراني: ج 24، ص 8.

2- (2) مستدرک الوسائل للنوري: ج 3، ص 365؛ بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 93، ص 3.

3- (3) الذريعة للطهراني: ج 20، ص 154 و 155.

4- (4) هو عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي الكوفي، فقيه العراق، وقاضي الكوفة المتوفى سنة 144 (مشاهير علماء الأمصار: ص 65. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 6، ص 347. شذرات الذهب: ج 1، ص 215.

5- (5) البصار للصفار: ص 148.

2 - وعن أبي شيبة، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

«ضل علم ابن شبرمة عن الجامعة، أن الجامعة لم تدع لأحد كلاما، فيها الحلال والحرام»⁽¹⁾.

ولا يتوهم البعض بأن كتاب الجامعة هو الكتاب الأول، لاشتماله على علوم أخرى، حسبما يظهر من الكتاب الذي كتبه الإمام الرضا عليه السلام في العهد الذي كتبه المأمون لولايته عليه السلام من أن الجفر والجامعة يدلان على ضد ذلك⁽²⁾، الذي قد سمعت تقسيمهم إياه إلى الجامعة وغيرها.

الكتاب الرابع: كتاب الجفر

استفاضت الأخبار في وجود كتاب الجفر عند أئمة العترة النبوية عليهم السلام؛ والذي يفهم من هذه الأخبار أن للجفر إطلاقين، تارة يطلق على الوعاء الذي كالجراب وأمثاله، فيه بعض المواير، وتارة يطلق على الجلد الذي كتب عليه العلوم.

والإطلاق الأول، كما دلت عليه الأخبار هو أحمر وأبيض، أما الأحمر ففيه سلاح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأما الأبيض ففيه كتب وصحائف⁽³⁾.

ومن الروايات التي تحدثت عن هذا الكتاب هي:

1 - عن الحسين بن أبي العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله يقول:

«إِنَّ عِنْدِي الْجُفْرَ الْأَبْيَضَ.

ص:137

1- (1) بصائر الدرجات: ص 149.

2- (2) مرآة الكتب للتبريزي: ص 34.

3- (3) مرآة الكتب للتبريزي: ص 35.

قَالَ قُلْتُ فَأَيُّ سُنَى ۖ فِيهِ قَالَ:

زُبُورُ دَاوُدَ وَتُورَاةُ مُوسَى وَإِنْجِيلُ عِيسَى وَصَحُفُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَالْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَمُصَدِّقَاتُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مَا أُرْغِمُ أَنْ فِيهِ قُرْآنًا وَفِيهِ مَا يُحْتَاجُ النَّاسُ إِلَيْنَا وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ حَتَّى فِيهِ الْجِلْدَةُ وَنُصْفُ الْجِلْدَةِ وَرُيُوعُ الْجِلْدَةِ وَأَرْشُ الْخُدُشِ. وَعِنْدِي الْجُفْرُ الْأَحْمَرُ.

قَالَ قُلْتُ: وَأَيُّ سُنَى ۖ فِي الْجُفْرِ الْأَحْمَرِ؟ قَالَ:

السَّلَاحُ وَذَلِكَ إِنَّمَا يُفْتَحُ لِلدَّمِ يَفْتَحُهُ صَاحِبُ السَّيْفِ لِلْقَتْلِ»(1).

أى إشارة إلى ظهور مهدي آل محمد عجل الله تعالى فرجه الشريف الذى يملأ الأرض قسطا وعدلا، كما ملئت ظلما وجورا.

2- وعن الصادق عليه السلام، من جملة كلام له مع عبد الله الحسن، قال الإمام عليه السلام:...

وأما قوله فى الجفر، فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجراب، فيه كتب وعلم ما يحتاج الناس إليه إلى يوم القيامة من حلال وحرام إملة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه على عليه السلام بيده(2).

والذى يفهم من هذا الحديث هو أن الجفر جلد ثور كالجراب فيه كتب، أى يحتوى على بعض الكتب، كما أنه هو نفسه مكتوب عليه علم ما يحتاج الناس إليه من حلال وحرام.

ص:138

-
- 1- (1) الكافي للكلىنى: ج 1، ص 240، ح 3. شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني: ج 5، ص 339، ح 3. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى: ج 28، ص 519.
2- (2) بصائر الدرجات لمحمد بن الحسن الصفار: ص 176، جامع الأحاديث فى الجزء الثانى، الباب 14. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 26، ص 42، ح 74.

الكتاب الخامس: كتاب الدييات

هذا الكتاب من تصنيف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد روى أئمة أهل البيت عليهم السلام، بعضها منه، وكل ما نقله رواة هذه المدرسة عن أصل ظريف بن ناصح⁽¹⁾ في الدييات فهو مستند إلى أمير المؤمنين عليه السلام⁽²⁾.

الكتاب السادس: كتاب الصحيفة

لقد نصّ كثير من المدارس الإسلامية على ذكر كتاب الصحيفة للإمام علي عليه السلام، وبهذا يكون الكتاب من تصنيف الإمام علي عليه السلام أيضاً.

فقد أخرج البخاري بإسناده عن أبي جحيفة، قال: قلت لعلي عليه السلام: هل عندكم كتاب؟ قال:

«لا، إلا كتاب الله، أو فهدماً أعطيه رجلاً مسلماً، أو ما في هذه الصحيفة.

قال، قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال:

العقل، وفكاك الأسير، ولا يقتل مسلم بكافر⁽³⁾.

وبهذا يكون الكتاب قد جمع أحكاماً في القضاء.

3 - وروى ابن أبي ليلى (المتوفى سنة 82 هـ - / 701 م)، أنه سأل الحسن بن علي بن أبي طالب عليهما السلام عن رأى والده في الخيار، أى: أولى الفضل؟.

ص: 139

1- (1) ترجم له النجاشي في رجاله قائلاً: «أصله كوفي، نشأ ببغداد، وكان ثقة في حديثه، صدوقاً، له كتب، منها: كتاب الدييات، رواه عدة من أصحابنا وذكر له من الكتب أيضاً (الحدود، الجامع للحلال والحرام)، «رجال النجاشي، باب الطاء: ص 290».

2- (2) مرآة الكتب للتبريزي: ص 51.

3- (3) صحيح البخاري: ج 1، كتاب العلم، ص 36. فتح الباري لابن حجر: ج 4، ص 73، باب حرم المدينة.

فأمر بصندوق وأخرج منه صحيفة صفراء تضم آراء على في ذلك(1).

فهذا هو مجموع الكتب التي صنفت في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وكانت من نتاج مدرسة العترة النبوية عليهم السلام، أما الكتب التي صنفت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مدرسة العترة النبوية عليهم السلام فكانت ثلاثة وخمسين كتابا خلال قرن ونصف، أي منذ عام (11 هـ - إلى 151 هـ -) وهي السنة التي توفي فيها محمد ابن إسحاق فيكون هذا النتاج الفكري قد ابتداء بتصنيف مصحف فاطمة عليها السلام وختم بتصنيف السير والمغازي لابن إسحاق رحمه الله وهو ما سنتناوله في المسألة الآتية:

المسألة الرابعة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

الكتاب الأول: مصحف فاطمة عليها السلام

وهو أول الكتب التي صنفت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومصحف فاطمة عليها السلام كثر الحديث عنه في كثير من المدارس الإسلامية بين النفي والسخرية والافتراء بنيد كتاب الله.

وخير ما يمكن معرفته عن هذا المصحف هو ما ورد عن أهل هذا المصحف، أما عدا هذا البيان فهواء في شبك وتجن على آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فمن هذه الأحاديث ما رواه الصفار عن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

ص:140

1- (1) العلل لأحمد بن حنبل: ج 1، ص 316.

«تُظَهَرُ الرِّئَازَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ وَذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

قَالَ قُلْتُ وَمَا مُصْحَفُ فَاطِمَةَ؟ قَالَ:

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا قَبِضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ وَفَاتِهِ مِنْ الْحُزْنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا يُسَلِّي غَمَّهَا وَيُحَدِّثُهَا، فَشَكَتَ ذَلِكَ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكَ وَسَمِعْتِ الصَّوْتِ قُولِي لِي.

فَأَعْلَمْتُهُ بِذَلِكَ، فَجَعَلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ حَتَّى أَتَيْتُ مِنْ ذَلِكَ مُصْحَفًا، قَالَ ثُمَّ قَالَ أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْخِلَالِ وَالْحَرَامِ وَلَكِنْ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَكُونُ» (1).

وقد يبدو الحديث غريباً على عقول البعض ممن لا يرون فضلاً لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واستهجان تحديث الملائكة لبضعة سيد الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم. في حين أن القرآن الكريم يعطى صوراً كثيرة حول تحديث الملائكة لأشخاص عديدين، كمریم بنت عمران عليها السلام.

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) 2.

وفي زوجة إبراهيم عليه السلام قال تعالى:

ص: 141

(1) - (1) بصائر الدرجات للصفار: ص 177، الباب 14، ح 18، ط منشورات الأعلمی، طهران - إيران. الكافي للكليني رحمه الله: ج 1، ص 240، ط دار الكتب الإسلامية، طهران - إيران.

(وَأَمْرَاتُهُ قَائِمَةٌ فَصَدَّحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ (71) قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ (72) قَالُوا أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ) 1.

وفى أم موسى قال تعالى:

(وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) 2.

وغيرها من الآيات الكريمة التي تتحدث عن حقيقة تحديث الملائكة لمن خصهم الله بفضله ومنه.

الكتاب الثاني: كتاب الصحابي المنتجب سلمان المحمدي (الفارسي) رضی الله عنه

والكتاب يتضمن رواية سلمان رضی الله عنه في خبر الجاثليق الروحي الذي بعثه ملك الروم بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم (1).

الكتاب الثالث: كتاب الصحابي المنتجب أبي ذر الغفاري رضی الله عنه

وهو كتاب صنفه الصحابي المنتجب أبو ذر الغفاري الذي عرف بتشيعه لعلى وأهل بيته، ويتضمن الكتاب على خطبة لأبي ذر يشرح فيها الأمور التي حدثت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (2).

ص: 142

1- (3) فهرست الشيخ الطوسي: ص 80.

2- (4) فهرست الشيخ الطوسي: ص 57.

عده النجاشي من السلف الصالح، وقال:

«أبو رافع مولى رسول الله، واسمه أسلم وكان للعباس بن عبد المطلب رحمه الله فوهبه للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلما بشر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسلام العباس أعتقه.

وقيل: إن اسمه (إبراهيم)، وكان أبو رافع قد أسلم قديماً بمكة وهاجر إلى المدينة، وشهد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم مشاهدته ولزم أمير المؤمنين عليه السلام من بعده، وكان من خيار الشيعة، وشهد معه حروبه، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة، وابناه «عبد الله، وعلي» كاتباً أمير المؤمنين؛ ولما خرج معاوية بن أبي سفيان وطلحة والزبير لحرب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، قام أبو رافع فباع منزله وأرضه بخيبر وخرج مع أمير المؤمنين علي عليه السلام، وهو يومئذ شيخ كبير له خمس وثمانون سنة(2).

قال النجاشي: (ولأبي رافع كتاب السنن والأحكام والقضايا، وساق إسناده إلى محمد بن عبيد الله بن أبي رافع، عن أبيه، عن جده أبي رافع، عن علي بن أبي طالب عليه السلام: أنه كان إذا صلى قال في أول الصلاة... وذكر الكتاب إلى آخره، وهو يشتمل على أبواب عديدة في الفقه، كباب الصلاة، والصوم، والحج، والقضاء.

ص:143

1- (1) أنظر معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 1، ص 159-162، بعنوان (إبراهيم أبو رافع).

2- (2) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج 1، ص 159-162.

وروى هذه النسخة من الكوفيين أيضا زيد بن محمد بن جعفر المبارك، يعرف بـ (ابن أبي الياس) عن الحسين بن الحكم الحبري، قال: حدثنا حسن بن حسين بإسناده(1). وروى ابن سعد عن سلمى زوجة أبي رافع: (أن عبد الله بن عباس قد كتب عن زوجها أبي رافع الصحابي بعض أعمال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على ألواح)(2).

الكتاب الخامس: كتاب الصحابي الشهيد حجر بن عدى الكندي رضی الله عنه

كان رمزاً من رموز التشيع(3)، وأحد أعمدة الجهاد من أجل العقيدة، وصاحب أول رأس ينصب في الإسلام في مدينة دمشق، وفد على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وشهد معركة القادسية قتله معاوية بن أبي سفيان في مرج عذارى الذي كان قد فتحه الله على يديه.

وهو القائل حينما عرض عليه جند معاوية البراءة من علي بن أبي طالب عليه السلام(4) مقابل الإفراج عنه: «لا تطلقوا عنى حديداً ولا تغسلوا عنى دماً وادفونى فى ثيابى، فإنى لاق معاوية بالجادة وإنى مخلصمه»(5)، وقال: (الحمد لله، أما والله،

ص:144

-
- 1- (1) رجال النجاشي: ج 1، ص 61-65.
 - 2- (2) الطبقات لابن سعد: ج 2، ص 123.
 - 3- (3) الأصابة لابن حجر: ج 2، ص 33؛ الغارات للثقفى: ج 2، ص 812.
 - 4- (4) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 12، ص 218.
 - 5- (5) الاستذكار - ابن عبد البر: ج 5، ص 121؛ المستدرک على الصحيحین للحاکم النیسابوری: ج 3، ص 470؛ الإصابة - ابن حجر: ج 2، ص 33؛ الاستيعاب لابن عبد البر: ج 1، ص 231؛ تاريخ الطبري: ج 4، ص 191؛ الكامل فى التاريخ لابن الأثير: ج 3، ص 488.

إني لأول مسلم نوح كلابها(1) في سبيل الله، ثم أتى بي اليوم إليها مصفوداً(2).

فقتل رحمه الله صبراً، ومضى إلى ربه شهيداً، مع ولده وأصحابه. وأرسلت رؤوسهم إلى معاوية بن أبي سفيان في الشام.

وكان ثقة معروفاً - بالورع والتقوى -، ولم يرو عن غير الإمام علي عليه السلام شيئاً، وكانت عنده صحيفة فيها حديث علي عليه السلام(3).

الكتاب السادس: كتاب التابعي علي بن أبي رافع رضي الله عنه

تابعي من خيار الشيعة، كانت له صحبة من أمير المؤمنين عليه السلام(4)، وكان كاتباً له، وحفظ كثيراً، وجمع كتاباً في فنون من الفقه: الوضوء، والصلاة، وسائر الأبواب(5).

الكتاب السابع: كتاب التابعي عبد الله بن أبي رافع رضي الله عنه

ذكره النجاشي في ترجمة أبيه، أبي رافع، وسماه (عبيد الله)(6).

ص:145

-
- 1- (1) الضمير يعود على قرية عذارى التي استشهد فيها حجر بن عدى الكندي (رضي الله عنه)، (انظر: الغارات: ج 2، ص 81).
 - 2- (2) الغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي: ج 2، ص 810. الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد: ج 6، ص 219، ط دار صادر، بيروت - لبنان. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 12، ص 218، ط دار الفكر، بيروت - لبنان.
 - 3- (3) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 6، ص 220.
 - 4- (4) انظر رجال العلامة الحلي: ص 102. مجمع الرجال: ج 4، ص 159. نقد الرجال للفرشي: ص 225. جامع الرواة للأربلي: ج 1، ص 551. طرائف المقال لعلي البروجردي: ج 2، ص 100.
 - 5- (5) رجال النجاشي: ج 1، ص 62.
 - 6- (6) رجال النجاشي: ج 1، ص 62. نقد الرجال للفرشي: ص 214.

وقد ذكر له الشيخ الطوسي رحمه الله كتابين، الأول هو (كتاب قضايا أمير المؤمنين عليه السلام).

والثاني: (كتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين الجمل وصفين والنهروان)(1).

الكتاب الثامن: كتاب التابعي الشهيد ميشم التمار رضي الله عنه (توفي سنة 60 هـ -)

من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام، الذين ضربوا أروع صور التمسك بالعميقة والصبر والجلادة على تحمل العذاب؛ دون أن يأخذ منه الظالمون عشر مثقال ما يأملون، على الرغم من قطعهم يديه ورجليه وصلبه على جذع نخلة.

فكان ينادى من أراد أن يتعلم علوم آل محمد فليأت إليّ، فكان طلاب العلم يجتمعون حول الجذع وهو مصلوب عليه، فمنهم من ينسخ ما يقول، ومنهم من أجبره المنظر على حفظ ما يسمع. فلما رأى الظالمون منه هذا الصنيع جاءوا إليه فقطعوا لسانه، وقرأوا بطنه برمح(2)، فرحمه الله، وأسأله، ومن سار على نهجه.

أما كتابه الذي صنّفه في الحديث فقد نقل عنه الكشي في رجاله، والطوسي في الأمالي(3)، والطبري في بشارة المصطفى، وكثيرا ما يقول: (وجدت في كتاب ميشم التمار)(4).

ص: 146

1- (1) الفهرست للطوسي: ص 107.

2- (2) بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 41، باب اخباره عليه السلام بشهادة ميشم وصلبه، ص 346، ط دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.

3- (3) الأمالي للطوسي: ج 1، ص 147.

4- (4) تأسيس الشيعة: ص 283. مرآة الكتب للتبريزي: ص 52. نفس الرحمن لميرزا حسين النوري: ص 326.

واسمه (ظالم بن ظالم)، عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام على عليه السلام والإمام الحسن والحسين وعلى بن الحسين عليهم السلام قائلًا: (ظالم بن عمرو، ويكنى أبو الأسود الدؤلي)(1). وكتابه الذين صنّفه بالنحو معروف عند المسلمين(2).

الكتاب العاشر: كتاب التابعي المجاهد سليم بن قيس الهلالي رضي الله عنه (توفي سنة 70 هـ -)

قال الكشي والشيخ الطوسي:

هو سليم بن قيس الهلالي ثم العامري الكوفي صاحب أمير المؤمنين عليه السلام، وعده من أصحاب الباقر عليه السلام أيضًا، وكناه بأبي صادق(3).

وعده البرقي من الأولياء من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام، وفي أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام، وأبي عبد الله الحسين بن عليهما السلام، وأصحاب علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام(4).

شهد سليم بن قيس الأحداث التي عصفت بالإسلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وسجل هذه الأحداث وجاور فيها كلاً من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وسلمان (الفارسي) وأبي ذر الغفاري، ودون شهاداتهم وتفسيراتهم لما جرى من أحداث، دون أن يعلم به حكام عصره.

ص: 147

1- (1) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 10، ص 186-187.

2- (2) مرآة الكتب للتبريزي: ص 44.

3- (3) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج 9، ص 227.

4- (4) المصدر السابق.

(ويعد أن تسلط بنو أمية وأخذوا يطاردون شيعة علي عليه السلام - وبخاصة حينما - كان الحجاج يتبع من بقي من أصحاب علي عليه السلام ليقتلهم، اختفى سليم وتقل من بلد إلى بلد ما بين نجد ومكة والمدينة والكوفة والبصرة؛ ولشدة حرصه على كتابه كان يحمله معه في أسفاره.

ثم عبر إلى أرض فارس ووصل إلى نوبندجان، وهناك في بيت أحد أصدقائه «أبان بن أبي عياش» حظ به المرض وجاءه الأجل، وكان لابد من البوح بالسر وإيصال الأمانة إلى أهلها، فأخذ علي أبان الأيمان، وكشف له حقيقة أحداث عاشها وشاهدها وسجلها، وقرأ عليه الكتاب، وأودعه عنده، ليوصله إلى أهله.

وقد حافظ أبان علي الأمانة، وحمل الكتاب بعد وفاة سليم إلى علماء البصرة، فنسخه بعض الرواة والعلماء رغم تلك الظروف الصعبة وانتشرت نسخه منهم عبر الأجيال.. حتى وصل إلينا(1).

أما الكتاب الذي صنفه سليم بن قيس فقد اشتهر هذا الكتاب منذ القرن الأول وإلى يومنا هذا ب - (كتاب سليم بن قيس الهلالي)، وكثيرا ما يعبر عنه اختصارا ب - (كتاب سليم)، وربما يسمى «بأصل سليم»، و «كتاب السقيفة» وأول من سمى الكتاب به الإمام الصادق عليه السلام، وجرى ذكر الكتاب بهذا الاسم على لسان القدماء كالنعماني، والشيخ المفيد، والشيخ الطوسي، وابن شهر آشوب رحمهم الله جميعاً.

ص: 148

1- (1) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: المقدمة ص 13.

وكذلك المتأخرين كالعلامة الحلبي، والشهيد الثاني، والمير داماد، والقاضي التستري، والشيخ الحر العاملي، والعلامة المجلسي، والبحراني، والمير حامد حسين، والمحدث النوري، والعلامة الطهراني رحمهم الله جميعاً.

كما كان يعرف بنفس الاسم في السنة علماء - الجماعة - كالقاضي السبكي رحمه الله، وابن أبي الحديد، والفيض آبادي، وغيرهم(1).

الكتاب الحادي عشر: كتاب التابعي محمد ابن الإمام علي أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بابن الحنفية (توفي سنة 73 هـ -)

الظاهر في الرواية التي أوردها ابن سعد إن لمحمد ابن الإمام علي عليه السلام كتابا صنّف فيه مجموعة من الأحاديث، وإن ما كان يرويه عبد الرحمن بن مهدي عنه إنما هو من هذا الكتاب لا عن طريق السماع والمشافهة(2).

الكتاب الثاني عشر: كتاب التابعي الحارث الهمداني رضي الله عنه

له كتاب السنن والقضايا والأحكام الذي رواه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام(3).

ويظهر من خلال بعض الروايات، أنه كان يحمل معه الدواة والقلم، فيكتب مباشرة، أو أنه كان لا يترك ما يحفظ، فسرعان ما يكتب، ومما يدل عليه:

ما رواه عند أبي إسحاق السبيعي أنه قال: خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يوماً خطبته بعد العصر، فعجب الناس من حسن صفتة، وما ذكر من تعظيم الله جل جلاله.

قال أبو إسحاق: فقلت للحارث: أو ما حفظتها؟.

ص: 149

1- (1) كتاب سليم بن قيس، تحقيق محمد باقر الأنصاري: المقدمة ص 21.

2- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 77 وج 6، ص 233. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 6، ص 94.

3- (3) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج 5، ص 172.

قال: قد كتبتها.

فأملها علينا من كتابه(1).

الكتاب الثالث عشر: كتاب التابعي ثابت بن دينار (أبو حمزة الثمالي)

كان من وجوه الشيعة في زمانه، صحب الإمامين علي بن الحسين زين العابدين وولده الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام.

ذكره ابن النديم، فقال: (من التجباء الثقات، وله كتاب التفسير)(2).

الكتاب الرابع عشر: كتاب التابعي الشهيد سعيد بن جبير (توفي سنة 94 هـ -)

من أبرز رموز التشيع، وكان مستجاب الدعوة، وهو آخر من قتلهم الحجاج من شيعة علي بن أبي طالب عليه السلام، وكان قد دعا الله أن لا يقتل أحدا من بعده، كما دعى الله أن يقتل الحجاج بنفس الطريقة التي يقتله فيها فكان كما دعا.

فكان:

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ)3.

فهو أحد الذين اختاروا الشهادة على البراءة من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ص:150

1- (1) كتاب التوحيد للصدوق: ص 31، باب التوحيد ونفى التشبيه، ح 1، ط منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية، قم - إيران.

2- (2) الفهرست لابن النديم: ص 36.

كما كان رضوان الله تعالى عليه من أبرز تلاميذ عبد الله بن عباس، شديد الاهتمام بكتابة الحديث وتدوينه.

ومما يدل عليه:

1 - روى ابن سعد، عنه رحمه الله، أنه قال:

(ربما أتيت ابن عباس، فكتبت في صحيفتي حتى أملاها، وكتبت في نعلي حتى أملاها، وكتبت في كفي، وربما أتته فلم أكتب حديثاً حتى أرجع، لا يسأله أحد عن شيء)(1).

2 - وروى الدارمي في سننه، عنه، أنه قال: (كنت أكتب عند ابن عباس في صحيفة، وأكتب في نعلي)(2).

3 - وقال رحمه الله: (كنت أسير مع ابن عباس، في طريق مكة، ليلاً وكان يحدثني بالحديث فأكتبه في واسطة الراحلة، فأصبح فأكتبه)(3).

أما كتابه الذي صنفه فهو في تفسير القرآن الكريم كما ذكر ابن النديم(4)، وابن سعد(5)، وغيرهما(6).

ص: 151

1- (1) الطبقات لابن سعد: ج 6، ص 257.

2- (2) سنن الدارمي: ج 1، ص 105، ح 506.

3- (3) سنن الدارمي: ج 1، ص 105، ح 501 و 505. جامع بيان العلم: ج 1، ص 72.

4- (4) الفهرست لابن النديم: ص 37.

5- (5) الطبقات لابن سعد: ج 6، ص 179 و 186.

6- (6) انظر تهذيب التهذيب لابن حجر، ترجمة عطاء بن دينار: ج 7، ص 198. تقريب التهذيب: ج 2، ص 21، رقم 188. جامع التحصيل للعلائي: ص 237، رقم 519.

الكتاب الخامس عشر: كتاب التابعى الحسن بن محمد بن الحنفية (توفى 100 هـ -)

ذكر له ابن سعد: كتابا فى الإرجاء(1).

وله كتاب آخر فى: الجبر، وقد رد عليه يحيى بن الحسين الهادى إلى الحق الزيدى (توفى سنة 98 هـ -) فى كتاب سماه كتاب الرد والاحتجاج على الحسن بن محمد وأورد نص كتاب ابن محمد بن الحنفية فى كل مسألة، ثم رد عليها(2).

الكتاب السادس عشر: كتاب التابعى زيد بن وهب الجهنى (توفى 96 هـ -)

ذكره الشيخ الطوسى رحمه الله فى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وقال: زيد بن وهب له كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر فى الجمع والأعياد وغيرها(3).

وعده البرقى رحمه الله فى أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام(4)، ولقد روى عنه الصدوق فى الخصال فى أبواب الاثنى عشر، الحديث.

الكتاب السابع عشر: كتاب التابعى أصبغ بن نباتة المجاشعى رضى الله عنه (توفى سنة 100 هـ -)

قال السيد الخونى قدس سره: (من سلفنا الصالحين، ذكره النجاشى، وقال: الأصبغ بن نباتة المجاشعى، كان من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام، وعمر بعده، وروى عنه عهد الأشر ووصيته عليه السلام إلى محمد ابنه.

ص: 152.

1- (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 328. تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: ج 1، ص 237.

2- (2) رسائل العدل والتوحيد لمحمد عمارة: ج 2، ص 117-303.

3- (3) الفهرست للطوسى: ص 97، رقم 303.

4- (4) معجم رجال الحديث للسيد الخونى: ج 8، ص 374.

وقال الشيخ الطوسي رحمه الله: كان الأصمغ من خاصة أمير المؤمنين عليه السلام روى عهد مالك الأشتر الذي عهدته إليه أمير المؤمنين عليه السلام لما ولاه مصر، وروى وصية أمير المؤمنين عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية.

وله كتاب آخر - رواه عباس - وهو (مقتل الإمام الحسين عليه السلام) (1).

وبهذا يكون الأصمغ بن نبأته قد صنف ثلاثة كتب.

الكتاب الثامن عشر: الصحيفة السجادية للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي سنة 95 هـ -)

كتاب الصحيفة السجادية هو كتاب جامع لأدعيته عليه السلام، ومناجاته، التي كان يدعو الله بها في مناسبات وأوقات مختلفة، وكان عليه السلام يدأب على تلاوتها، وهي تحتوي على مضامين عالية رفيعة، من لباب المعارف الإسلامية الحققة.

وقد تواتر الإسناد إليه، وهو مما أجمع العلماء على قبوله، أملاه الإمام علي ولديه الإمام محمد الباقر، والشهيد زيد عليهم السلام، وقد أملاه الإمام الباقر على ولده الإمام الصادق عليهما السلام، ورواه الرواة عنه عليه السلام (2).

ولكونها احتوت على مختلف العلوم القرآنية والأخلاقية والعرفانية؛ فقد وردت فيها أحاديث عن العترة الطاهرة لبيان أهميتها العلمية، فسميت بزبور آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ وأخت القرآن؛ وانجيل أهل البيت عليهم السلام (3).

ص: 153

1- (1) الفهرست للطوسي: ص 86.

2- (2) كفاية الأثر للخزاز: ص 2-303. الفهرست للطوسي: ص 199، رقم 768. رجال النجاشي: ص 426، رقم 1144.

3- (3) فتح الأبواب للسيد ابن طاووس: ص 76.

الكتاب التاسع عشر: رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهو الكتاب الثانی الذی صنفه الإمام زین العابدین علیه السلام (1)، وهو کتاب فرید من نوعه ویتم في موضوعه وقد جمع فيه علیه السلام كل ما يتعلق بالحقوق التي تدور حول الإنسان مما له، وما عليه. وهو بذلك يكون منهجاً متكاملًا في نشأة العلاقات الشخصية والأسرية والاجتماعية وحفظها وضبطها ناهيك عن تقديمه لأساسيات علم الأخلاق، ومباني السلوك الإسلامي للفرد.

الكتاب العشرون: مناسك الحج، تصنيف الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهي رسالة ضمت جميع أحكام الحج، وتتكون من ثلاثين باباً، وقد رواها عن الإمام عليه السلام ثلاثة من أبنائه وهم الإمام محمد الباقر عليه السلام، وزيد الشهيد، والحسين الأصغر.

الكتاب الحادي والعشرون: كتاب الزهد، تصنيف الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وهو كتاب رواه عنه أبو حمزة الثمالي ثابت بن أبي المقدام، وقد قرأه علي الإمام في حياته عليه السلام، قال رحمه الله: (قرأت صحيفة فيها كلام زهد، من كلام علي بن الحسين عليهما السلام وكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين صلوات الله عليه، عرضت ما بها عليه، فعرفه وصححه) (2).

ص: 154

1- (1) الأمالى للصدوق، المجلس 59: ص 301-306. الخصال للصدوق: ص 564. تحف العقول: ص 255. الوسائل للمحرر العاملي: باب 3 من أبواب جهاد النفس: ج 11، ص 131.
2- (2) الكافي للكليني رحمه الله: ج 8، ص 14-17. الفهرست للطوسي: ص 67، برقم 138.

الكتاب الثاني والعشرون: الجامع في الفقه، تصنيف الإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

وقد رواه عنه أبو حمزة الثمالي، وعبد الله بن إبراهيم بن الحسين الأصغر بن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام(1).

الكتاب الثالث والعشرون: كتاب الأحاديث، للإمام علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام

ويشتمل على أحاديث الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد جمعه أبو سليمان الدهقان الكوفي، واسمه (داود بن يحيى بن بشير)(2).

الكتاب الرابع والعشرون: تفسير القرآن الكريم، تصنيف الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام (توفي سنة 114 هـ -)

للإمام الباقر عليه السلام مجموعة من الكتب التي صنفها عليه السلام، وقد رواها عنه مجموعة من الرواة، ناهيك عن أن أغلبها رواها عند ولده الإمام الصادق عليه السلام.

قال محمد عجاج الخطيب:

(كان عند الإمام محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام، كتب كثيرة سمع بعضها منه ابنه جعفر الصادق عليه السلام، وقرأ بعضها(3)).

وهي كالتالي:

ص:155

1- (1) رجال النجاشي: ص 116، برقم 298. تأسيس الشيعة لشرف الدين: ص 300.

2- (2) رجال النجاشي: ص 157، برقم 415.

3- (3) السنة قبل التدوين: ص 354-355.

أ - الكتاب الخامس والعشرون: تفسير القرآن الكريم

وقد رواه عنه زياد بن المنذر، وأبو الجارود العبدى(1).

ب - الكتاب السادس والعشرون: وهو مجموعة من أحاديث الإمام الباقر عليه السلام

وقد ذكره النجاشى فى رجاله، وقال رواها عنه خالد بن أبى كريمة(2).

ج - الكتاب السابع والعشرون

وقد رواه عنه زرارة بن أعين الشيبانى، الكوفى(3).

د - الكتاب الثامن والعشرون

رواه عنه عبد المؤمن بن القاسم، الأنصارى الكوفى(4).

ه -- الكتاب التاسع والعشرون: رسالة الإمام الباقر عليه السلام إلى سعد بن عبد الملك الأموى

وهو صاحب نهر سعد بركة الكوفة، وقد رواها عنه الشيخ الكلينى بسندين(5).

وغيرها من الكتب التى ذكرها النجاشى فى رجاله(6).

ص:156

1- (1) الفهرست لابن النديم: ص 36. تأسيس الشيعة لشرف الدين: ص 327. إيمان الشيعة لمحسن الأمين: ج 1، ق 1، ص 112.

2- (2) تأسيس الشيعة لشرف الدين: ص 286.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) تأسيس الشيعة: ص 385.

5- (5) الكافى للكلينى رحمه الله: ج 8، ص 52-55.

6- (6) رجال النجاشى: ص 178، برقم 467 وص 151، برقم 397.

الكتاب الثلاثون: كتاب المجموع تصنيف الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي 122 هـ -)

ويعرف هذا الكتاب أيضا ب - (مسند زيد) سمعه منه أبو خالد الواسطي، ورواه عنه أيضا(1)، والكتاب طبع مرات عديدة وهو منتشر في أغلب البلاد الإسلامية.

الكتاب الحادي والثلاثون: كتاب قراءة علي عليه السلام

وهو تصنيف زيد الشهيد رضى الله عنه(2).

الكتاب الثاني والثلاثون: كتاب الصفوة

وهو رسالة كلامية صغيرة لزيد الشهيد، تبحث في الإمامة(3).

الكتاب الثالث والثلاثون: كتاب التوحيد تصنيف الإمام جعفر بن محمد الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي سنة 148 هـ -)

وهو الكتاب الذى أملاه الإمام الصادق عليه السلام على المفضل بن عمر، ومنه سمى هذا الكتاب بتوحيد المفضل، وهو كتاب احتوى على مباحث فى عقيدة التوحيد(4).

ص: 157

1- (1) السنة قبل التدوين: ص 371.

2- (2) تأسيس الشيعة: ص 40.

3- (3) طبعها ناجى حسن، بمطبعة الآداب، فى النجف الأشرف.

4- (4) رجال النجاشى: ص 416، برقم 113. كتاب الذريعة للطهرانى: ج 4، ص 482، برقم 2156.

الكتاب الرابع والثلاثون: كتاب الأهلجة في التوحيد تصنيف الإمام الصادق عليه السلام

ويتضمن الكتاب ردودا على بعض الملحدين المنكرين للربوبية، وقد بعثه الإمام إلى المفضل بن عمر(1).

الكتاب الخامس والثلاثون: كتاب الأهوازية تصنيف الإمام الصادق عليه السلام

ويتضمن الكتاب ردودا على مجموعة من الأسئلة التي بعثها والى الأهواز عبد الله النجاشي في مواضيع أخلاقية(2).

الكتاب السادس والثلاثون: كتاب الجعفریات تصنيف الإمام الصادق عليه السلام

والكتاب من خلال عنوانه يدل على أنه مجموعة من أحاديث الإمام الصادق عليه السلام في أبواب الفقه، وهي مرتبة على أبواب، وهذا الكتاب رواه عنه حفيده إسماعيل ابن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام.

كما أن هذا الكتاب يمتاز بميزة فريدة وهي أن أسانيده كلها متصلة عنه، عن آبائه عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ورواه عنه أيضا محمد بن الأشعث الكوفي المصري، عن موسى بن إسماعيل حفيد الإمام الكاظم عليه السلام، عن أبيه إسماعيل عن جده موسى الكاظم عليه السلام ولهذا السبب سمي الكتاب ب - (الأشعثيات) أيضا(3).

ص:158

1- (1) الذريعة للطهراني: ج 2، ص 484، برقم 1901. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 3، ص 152-196.

2- (2) خاتمة المستدرک للميرزا النوري: ج 3، ص 146؛ الذريعة: ج 2، ص 485.

3- (3) خاتمة المستدرک: ج 1، ص 9 و ص 15.

فضلا عن مجموعة من الكتب التي نسبها إليه الرواة، وهي كالآتي:

1 - وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم(1).

2 - كتاب الحج(2).

3 - مناسك الحج وفرائضه(3).

4 - أبواب في الحلال والحرام(4).

5 - كتاب برواية اليربوعي البصري(5).

6 - كتاب النوادر، برواية العكلى(6).

7 - كتاب برواية القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل حفيد الإمام(7).

8 - كتاب النوادر، برواية المدنى(8).

9 - كتاب رواه عند مولاه عباس بن زيد المدنى(9).

10 - كتاب برواية محمد بن إبراهيم الإمام(10).

ص: 159

1- (1) الفهرسة لابن حبان الأندلسى: ص 277 و 138.

2- (2) رجال النجاشى: ص 14، برقم 9.

3- (3) رجال النجاشى: ص 283، برقم 751، ورواه من ثلاثة أسانيد.

4- (4) رجال النجاشى: ص 15، برقم 12.

5- (5) رجال النجاشى: ص 293، برقم 719، برواية عباد بن صهيب اليربوعى.

6- (6) رجال النجاشى: ص 152، برقم 398 وهو خالد بن يزيد العكلى الكوفى.

7- (7) رجال النجاشى: ص 314، برقم 859.

8- (8) رجال النجاشى: ص 157، برقم 412، والراوى هو: داود بن عطاء المدنى.

9- (9) رجال النجاشى: 872، برقم 750.

10- (10) رجال النجاشى: ص 157، برقم 412.

11 - كتاب برواية ابن هراسة(1).

12 - كتاب رواه البصرى(2).

13 - كتاب برواية سفيان بن عيينة(3).

14 - كتاب رواه ابن أبى أوس(4).

15 - كتاب برواية الزهرى القرشى(5).

إذن: يكون مجموع ما تم تصنيفه في مدرسة العترة النبوية حتى عام 148 هـ، وهى السنة التى توفى فيها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، واحداً وخمسين كتاباً، ناهيك عن الكتب التى كتبتها تلامذته الذين وصفهم أبو محمد الحسن بن على الوشاء البجلي الكوفى ابن نبت الياس الصيرفى من أصحاب الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (أدركت تسعمائة شيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام بمسجد الكوفة كل يقول حدثنى جعفر بن محمد عليه السلام)(6).

ولقد قام الإمام الصادق عليه السلام ضمن فترة قياسية بإنشاء مدرسة الكوفة العلمية، التى كانت تدرس العلوم الدينية والطبيعية، كالرياضيات والفلك والكيمياء وغيرها، فكان من ثمارها العالم الكيمياء(7) جابر بن حيان الصوفى

ص:160

1- إبراهيم بن رجاء الشيبانى الجحدرى، ابن هراسة. رجال النجاشى: ص 16، برقم 16.

2- الفضيل بن عياض البصرى. رجال النجاشى: ص 310، برقم 847.

3- رجال النجاشى: ص 190، برقم 506.

4- وهو عبد الله بن أبى أوس الأصبهى. رجال النجاشى: ص 224، برقم 586.

5- وهو مطلب بن زياد الزهرى القرشى المدنى. رجال النجاشى: ص 432، برقم 1136.

6- رجال النجاشى: ص 40. الذريعة للطهرانى: ج 5، ص 18. معجم رجال الحديث للسيد الخونى قدس سره: ج 6، ص 38.

7- تفسير الألوسى: ج 20، ص 118، وقد سماه ب - (إمام فى هذه الصنعة) أى الكيمياء.

صاحب المصنفات الكثيرة في علم الكيمياء (1) ك - (كتاب علل المعادن)(2) و (كتاب الحدود في الكيمياء)(3) ، وكتب كذلك في الفلك والنجوم فصنف كتابا باسم (الفهرست)(4) وصنف في العلوم الغربية(5) ، وغيرها. وذكر له الياس سركيس مجموعة من الكتب منها:

1 - أسرار الكيمياء، أو كشف الأسرار وهتك الأستار، لم يطبع من هذا الكتاب إلا ترجمات باللغة اللاتينية، وطبع قسم منه باللغة العربية ضمن كتاب الأستاذ برتولوا المسمى (- La Chimie au Moyen age Vol paris 31893).

1 - كتاب البيان.

2 - كتاب الحجر.

3 - كتاب النور.

4 - رسالة في الإيضاح.

5 - كتاب اسطقس الاس.

6 - كتاب اسطقس الاس الثاني.

7 - كتاب اسطقس الاس الثالث.

8 - تفسير كتاب اسطقس.

ص: 161

1- (1) الفهرست لابن النديم: ص 420؛ معجم المطبوعات لألياس سركيس: ج 1، ص 665.

2- (2) كشف الظنون لحاجي خليفة: ج 2، ص 1160.

3- (3) إيضاح الممكنون لإسماعيل باشا البغدادي: ج 2، ص 288.

4- (4) فرج المهموم للسيد ابن طاووس: ص 146.

5- (5) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي: ج 1، ص 249.

9 - كتاب التجريد.

10 - كتاب الرحمة.

وجميع هذه الكتب فى علم الإكسير الأعظم.

11 - كتاب الملك: طبع حجر بمبى: 1892، ص 35.

12 - كتاب المكتسب: موسوم بنهاية الطلب مع شرحه للجلدكى وهو باللغة الفارسية، طبع حجر بمبى 1307.

13 - كتاب السموم: وهو كتاب نفيس فى السموم مخطوط فى الخزانة التيمورية، نقل عنه المرحوم الدكتور صروف عدة مقالات، ذات فائدة عظيمة فى مجلة المقتطف الجزء 58 و (1)59.

14 - كما يوجد فى الخزانة التيمورية مخطوطة فيها خمس وخمسون رسالة فى الكيمياء لجابر بن حيان، وأصلها سبعون رسالة، وقيل: إن من هذه المجموعة نسخة خطية فى خزانة المرحوم نور الدين بن مصطفى (2).

بل قد ذكر البعض أن لجابر بن حيان من الكتب ما مجموعه (232) كتابا(3).

وعلى الرغم من سفره رحمه الله وتقله إلا أنه لم ينقطع عن المراسلة مع الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام(4).

ص: 162

1- (1) معجم المطبوعات العربية لإلياس سركيس: ج 1، ص 665.

2- (2) معجم المطبوعات العربية، لإلياس سركيس: ج 1، ص 665، (الهامش).

3- (3) هدية العارفين لإسماعيل باشا البغدادي: ج 1، ص 249.

4- (4) مستدرک الوسائل للنورى: ج 1، ص 432 و ج 16، ص 445. بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 59، ص 186.

ومن ثمار هذه المدرسة التي أسسها الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة أيضا شيخ كتاب السيرة النبوية محمد بن إسحاق المطلبى صاحب المغازى والسير التي اطلع عليها الإمام الصادق عليه السلام أثناء قدومه الكوفة.

وعليه؛ يكون مجموع ما تم تصنيفه من الكتب في مدرسة العترة النبوية حتى عام 151 هـ، وهي السنة التي توفي فيها محمد بن إسحاق رحمه الله، اثنين وخمسين كتابا ناهيك عن مصنفات جابر بن حيان وغيره من تلاميذ هذه المدرسة الذين توفوا بعد هذا التاريخ، ولأن البحث يتعلق بشيخ كتاب السيرة النبوية وما سبقه من نشأة التاريخ وحركته وعوامل تطوره وظهور الوعى التاريخى والتحليلى والنقدى عند العرب، فإن هذه المدرسة النبوية تكون هى صاحبة الفضل على العرب خصوصا والمسلمين عموما فى حفظ الإسلام والعلوم الدينية والطبيعية، بل لها الفضل على حركة العلم عند المسلمين بكل مراحلها منذ بدء التدوين والتصنيف فى عصر النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، فكان أول رواه الإمام على عليه السلام، إلى تنوعه أو انتشاره فى القرن الثانى الهجرى، وإلى بلوغه المشرق والمغرب؛ كما وعد الله رسوله المصطفى فى قوله تعالى:

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)1.

أما أسبقية هذه المدرسة وتقدمها على غيرها من المدارس فى تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكتابة التاريخ الفلسفى والتحليلى والنقدى، فهو مما امتازت به هذه المدرسة عن غيرها مع تسجيل حالة السبق فى التدوين - وهو ما سيتم بحثه فى المسألة الآتية.

أولاً: أقدم المدارس الإسلامية

مما لا شك فيه أن مدرسة المدينة هي من أقدم المدارس الإسلامية الأخرى التي نشأت في الكوفة والبصرة ومكة والشام(1).

وإذا عدنا إلى النهج الذي اتخذه أبو بكر وعمر بن الخطاب في حرق الصحائف والكتب أو محوها ومنع تدوين السنة النبوية، حتى عام 143 هـ - كما ينص الذهبي(2)، وياكراه من حكام بني أمية كما صرح الزهري(3).

فإن مدرسة العترة النبوية عليهم السلام التي لا تعتقد نهج الشيخين قد سعت في الحفاظ على السنة النبوية وتدوينها، وهي بذلك تكون أقدم هذه المدارس الإسلامية قاطبة.

ثانياً: الاختلاف فيمن أول من صنف المغازي

وإذا رجعنا إلى الدراسات التاريخية قديماً وحديثاً، نجد أن هذه الدراسات خلصت إلى القول بأن أول من اهتم بدراسة المغازي هي مدرسة المدينة.

إلا أنهم اختلفوا فيمن أول من صنف في المغازي.

ص: 164

1- (1) راجع التاريخ والمؤرخون لمصطفى شاكرو: الفصل الثالث والرابع. المدارس الإسلامية الصغرى والكبرى: ج 1، ص 113-160.

2- (2) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج 1، ص 151 و 229.

3- (3) تاريخ التراث العربي لفؤاد سركين: ج 2، ص 65.

ألف - فقد ذهب البعض إلى (أن من أوائل من دونوا أشياء عن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هو (سعيد بن سعد بن عبادة الأنصاري) الذي لم تعرف سنة وفاته(1).

علما؛ أن هذه الأشياء التي كتبها لم تعرف أهي له أم لأبيه الذي لم يعرف عنه أنه كان له شأن في التدوين.

وهذا قولهم: (وربما نظر فيها - أي هذه الأشياء - معدلا ما كتبه أبوه(2)، وكان كتابه موجودا في نسخته الأصلية في أوائل العصر العباسي عند حفيده سعيد بن عمرو(3)، وأن قسما مما كتب قد وصل إلينا في كتب المساند مثل مسند أحمد بن حنبل.

باء - وقال البعض: (إن أبان بن عثمان بن عفان (توفي بين 95-105 هـ) فهو محدث له ميل إلى دراسة المغازي، ومع أن أحد تلامذته كتب مغازيه، إلا أنها توصف بأنها من الحديث، وإذا استثنينا إشارة اليعقوبي - المؤرخ - فإننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه، في حين أنه يروي عنه في كتب الحديث، ويبدو أن أبان بن عثمان يمثل مرحلة انتقال بين دراسة الحديث ودراسة المغازي(4).

ويبدو من خلال قولهم (إننا لا نجد بين المؤرخين من نقل أو روى عنه) دليل على إقحامه في تدوين السيرة النبوية لأغراض تتعلق بالسلطة الأموية، لاسيما

ص:165

1- (1) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج 2، ص 65.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 69.

4- (4) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص 19.

وإن عبد الملك بن مروان قد سأله عن كتابة السيرة النبوية فأجابه: هي عنده حاضرة فلما رآها أمر بتخريفها(1).

وهذه الرواية وإن كانت تدل على بشاعة ما قام به عبد الملك بن مروان - كما سيمر بيانه لاحقاً - فإنها كذلك تدل على عدم تصريح أبان بن عثمان عن تصنيفه لهذه السيرة، لاسيما وهو على نهج الشيخين اللذين منعا التدوين. ولذا: فالظاهر من الرواية أنه كان يحتفظ بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي لم يصرح عن الشخص الذي صنفها، والظاهر أيضا أنها كانت محط استدلال من قال: إن أبان بن عثمان هو أول من صنف في المغازي. جيم - وقال البعض الآخر: (إن عروة بن الزبير (توفي 94 هـ -) كان مؤسس دراسة المغازي، إذ كان أول من ألف كتابا في المغازي، وقد وصل إلينا شيء من مغازيه في مقتبسات وردت عند بعض المؤرخين كالطبري، وابن إسحاق، والواقدي، وابن سيد الناس، وابن كثير، وهذه المقتبسات هي أقدم ما وصل إلينا في تاريخ المغازي(2).

أما سبب اهتمامه بالمغازي والسيرة النبوية فيعود إلى (أن البلاط الأموي سأله عن حوادث تتعلق بفترة الرسالة، فأجاب عن ذلك برسائل وصل إلينا بعضها في الطبري، وهي من أقدم القطع التاريخية التي وصلت إلينا ومن أوثقها(3).

ونستظهر من هذا القول ما يأتي:

ص:166

1- (1) الموقيات - الزبير بن بكار: ص 322-323.

2- (2) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص 19-20.

3- (3) نشأة علم التاريخ عند العرب للدوري: ص 55.

- 1 - إن الكتابة عن السيرة كانت من طلب البلاط الأموي الذي له ما له من العداء لأهل البيت عليهم السلام.
- 2 - إن هذه القطع لم تكن معروفة إلا من خلال كتاب الطبري المتوفى سنة 310 هـ، أي أنها لم تكن معروفة قبل هذا التاريخ.
- 3 - لم يكن عروة من أهل الاختصاص بالتاريخ والسيرة.
- 4 - إن هناك قطعاً أخرى مختلفة مع التي عند الطبري إلا أن التي عند الطبري هي الأوثق، ولا ندرى من الذي وثقها.

ثالثاً: لا دليل على امتلاك مدرسة المدينة التي اتبعت نهج الشيخين لكتاب مستقل في المغازي والسير

لم نحصل من خلال الدراسات في علم التاريخ الإسلامي على نصوص أو نتيجة قطعية على امتلاك مدرسة المدينة، التي اتبعت نهج الشيخين لكتاب مستقل في المغازي أو السيرة النبوية؛ كما هو حال مدرسة العترة النبوية الطاهرة عليهم السلام التي أثمرت كتاباً مستقلاً في المغازي والسير ك- (كتاب سليم بن قيس الهلالي)، وكتاب المغازي والسير لابن اسحاق.

أما الخبر القائل بأن عروة بن الزبير ألف كتاباً في (المغازي) فليس له مصدر قديم (1)، - كما أن - هناك قصة يتضح منها أن إجاباته عن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم - والتي كان قدمها مدونة - إنما اعتمدت على الأحاديث التي جمعها بنفسه (2).

ص: 167

1- (1) تاريخ التراث الإسلامي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 70-71، نقلا عن كشف الظنون لحاجي خليفة: 1747.

2- (2) تاريخ التراث الإسلامي: ج 2، ص 71.

وذكر السخاوي: (أن الزهري وأبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (المتوفى سنة 131 هـ) قد روى المغازي عن عروة⁽¹⁾، أي لم يكن لديه كتاب في السيرة قد كتبه بيده، لكي ينقل عن هذا الكتاب، وإنما هي عبارة عن حديث حدث به. وهذا يدل على عدم اتباع هذه المدرسة منهج التدوين في علم السيرة النبوية كمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

رابعا: أسبقية مدرسة العترة تجليل الحدث التاريخي ونقده

فضلاً عن أسبقية مدرسة العترة بتقديم كتاب مستقل في سيرة الرسول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم من تصنيف سليم بن قيس الهلالي رحمه الله، فإن هذه المدرسة قد امتازت بتقديم الحدث، وهو خاضع للتحليل والنقد والبيان.

وهذا يكشف عن امتياز تلاميذ هذه المدرسة بالوعي التاريخي والتحليلي، أي أنهم سنوا المنهج النقدي قبل (فوستل) صاحب التاريخ النقدي بألف وثلاثمائة سنة. وقد أدى هذا المنهج التحليلي والفلسفي والتعليقي الذي انتهجته مدرسة العترة إلى نشوء التفسير التاريخي، فبدأت معه فكرة فلسفة التاريخ بشكل أولى في مدرسة المدينة.

إلا أن الفرق بين مدرسة العترة ومدرسة البلاط الأموي - التي أكرهت الزهري على التدوين ومن قبله طلعت من عروة بن الزبير مقاطع من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم فكتب لها ذلك - الفرق هو أن مدرسة العترة كانت تحلل الحدث، وتنتقده، وتظهر علله وأسبابه ونتائجه، ثم تبني رأيها على هذه المعطيات - كما سيمر بيانه في كتاب سليم بن قيس -.

ص:168

بينما مدرسة البلاط الأموي علّلت التاريخ، وفلسفت الحدث على حيثية إرادة الله تعالى، فكانت هي محور هذه الفلسفة، ومنها نشأ الفكر الجبري(1).

(وإننا لنرى فكرة الجبر التي روج لها الأمويون واضحة في بعض أعمال عوانة بن الحكم، حيث يثبت دفاع بعض الأمويين عن حقهم ودفعتهم مسؤولية بعض الأعمال عن أنفسهم، كقيام يزيد بن معاوية بقتل الإمام الحسين عليه السلام، وينسبون ذلك إلى إرادة الله، ويرون في سلطنتهم أمراً إلهياً في مظاهر الجبر الإلهي، وإرادة الله الغالبة لكل شيء، ونجد بالمقابل فكرة حرية الإرادة، ومسؤولية البشر عما يقترفون - وهو رأى الأحزاب المعارضة للأمويين - نجدها واضحة في بعض ما كتب أبو مخنف، وبخاصة فيما يورده عن حركة - الإمام الحسين عليه السلام - وحركة التوابين(2).

خامساً: نشوء الفكر الجبري

إن أول بذرة بُذرت لنشوء الفكر الجبري كانت في زمن أبي بكر، ومنذ الأيام الأولى لتولية الخلافة التي اتخذت - أي الخلافة - في بادئ الأمر مفهوم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم اتخذت مفهوم خلافة المسلمين، ثم أمراء وحكام.

ص:169

- 1- (1) الجبرية، هذه اللفظة أخذت من (الجبر) ومفهومه عند معتقديه هو نفي الفعل عن العبد وإضافته إلى الرب تعالى (الملل والنحل للشهرستاني: ج 1، ص 85). ونشأ الفكر الجبري عند بعض المسلمين نتيجة لظهور الخلاف فيما بينهم في القيادة الفكرية (فحدّثت مذاهب واتجاهات ووجدت مناهج متباينة في المعارف الاعتمادية فاختلّف المسلمون في هذا المجال إلى معتزلة وجبرية، وانقسمت المعتزلة إلى أصلية، هذلية نظامية، خابطية، بشرية، معمرية، مردارية، ثمامية، هاشمية، جاحظية، خياطية، وانقسمت الجبرية إلى: جهمية، نجادية، ضرارية.
- 2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 90-91.

فكانت البذرة لظهور الفكر الجبرى هي عند قول أبى بكر: (إلا وإنكم إن كلفتمونى أن أعمل بمثل عمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم أقم به، كان رسول الله عبداً أكرمه الله بالوحي وعصمه به، ألا وإنما أنا بشر ولست بخير من أحد منكم فراعونى، فإذا رأيتمونى استقمتم فاتبعونى، وإن رأيتمونى زغت فقومونى، واعلموا أن لى شيطاناً يعترينى، فإذا رأيتمونى غضبت فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم - أى شعر الرأس - وأبشاركم - أى بشرة الجلد) - (1).

وهذا القول وإن لم يكن محوره (إرادة الله) وأنه مجبر على فعله إلا أنه كان البداية لنشوء فكرة التخلّى عن مسؤولية الأفعال الصادرة عن الخليفة لعليّين.

1 - لأنه لم يكن يوحى إليه، ولذا هو غير ملزم بما كان يفعله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذى كان يسدد بالوحي، ولذلك هو لا يخطئ أو إن لديه مبرراً فى فعله وقوله وهو الوحي.

2 - إن له شيطاناً يعتريه فإذا غضب ووقع أمراً فى قطع رؤوسهم أو أعضائهم، وهو ما كنى عنه بلفظ (أشعاركم وأبشاركم)، فهو غير مسؤول عن هذا الصنع، لأنه مجبر على فعله بسبب اعتراء الشيطان له.

ومما يدل عليه: ما روى عنه بلفظ آخر: (أفتظنون إنى أعمل فيكم بسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ - إذن: لا أقوم بها إن رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان معه ملك، وإن لى شيطاناً يعترينى، فإذا غضبت فاجتنبونى لا أوثر فى أشعاركم وأبشاركم، ألا فراعونى) (2). أى التخلّى عن مسؤولية الأفعال وفى نفس الوقت أنه مجبر على القيام بها.

ص: 170

1- (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 3، ص 212.

2- (2) كنز العمال للمتقى الهندي: ج 5، ص 590. الغدير للعلامة الأميني: ج 7، ص 118.

ثم تبلورت هذه الفكرة في خلافة أمير المؤمنين عليه السلام، حينما خرج عليه معاوية بن أبي سفيان، وتحديدا تبلور هذا الفكر في حديث السيدة عائشة؛ التي لعبت دورا أساسياً في دعم خروج معاوية بن أبي سفيان لحرب على بن أبي طالب عليه السلام، ومما يدل عليه:

ما رواه الذهبي، وابن عساکر، وابن كثير، وغيرهم، عن الأسود بن يزيد، قال: (قلت لعائشة، ألا تعجبين لرجل من الطلقاء ينازع أصحاب رسول الله في الخلافة؟).

فقلت: وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتیه البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة، وكذلك غيره من الكفار(1).

ولقد أعطى هذا القول دفعا قويا فيما بعد لحكام بني أمية، كما أنه أعطى نمووا للفكر الجبري الذي ظهرت ثمرته في حكم يزيد بن معاوية، الذي يبدو أنه استخدم هذا الفكر بقوة للتخلص من الجريمة التي ارتكبها في حق الإسلام والمسلمين، حينما قام بقتل ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته، وسبى بناته وذريته. ومما يدل عليه:

1 - ما رواه الطبري في أحداث سنة 61 هـ -، من قول عن يزيد بن معاوية وهو يحاول بث الفكر الجبري أمام الحاضرين في مجلسه، وهو يحدث على بن الحسين عليهما السلام قائلا له: (أبوک نازعنى سلطاني فصنع الله به ما قد رأيت)(2).

ص:171

1- (1) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 3، ص 143. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 59، ص 145. البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 140. شرح الأخبار للقاضي النعمان المغربي: ج 2، ص 159. الغدير للعلامة الأميني: ج 10، ص 173.
2- (2) تاريخ الطبري: ج 5، ص 461.

2- وقوله: (إن الحسين لم يقرأ قوله تعالى:

﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾⁽¹⁾.

3- ولم ينحصر الفكر الجبري بيزيد بن معاوية، وإنما هو عند ولاته أيضا مما يدل على أن هذا الفكر منتشر في الساحة الإسلامية آنذاك.

ومن الشواهد على ذلك:

قول عبيد الله بن زياد والى الكوفة للعقيلة زينب بنت علي أمير المؤمنين عليهما السلام: كيف رأيت صنع الله بأخيك وأهل بيتك؟!.

فقال عليها السلام:

«ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم، فانظر لمن يكون الفلج يومئذ، نكلتك أمك يا ابن مرجانة»⁽¹⁾.

ص: 172

1- (3) كتاب الفتوح لابن أعمش: ج 5، ص 122. مشير الأحزان لابن نما الحلبي: ص 71. اللهوف لابن طاووس: ص 94.

أى: إن كنت تسأل عن صنع الله تعالى فالله لا يصنع إلا جميلاً، وإن كنت تسأل عن فعل قتلهم فستحتاج يوم القيامة وسيخاصمك الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وعندها فانظر لمن يكون هذا الفعل الذى نزل بأخى وأهل بيتى أهو لله كما تزعم أم أن هذا الفعل فعلك يا ابن مرجانة.

سادساً: الخلط بين الخلافة والملك

هذه الشبهة التى وقع فيها بعض الصحابة لتبليور فى حكام البلاط الأموى، أى: الخلط بين الظهور بمظهر الخلافة وإن الحاكم إنما هو (خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم) وبين الظهور بمظهر الملك والسلطان وإن الله تعالى اختار لملكه هذا الحاكم أو ذاك، أدى إلى الاضطراب فى السلوك، لأن الخلافة تفرض من خلال موقعها وعنوانها الشرعى المتصل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم تفرض على صاحبها السير ضمن الحدود الشرعية، وهو ما لم يتصف به الحكام والملوك، لأنهم لم يخضعوا لتلك الضوابط التى يخضع لها الخليفة، أى خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من ثم فهم لا يعلمون أملوك هم أم خلفاء؟.

ومما يدل عليه:

1 - روى ابن سعد عن سفيان بن أبى العوجاء، قال: قال عمر بن الخطاب: والله ما أدرى أنا خليفة أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم.

قال قائل: يا أمير المؤمنين أن بينهما فرقا، فإن الخليفة لا يأخذ إلا حقا ولا يضعه إلا فى حق، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطى هذا، فسكت عمر (1).

2 - وعن ابن سعد ايضا، عن سلمان المحمدي (الفارسي)، أنّ عمر قال له: أملك أنا أم خليفة؟.

ص: 173

1- (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 3، ص 307. الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: ج 5، ص 306.

فقال سلمان: إن أنت جبيت من أرض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر، ثم وضعته في غير حقه فأنت ملك غير خليفة؛ فاستعبر عمر(1).

3 - روى الثعلبي في تفسيره، أن عمر بن الخطاب سأل طلحة والزبير وكعبا وسلمان: ما الخليفة من الملك؟.

فقال طلحة والزبير: ما ندري.

فقال سلمان: الخليفة الذي يعدل في الرعية، ويقسم بينهم في السوية، ويشفق عليهم شفقة الرجل على أهله، ويقضى بكتاب الله.

فقال كعب: ما كنت أحسب أن في المجلس أحداً يعرف الخليفة من الملك غيري، ولكن الله عز وجل مأل سلمان حكما وعلما وعدلا(2).

ورب سؤال يفرض نفسه في البحث: من من الذين جلسوا على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانت فيه هذه الصفات، التي ذكرها الصحابي الجليل سلمان المحمدي رضوان الله تعالى عليه؟ كي نعلم من منهم كان خليفة ومن كان ملكاً.

4 - قول عائشة الذي سبق، حينما سألتها الأسود بن يزيد عن منازعة معاوية بن أبي سفيان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو من الطلقاء - أي: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أطلقه من الأسر يوم فتح مكة هو وجميع المشركين، فقال: اذهبوا فأنتم الطلقاء - فكان الأسود متعجباً من منازعة معاوية الصحابة في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ص:174

1- (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 3، ص 306. تاريخ الطبري: ج 3، ص 279. الكامل في التاريخ لابن الأثير: ج 3، ص 59.

2- (2) تفسير الثعلبي: ج 1، ص 177.

فقلت: (وما تعجب من ذلك؟ هو سلطان الله يؤتية البر والفاجر، وقد ملك فرعون أهل مصر أربعمئة سنة، وكذلك غيره من الكفار).

ويظهر من حديث عائشة:

أ. إمكانية أن يجلس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويحكم المسلمين من يكون كفرعون ملك مصر أو غيره من الكفار، من ثم: ليس هناك من عجب في منازعة معاوية بن أبي سفيان؛ وهو من الطلقاء؛ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ب. الخلط واضح في الفكر السائد عند الرموز الإسلامية بين مقام خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبين الملك الذي يمكن أن يظهر في كافر من الكفار كفرعون، لأن السائل يسأل عن خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وعائشة تجيب عن الملك.

ج. وجود حالة من النزاع بين صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على مقام الخلافة أو الملك كلا منهم حسب فهمه لهذا الموقع.

د. إسكات الأصوات المعارضة لهذا النزاع، والتي تُظهر نسبة من الوعي والقدرة على تمييز الدخلاء على موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن غيرهم.

هـ. - إفراغ موقع خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من العنوان الشرعي من خلال المقارنة بينها وبين ملك مصر، في حين كان يلزم الأمر أن تكون المقارنة بين موسى عليه السلام وخليفته، وهذا يدعو إلى الاعتقاد منذ البدء بأنه ملك وليس خلافة مرتبطة بالسماء كما عنون لها القرآن:

ص:175

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)¹.

وهو نبي الله آدم عليه السلام.

ولذا حاول أولئك الحكام إصباغ موقعهم السلطوي بصبغة شرعية محورها إرادة الله، وأن الملك لله تعالى يهبه من يشاء، وعليه فيمكن أن يكون الحاكم أسوأ من فرعون، ولا علاقة للحدود الشرعية في أمره ونهيه وفعله وتركه، وهو ما كان عليه حال المسلمين خلال القرون الماضية، وليس حالهم اليوم بأفضل من أمسهم.

إذن: لم تكن لمدرسة أهل البيت عليهم السلام الأسبقية في التدوين فقط، وإنما كان لها الأسبقية في الوعي التحليلي والفلسفي والنقدي، فقدمت مع الحدث تحليلاً وبيانا يوضح الأسباب والنتائج التي كونت الحدث.

أما من حيث الأسبقية في تدوين (المغازي) فقد سجل هذا السبق إلى عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على مدة خلافته في الكوفة.

فقد قام بكتابة من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام - في حروب الجمل وصفين والنهروان من الصحابة(1)، وهو (أول من صنف في المغازي والسير والرجال في الإسلام لأنه لم يعرف من سبقه)(2).

وأما من حيث تدوين سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع بيان المنهج التحليلي والفلسفي والنقدي للحدث؛ فقد برز سليم بن قيس الهلالي.

ص:176

1- (2) التاريخ العربي لشاكر مصطفى: ج 1، ص 170.

2- (3) الذريعة للطهراني: ج 4، ص 181. التاريخ العربي لشاكر مصطفى: ج 1، ص 170.

أولاً: أقوال علماء المدارس الإسلامية فيه

حظى كتاب سليم بن قيس باهتمام أكثر المدارس الإسلامية، فمنهم من أنكره أو شكك فيه، ومنهم من اتخذ منهجاً وسطاً، ومنهم من أثنى عليه.

ويظهر من هذا أنّ الكتاب قد نال شهرة واسعة، وأنه معروف لدى أغلب أهل العلم، وإنّ تفاوتت الآراء فيه، وهذا لا يفقد الكتاب خاصيته العلمية وتفردته في موضوعه ومنهجه، كما لا يفقد الشمس نورها من أنكر عليها الشروق.

ألف: فمن المشككين في الكتاب

1 - ابن أبي الحديد المعتزلي، فقد قال: (إني قد سمعت من بعضهم من يذكر أن هذا الاسم على غير مسمى، وأنه لم يكن في الدنيا أحد يعرف بسليم بن قيس الهلالي، وأن الكتاب المنسوب إليه منحول موضوع لا أصل له، وإن كان بعضهم يذكره في اسم الرجال⁽¹⁾).

2 - ابن الغضائري: وقد اتهم الكتاب بالوضع، فقال: (سليم بن قيس الهلالي العامري، روى عن أبي عبد الله - الصادق عليه السلام - والحسن والحسين وعلى بن الحسين عليهم السلام، وينسب إليه هذا الكتاب المشهور وكان أصحابنا يقولون: إن سلیماناً لا يعرف ولا ذكر في خبر، وقد وجدت ذكره في مواضع من غير جهة كتابه ولا من رواية أبان بن أبي عياش).

ص: 177

1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 12، ص 217.

وقد ذكر ابن عقدة في رجال أمير المؤمنين أحاديث عنه، والكتاب موضوع لا مزية فيه، وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه، منها ما ذكر أن محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند الموت، ومنها أن الأئمة ثلاثة عشر، وغير ذلك وأسانيده هذا الكتاب تختلف تارة برواية عمر بن أذينة عن إبراهيم بن عمر الضعاعي عن أبان بن أبي عياش عن سليمان و (تارة) يروي عن عمر عن أبان بلا واسطة، وقال في أبان بن أبي عياش: ونسب أصحابنا وضع كتاب سليمان بن قيس إليه(1).

3 - وقد قال الشيخ المفيد رحمه الله في آخر كتابه (تصحیح الاعتقاد): وأما ما تعلق به أبو جعفر رحمه الله من حديث سليمان الذي رجع فيه إلى الكتاب المضاف إليه برواية أبان بن أبي عياش، فالمعنى فيه صحيح غير أن هذا الكتاب غير موثوق به، وقد حصل فيه تخليط وتدليس، فينبغي للمتدين أن يجتنب العمل بكل ما فيه، ولا يعول على جملته والتقليد لروايته، وليفتنح إلى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث، ليوقوه على الصحيح منها والله الموفق للصواب(2).

باء: من اتخذ من العلماء منهجاً وسطاً في تقييمه لكتاب سليمان بن قيس

1 - ابن النديم (المتوفى 385 هـ -)، قال: وهو كتاب سليمان بن قيس المشهور(3).

2 - القاضي بدر الدين السبكي (المتوفى 769 هـ -): (إن أول كتاب صنف للشيعة هو كتاب سليمان بن قيس الهاللي(4)).

ص: 178

1- (1) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج 9، ص 228، برقم 5401.

2- (2) تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد: ص 151.

3- (3) الفهرست لابن النديم: ص 275.

4- (4) الذريعة للطهراني: ج 2، ص 153.

3 - الملا حيدر على الفيض آبادي: (كان صحة هذين الكتابين، أي كتاب سليم بن قيس، وتفسير أهل البيت عليهم السلام (تفسير القمي) وأصحية واحد منهما على سبيل منع الخلو إجماعي عند محققى الشيعة، وعليه فمحتوى الكتابين (عند الشيعة) صادر بعلم اليقين عن لسان ترجمان الوحي النبوي، وذلك لأن جميع علوم الأئمة الصادقين تنتهي إلى هذه البحار الزاخرة)(1).

جيم - من أتى من العلماء على كتاب سليم بن قيس

1 - قال النعماني في كتاب الغيبة في باب ما روى في أن الأئمة اثنا عشر إماماً: إن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم حملة حديث أهل البيت عليهم السلام وأقدمها، وأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأمير المؤمنين عليه السلام والمقداد وسلمان الفارسي وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام، وسمع منهما وهو من الأصول التي ترجع الشيعة إليها وتعول عليها(2).

2 - عده الشيخ الحر العاملي صاحب وسائل الشيعة: (من الكتب التي تواترت من مؤلفيها، وعلمت صحت نسبتها إليهم)(3).

3 - السيد هاشم البحراني (توفي سنة 1107 هـ -)، قال: (وهو كتاب مشهور معتمد نقل عنه المصنفون في كتبهم)(4).

ص: 179

1-1) منتهى الكلام: ج 3، ص 29.

2-2) كتاب الغيبة للنعماني: ص 61.

3-3) وسائل الشيعة للحر العاملي: ج 20، ص 36.

4-4) غاية المرام للسيد هاشم البحراني: ص 549، الباب 54.

4- المحدث النورى (المتوفى سنة 1320 هـ-) صاحب المستدرک، قال: (كتابه من الأصول المعروفة ولأصحاب إليه طرق كثيرة)(1).

5- آغا بزرك الطهرانى، صاحب كتاب الذريعة، قال: (كتاب سليم هذا من الأصول الشهيرة عند الخاصة والعامة)(2).

6- العلامة الأمينى، صاحب كتاب الغدير، قال: (كتاب سليم من الأصول المشهورة المتداولة فى العصور القديمة)(3).

دال - وجوه التشكيك بكتاب سليم بن قيس ومناقشتها عند السيد أبى القاسم الخونى قدس سره

قال السيد الخونى قدس سره: ولكن قد يناقش فى صحة هذا الكتاب بوجوه:

الوجه الأول: أنه موضوع وعلامة ذلك اشتماله على قصة وعظ محمد بن أبى بكر أباه عند موته، مع أن عمر محمد وقتئذ كان أقل من ثلاث سنين، واشتماله على أن الأئمة ثلاثة عشر.

ويرد هذا الوجه: أولاً أنه لم يثبت ذلك، والسند فى ذلك ما ذكره ابن الغضائرى وقد تقدم غير مرة: أنه لا طريق إلى إثبات صحة نسبة الكتاب المنسوب إلى ابن الغضائرى، كيف وقد ذكر صاحب الوسائل فى ترجمة سليم بن

قيس: والذى وصل إلينا من نسخة الكتاب ليس فيه شيء فاسد، ولا شيء مما استدل به على الوضع، ولعل الموضوع الفاسد غيره، ولذلك لم يشتهر، ولم يصل إلينا (انتهى).

ص:180

1- (1) مستدرک الوسائل للمحدث النورى: ج 3، ص 73.

2- (2) الذريعة للطهرانى: ج 2، ص 153.

3- (3) الغدير عبد الحسين الأمينى: ج 1، ص 195، (الهامش).

وقال الميرزا الأسترآبادى فى رجاله الكبير: إن ما وصل إلى من نسخة هذا الكتاب المذكور فيه أن عبد الله بن عمر وعظ أباه عند الموت وأن الأئمة ثلاثة عشر مع النبى صلى الله عليه وآله وسلم وشىء من ذلك لا يقتضى الوضع (انتهى).

وقال الفاضل التفرىشى فى هامش التقد: قال بعض الأفاضل: رأيت فيما وصل إلى من نسخة هذا الكتاب أن عبد الله بن عمر وعظ أباه عند موته وأن الأئمة ثلاثة عشر من ولد إسماعيل وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الأئمة الإثنى عشر ولا محذور فى أحد هذين (انتهى).

وإنى لم أجد فى جميع ما وصل إلى من نسخ هذا الكتاب إلا كما نقل هذا الفاضل، والصدق مبين فى وجه أحاديث هذا الكتاب من أوله إلى آخره، فكان ما نقل ابن الغضائرى محمول على الاشتباه. (انتهى كلام الفاضل التفرىشى).

قال السيد الخوئى رحمه الله: ومما يدل على صحة ما ذكره صاحب الوسائل والفاضلان التفرىشى والاسترابادى: أن النعمانى روى فى كتاب الغيبة بأسناده عن سليم بن قيس فى كتابه حديثاً طويلاً، وفيه:

(فقال على عليه السلام:

«ألستم تعلمون أن الله عز وجل أنزل فى سورة الحج:

(و جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَ تَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) I».

ص: 181

فقام سلمان رضى الله عنه عند نزولها فقال يا رسول الله من هؤلاء الذين أنت شهيد عليهم وهم شهداء على الناس الذين اجتباهم الله ولم يجعل عليهم فى الدين من حرج ملة أبيهم إبراهيم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«عنى الله بذلك ثلاثة عشر إنسانا أنا وأخى عليا وأحد عشر من ولده (الحديث)».

أيضا بإسناده عنه قال: لما أقبلنا من صفين مع أمير المؤمنين عليه السلام نزل قريبا من دير نصراني، إذ خرج علينا شيخ من الدير جميل الوجه حسن الهيئة والسمت، معه كتاب حتى أتى أمير المؤمنين عليه السلام فنسلم عليه.. (إلى أن قال): وفى ذلك الكتاب ثلاثة عشر رجلا من ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الله من خير خلق الله.. (إلى أن قال) رسول الله اسمه محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأحب من خلق الله بعده على ابن عمه لأمه وأبيه ثم أحد عشر رجلا من ولد محمد وولده أولهم يسمى باسم ابني هارون شبرا وشبيرا وتسعة من ولد أصغرهما واحد بعد واحد، آخرهم الذى يصلى عيسى خلفه.

وروى أيضا بإسناده عنه حديثا طويلا وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال لعلى عليه السلام:

قد سألت فافهم الجواب (إلى أن قال): قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن شركائى؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم:

«الذين قرنهم الله بنفسه وبى. فقال:

(يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ) 1.

(الآية) (إلى أن قال): قلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سمهم لى، فقال:

«ابنى هذا.

ووضع يده على رأس الحسن عليه السلام.

ثم ابنى هذا.

ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام.

ثم ابن له على اسمك يا على عليه السلام، ثم ابن له محمد بن على عليهما السلام.

ثم أقبل على الحسين عليه السلام وقال:

سيولد محمد بن على فى حياتك فأقرته منى السلام».

ثم تكلمة اثنى عشر إماما (الحديث).

وروى بإسناده عنه أيضا أن عليا عليه السلام، قال لطلحة فى حديث طويل عند تفاخر المهاجرين والأنصار:

«يا طلحة أليس قد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين دعا بالكتف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة بعده ولا تختلف؟

إلى أن قال:

وسمى من يكون من أئمة الهدى الذين أمر المؤمنين بطاعتهم إلى يوم القيامة فسمانى أولهم ثم ابنى هذا حسن ثم ابنى هذا حسين ثم تسعة من ولد ابنى هذا حسين (الحديث)».

ص:183

وروى بإسناده عنه أيضا حديثا طويلا فيه قال علي بن أبي طالب عليه السلام إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«فما بال أقوام يعيرونى بقرابتي وقد سمعوني أقول فيهم ما أقول من تفضيل الله تعالى إياهم.

إلى أن قال:

نظر الله إلى أهل الأرض نظرة فاختراني منهم، ثم نظر نظرة فاختر عليا أخى ووزيرى ووارثى ووصيى وخليفتى فى أمتى وولى كل مؤمن بعدى.

إلى أن قال:

ثم أن الله نظر نظرة ثالثة فاختر من أهل بيتى بعدى وهم خيار أمتى أحد عشر إماماً بعد أخى».

وروى محمد بن يعقوب بسندين صحيحين وبسند آخر عن أبان بن أبي عياش، عن سليمان بن قيس الهلالي، قال: (سمعت عبد الله بن جعفر الطيار يقول: كنا عند معاوية أنا والحسن والحسين وعبد الله بن عباس وعمر بن أم سلمة فجرى بينى وبين معاوية كلام فقلت لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول:

«أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم أخى على بن أبى طالب عليه السلام أولى بالمؤمنين من أنفسهم فإذا استشهد على فالحسن بن على أولى بالمؤمنين من أنفسهم ثم ابنى الحسين من بعده أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فإذا استشهد فابنه على بن الحسين أولى بالمؤمنين من أنفسهم وستدرکه يا على، ثم ابنه محمد بن على، أولى بالمؤمنين من أنفسهم».

ص: 184

ثم تكلمة اثني عشر إماما تسعة من ولد الحسين.. إلى أن قال سليم وقد سمعت ذلك من سلمان وأبي ذر والمقداد وذكروا أنهم سمعوا ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(1).

ورواه النعماني في كتاب الغيبة عن محمد بن يعقوب نحوه، ورواه الصدوق في الخصال في أبواب الاثني عشر، الحديث 41، بسندين صحيحين عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس الهلالي نحوه، وروى أيضا فيه الحديث 38 عن أبيه قال حدثنا سعد بن عبد الله بن أبي خلف، قال: حدثني يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى بن أبي خلف، قال: حدثني يعقوب بن يزيد عن حماد بن عيسى عن عبد الله بن مسكان عن أبان بن تغلب عن سليم بن قيس الهلالي عن سلمان الفارسي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وإذا الحسين على فخذه وهو يُقبَل عينيه ويلثم فاه وهو يقول:

«أنت سيد ابن سيد أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة أنت حجة ابن حجة أبو حجج تسعة من صلبك تاسعهم قائمهم».

قال رحمه الله: وبما ذكرناه يظهر أن ما نسبته ابن الغضائري إلى كتاب سليم بن قيس من رواية أن الأئمة ثلاثة عشر لا صحة له، غاية الأمر أن النسخة التي وصلت إليه كانت مشتملة على ذلك، وقد شهد الشيخ المفيد أن في النسخة تخليطا وتديسا، وبذلك يظهر الحال فيما ذكره النجاشي في ترجمة هبة الله بن أحمد بن محمد من أنه عمل كتابا لأبي الحسين العلوي الزيدي، وذكر الأئمة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين عليهما السلام، واحتج بحديث في كتاب سليم بن قيس

ص: 185

1- (1) الكافي للكليني رحمه الله: ج 1، كتاب الحجّة، باب ما جاء في الاثني عشر والنص عليهم، عليهم السلام: ص 126، ح 4.

الهلالى: أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين عليه السلام. - ويتضح من هذا إن الشيخ المفيد لم ينف الكتاب كله بل قال فيه تخليد واليفزع إلى العلماء فى ما تضمنته من الأحاديث ليوقوه على الصحيح، والظاهر من عبارته عدم النفى بالكلية بل وجود الصحيح من الروايات يرجع فيها إلى العلماء؛ وهذا الكلام غير ظاهر فى نفى الكتاب أصلاً، بل تأكيد ما فيه من غير الصحيح -.

وأما وعظ محمد بن أبى بكر أباه عند موته: فلو صح فهو وإن لم يكن عادة إلا أنه يمكن أن يكون على نحو الكرامة وخرق العادة. وعلى ذلك فلا وجه لدعوى وضع كتاب سليم بن قيس أصلاً، وثانياً: إن اشتغال كتاب على أمر باطل فى مورد أو موردين لا يدل على وضعه، كيف ويوجد ذلك فى أكثر الكتب حتى كتاب الكافى الذى هو أمّتن كتب الحديث واتقنها.

الوجه الثانى: أن راوى كتاب سليم بن قيس هو أبان بن أبى عياش وهو ضعيف على ما مر فلا يصح الاعتماد على الكتاب، بل قد مر عن العقيقى أنه لم يروه عن سليم بن قيس غير أبان بن أبى عياش.

والجواب على ذلك أن ما ذكره العقيقى باطل جزماً فقد روى عن سليم بن قيس فى الكافى وغيره من غير طريق أبان، وأما ما ذكره ابن الغضائرى من انحصار راوى كتاب سليم بن قيس بأبان، فيرده ما ذكره النجاشى والشيخ من رواية حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر الصنعانى عنه كتابه.

الوجه الثالث: أن راوى كتاب سليم بن قيس، أبان بن أبى عياش وهو ضعيف وإبراهيم بن عمر الصنعانى، وقد ضعفه ابن الغضائرى، فلا يمكن الاعتماد على كتاب سليم بن قيس.

والجواب: أن إبراهيم بن عمر وثقه النجاشي ولا يعارضه تضعيف ابن الغضائري على ما مر الكلام في ترجمته هذا، والصحيح أنه لا طريق لنا إلى كتاب سليم بن قيس المروزي بطريق حماد بن عيسى عن إبراهيم بن عمر عنه، وذلك فإن في الطريق محمد بن علي الصيرفي أبا سمينة وهو ضعيف كذاب.

الجهة الثالثة: قد عرفت أن للشيخ إلى كتاب سليم طريقين في أحدهما حماد بن عيسى، وعثمان بن عيسى، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم وفي الثاني حماد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم، وأما النجاشي فالظاهر أن في عبارته سقطا وجملة (عن أبان بن أبي عياش، عن سليم) قد سقطت بعد قوله: (وعثمان بن عيسى). وكيف كان فلا يصح ما ذكره ابن الغضائري من اختلاف سند هذا الكتاب فتارة يروي عن عمر بن أذينة، عن إبراهيم بن عمر الصنعاني، عن أبان بن أبي عياش عن سليم، وتارة يروي عن عمر عن أبان بلا واسطة. ولذلك فإن عمر بن أذينة غير مذكور في الطريق وإبراهيم بن عمر روى عن سليم بلا واسطة.

ثم إن بعض أهل الفن⁽¹⁾ قد استغرب رواية إبراهيم بن عمر عن سليم بلا واسطة واستظهر سقوط الوسطة وأن الصحيح رواية إبراهيم بن عمر عن أبان، عن سليم⁽²⁾. قال السيد الخوئي قدس سره: هذا الاستغراب غريب! فإن رواية إبراهيم بن عمر، عن سليم مع الوسطة أحيانا لا ينافي روايته عنه كتابا بلا واسطة، فإن إبراهيم بن عمر من أصحاب الباقر عليه السلام، فيمكن أن يروي عن سليم بلا واسطة، ودعوى أن ما في الكافي رواية عن كتاب سليم أيضا دعوى بلا

ص: 187

1- (1) هو العلامة التستري رحمه الله في كتابه قاموس الرجال.

2- (2) الكافي للكليبي: ج 2، كتاب الإيمان والكفر 1 في باب دعائم الكفر وصفة النفاق، ص 167 و 168، ح 1.

بينة وتحرص على الغيب، بل الظاهر أن لسليم أحاديث من غير كتابه، والشاهد على ذلك: ما قدمناه عن ابن شهر آشوب من أنه صاحب الأحاديث، له كتاب ويشهد له أيضا: أن النعماني بعد ما روى عدة روايات عن كتاب سليم، روى رواية عن محمد بن يعقوب بإسناده عن سليم، وقد تقدمت الروايات ويظهر من ذلك أن رواية محمد بن يعقوب لم تكن موجودة في كتاب سليم.

بقي هنا أمران:

الأول: أن ابن الغضائري ذكر في كلامه رواية سليم بن قيس عن أبي عبد الله والحسن والحسين وعلى بن الحسين عليهم السلام، وهذا غريب جدا! فإن سليم بن قيس لم يدرك الصادق عليه السلام، بل الظاهر من الرواية الأولى المتقدمة عن الكشي أنه مات في زمن علي بن الحسين عليهما السلام ولكن الرواية ضعيفة وقد صرح الشيخ في رجاله بأنه من المدركين الباقر عليه السلام.

الثاني: أن المذكور في روايتي الكشي المتقدمتين، رواية إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليماني عن ابن أذينة، عن أبان بن أبي عبيد عن سليمان بن قيس وهاتان الروايتان مع أنهما ضعيفتان، ولا أقل من جهة الحسن بن علي بن عيسى فيهما تحريف لا محالة، فإن الراوي عن ابن أذينة هو إبراهيم بن عمر اليماني لابنه إسحاق، بل لا وجود لإسحاق بن إبراهيم ومن المظنون به أن التحريف من النسخ، والصحيح فيه الحسن بن علي بن كيسان، عن أبي إسحاق إبراهيم بن عمر اليماني، عن ابن أذينة، وكيفما كان فطريق الشيخ إلى كتاب سليم بن قيس بكلا سنديه ضعيف ولا أقل من جهة محمد بن علي الصيرفي إلى سميته (1).

ص: 188

قال فوستيل حامل لواء التاريخ النقدي: (لا يكفي أن نقرأ النصوص، يجب أن نقرأها قبل أن نجعل من آرائنا عقيدة راسخة)⁽¹⁾.

من الأساليب التي اعتادها المؤرخون هو إيراد الحدث التاريخي سواء مدوناً أو مروياً دون إخضاعه للنقد أو التحليل مما أعطى صورة واحدة ومتكررة لما شهده الزمن من أحداث.

لاسيما وأن هذا الأسلوب ظل متبعاً إلى الآن عند الكثيرين ممن اهتموا بدراسة التاريخ، فقد لا تتعدى هذه الدراسة سوى الحديث عن هذا المؤرخ أو ذاك دون النظر إلى المكان والزمان والميول والمنهج الذي اعتمده المؤرخ.

ويبدو أن عزوف بعض الباحثين عن الخوض في هذه المحاور وغيرها هو لعدم وجود شيء جديد في هذه الصور المعادة على مرور الزمن.

أو لعدم وجود احتمالية أن يكون المؤرخ قد دَوّن مادته التاريخية من غير مؤثرات سياسية أو عقائدية أو شخصية، ومن ثم توفر القناعة بعدم تدخل المؤرخ في كتابة الحدث التاريخي.

ولذا: قد يندر أن نجد بين المؤرخين وبالأخص كتاب السيرة النبوية من أخضع الحدث إلى النقد والتحليل قبل التدوين، أو أنه دون مع الحدث ما قاده البحث إلى حقيقة تكون الأحداث ونشونها وعناصرها.

هذا النوع من المنهج التاريخي وجد عند مدرسة أهل البيت عليهم السلام مع امتيازهم بالأسبقية في كتابة السيرة النبوية، ومع امتيازهم أيضاً بدقة التوثيق.

ص: 189

إذ لم تشهد أى مدرسة تاريخية أن أحد أفرادها كان يعرض الحدث الذى سمعه على مصادر متعددة قبل أن يدون مادته.

كما لم تشهد أى مدرسة تاريخية أن المؤرخ مع اعتماده التوثيق وعرض المادة على مصادر متعددة كان ينتقى المصدر أيضا، وهذا منهج علمى حديث إلا أن مدرسة العترة عليهم السلام كانت قد اعتمدته قبل 1400 سنة، وهو المنهج الذى اعتمده سليم فى كتابته للسيرة.

ومن هنا: كان سليم بن قيس يعرض الحدث على على أمير المؤمنين عليه السلام، ويعرضه على الصحابى الجليل أبى ذر الغفارى وسلمان المحمدي (الفارسي) وعمار بن ياسر (رضوان الله تعالى عليهم) وعرض كتابه كذلك على الإمام الحسن بن على وأخيه الإمام الحسين وولده الإمام زين العابدين عليهم السلام، وهو مع عرض كتابه على هذه المصادر العلمية كان يناقشهم ويبحث معهم اختلاف الأحاديث والرؤى والتفسير والتوجهات التى عليها الناس فى ذلك الوقت.

أى: إن سليم بن قيس رحمه الله فضلاً عن اعتماده هذا المنهج، كان المؤرخ الأول الذى عايش الحالة العامة التى عليها الناس بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهى من أهم الفترات الزمنية التى شهدتها الأمة الإسلامية.

أما ما يدل على منهجه النقدى والتحليلى والفلسفى للتاريخ فهو الآتى:

روى الشيخ الكليني، والصدوق، والحر العاملى، والنورى، والمجلسى، وغيرهم، عن أبان بن أبى عمير عن سليم بن قيس الهلالي قال (قُلْتُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنِّي سَمِعْتُ مِنْ سَلْمَانَ وَالْمَقْدَادِ وَأَبَى ذَرٍّ شَيْئاً مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ وَأَحَادِيثَ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ، ثُمَّ

سَمِعْتُ مِنْكَ تَصْدِيقَ مَا سَجَعْتُ مِنْهُمْ وَرَأَيْتُ فِي أَيْدِي النَّاسِ أُمَّةً كَثِيرَةً مِنْ نَفْسِي يَرِ الْقُرْآنَ وَمِنْ الْأَحَادِيثِ عَنْ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّكُمْ تُخَالِفُونَهُمْ فِيهَا وَتَزْعُمُونَ أَنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ بَاطِلٌ، افْتَرَى النَّاسُ يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدِينَ وَيُفْسِرُونَ الْقُرْآنَ بِأَرْوَاحِهِمْ؟^٩

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ، فَقَالَ:

«قَدْ سَأَلْتُ فَأَفْهَمَ الْجَوَابَ إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذْبًا، وَنَابِيَةً حَقًّا وَمَنْسُوحًا، وَعَامًّا وَخَاصًّا، وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا، وَحِفْظًا وَوَهْمًا، وَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ (أَيُّهَا النَّاسُ) قَدْ كَثُرَتْ عَلَى الْكُذَّابَةِ فَمَنْ كَذَّبَ عَلَى مُتَعَمِّدًا فَلْيَسْبُوْهُ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ) ثُمَّ كُذِبَ عَلَيْهِ مِنْ بَعْدِهِ وَإِنَّمَا أَنَا كُمْ الْخَدِيثُ مِنْ أَرْبَعَةِ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ يُظْهِرُ الْإِيمَانَ مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَنَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ أَنْ يَكْذِبَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُتَعَمِّدًا فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَذَّابٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا هَذَا قَدْ صَحِبَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَرَأَاهُ وَسَمِعَ مِنْهُ وَأَخَذُوا عَنْهُ وَهُمْ لَا يَعْرِفُونَ حَالَهُ وَقَدْ أَخْبَرَهُ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَهُ وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ:

(وَ مَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (144) وَ لَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ) 1.

ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ فَمَتَّزَبُوا إِلَى أَيْمَةِ الضَّلَالَةِ وَالِدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَحَمَلُوهُمْ عَلَى رِقَابِ النَّاسِ

وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ المُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللّهُ فَهَذَا أَحَدُ الأَرْبَعَةِ.

وَرَجُلٌ سَدِّجَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ شَيْئاً لَمْ يَحْبِلْهُ عَلَى وَجْهِهِ وَوَجْهِهِ فِيهِ، وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِباً فَهُوَ فِي يَدِهِ، يَقُولُ بِهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيُرْوِيهِ فَيَقُولُ: أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَوْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهَمَ لَمْ يَقْبَلُوهُ وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ وَهَمَ لَرَفَضَهُ.

وَرَجُلٌ ذَالِثٌ سَدِّجَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَيْئاً لَمْ يَهَيِّ عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، أَوْ سَدِّجَهُ يَهَيِّ عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ، فَحَفِظَ مَنْسُوخَهُ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِيخَ، وَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ وَلَوْ عَلِمَ المُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ.

وَأَخْرَجَ زَائِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مُبِغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللّهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لَمْ يَنْسَهُ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ فَبَجَاءَ بِهِ كَمَا سَمِعَ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ وَعَلِمَ النَّاسِيخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ فَعَمِلَ بِالنَّاسِيخِ وَرَفَضَ الْمَنْسُوخَ فَإِنَّ أَمْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ نَاسِيخٌ وَمَنْسُوخٌ (خَاصٌّ وَعَامٌّ) وَمُحْكَمٌ وَمُتَشَابِهٌ قَدْ كَانَ يُكُونُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ: كَلَامٌ عَامٌّ وَكَلَامٌ خَاصٌّ بِمِثْلِ الْقُرْآنِ، وَقَالَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ:

(فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ)1.

فَيَسْتَبِيهُ عَلَى مَنْ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَدْرِ مَا عَنَى اللّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللّهُ

عليه وآله وسلم، وَأَيْسَ كُلِّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَانَ يَسْأَلُهُ عَنِ النَّسَبِ فِيهِمْ وَكَانَ مِنْهُمْ مَنْ يَسْأَلُهُ وَلَا يَسْتَفْهِمُهُ حَتَّىٰ إِنْ كَانُوا لَيُجِيبُونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّىٰ يَسْمَعُوا.

وَقَدْ كُنْتُ أَدْخُلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّ يَوْمٍ دَخَلَةً وَكُلَّ لَيْلَةٍ دَخَلَةً فَيَجْلِسُنِي فِيهَا أَدُورٌ مَعَهُ حَيْثُ دَارَ، وَقَدْ عَلِمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ لَمْ يَصْنَعْ ذَلِكَ بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ غَيْرِي فَرَبَّمَا كَانَ فِي بَيْتِي يَا بَنِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَكْثَرَ ذَلِكَ فِي بَيْتِي وَكُنْتُ إِذَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ بَعْضَ مَنَازِلِهِ أَخْلَانِي وَأَقَامَ عَنِّي نِسَاءَهُ فَلَا يَبْقَى عِنْدَهُ غَيْرِي وَإِذَا أَتَانِي لِلْحَلْوَةِ مَعِيَ فِي مَنْزِلِي لَمْ تَقُمْ عَنِّي فَاطِمَةُ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِي، وَكُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَجَابَنِي وَإِذَا سَكَتَ عَنْهُ وَقَبِيحَتْ مَسَائِلِي ابْتَدَأَنِي، فَمَا نَزَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آيَةٌ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا أَقْرَأَهَا عَلَيَّ فَكَتَبْتُهَا بِحَطِيٍّ وَعَلَّمَنِي تَأْوِيلَهَا وَتَفْسِيرَهَا وَنَاسِيحَهَا وَمَنْسُوحَهَا، وَمُحْكَمَهَا وَمَشَابِيهَا، وَخَاصَّهَا وَعَامَّهَا، وَدَعَا اللَّهَ أَنْ يُعْطِيَنِي فَهَمَّهَا وَحَفِظَهَا، فَمَا نَسِيتُ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَلَا عَلِمْتُ أَمَلًا عَلَى وَكُتِبْتُ، مُنْذُ دَعَا اللَّهَ لِي بِمَا دَعَا، وَمَا تَرَكَ شَيْئًا عَلَّمَهُ اللَّهُ مِنْ حَلَالٍ وَلَا حَرَامٍ وَلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ كَانَ أَوْ يَكُونُ وَلَا كِتَابٍ مُنْزَلٍ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ مِنْ طَاعَةٍ أَوْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا عَلَّمَنِيهِ وَحَفِظْتُهُ، فَلَمْ أَنْسَ حَرْفًا وَاحِدًا، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِي وَدَعَا اللَّهَ لِي أَنْ يَمَلَأَ قَلْبِي عِلْمًا وَفَهْمًا وَحُكْمًا وَنُورًا.

فَقُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا بَنِيَّ أَنْتَ وَأُمِّي مُنْذُ دَعَوْتَ اللَّهَ لِي بِمَا دَعَوْتَ لَمْ أَنْسَ

شَيْئاً وَلَمْ يَنْشِئْ شَيْءٌ لَمْ أَكْتُبْهُ ائْتَنَحَوْفُ عَلَيَّ الشُّبَّانُ فِيمَا بَعْدُ؟.

قَالَ: لَا، لَسْتُ أَتَخَوَّفُ عَلَيْكَ الشُّبَّانَ وَالْجُهْلَ»(1).

والحديث نقلناه بتمامه، لكونه يعطى صورة واضحة المعالم عن الفترة التي أعقبت وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كما أنه يظهر منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع الإمام على عليه السلام في نقل العلوم القرآنية والنبوية إليه، وإنه كان يعتمد مع دعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم إليه بالحفظ على كتابة ما كان يتعلمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

مما أعطى منهاجاً لسليم بن قيس في اعتماد الكتابة في تدوين الأحداث والروايات، وأنه عرف حقيقة ما كان يسمعه من الناس وبأسلوب علمي متقن.

وعليه: فمنهج التاريخ النقدي والتحليلي والفلسفي والمؤرخ من مصادر علمية مشهود لها على مر العصور بالتقوى والورع والعلم، دليل على امتياز مدرسة أهل البيت عليهم السلام بدقة المعلومة الممنهجة حسب الضوابط والمقاييس النبوية، أي العلمية.

وإن الوجه الحقيقي للتاريخ العربي والإسلامي هو ما خرج من هذه المدرسة، وإن نشأة علم السيرة وتطوره كان فيها، ومنها خرج إلى الناس قبل أن يوفق محمد بن إسحاق لتدوين السير والمغازي بأكثر من مائة عام.

ص: 194

1- (1) الكافي للكليني: باب اختلاف الحديث، ج 1، ص 64. الاعتقادات في دين الإمامية للصدوق: ص 118. الخصال للصدوق: ص 255. وسائل الشيعة للحر العاملي: باب عدم جواز استنباط الأحكام النظرية، ج 27، ص 306. مستدرک الوسائل النوري: ج 17، ص 340. كتاب سليم بن قيس: ص 26. كتاب الغيبة للنعمانى: ص 80. المسترشد لمحمد بن جرير الطبري الإمامي: ص 231. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 2، ص 232.

مما لا ريب فيه أن تكون المدينة المنورة (أعزها الله) هي باكورة العلوم كافة، لاسيما وإنها منطلق الرسالة المحمدية إلى العالم كافة.

إلا أن الذي يؤسف له أن الدراسات التاريخية حينما تناولت دراسة هذا العلم لم تتعرض إلى دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم التاريخ وتطويره بشكل عام، وعلم السيرة النبوية بشكل خاص، حتى في تناولها لدور مدرسة المدينة، إذ ينحصر الحديث حول بعض الأسماء التي هي في الواقع متأخرة في معرفة هذا العلم لما يقارب المائة عام لاسيما وإنها - أي هذه الأسماء - تتبع منهج الشيخين في منع التدوين، وبالأخص السنة النبوية.

ولذلك: نجد أن المدارس الإسلامية في بعض المراكز الإقليمية كالعراق والشام واليمن وبلاد فارس ومصر وأفريقيا، والمدينة ومكة، حينما ظهر في علم السيرة لم يكن ليكتب لبعضها الدوام في هذا التخصص كما لم تكن الدوافع عند بعضها دينية. حينما ظهر فيها علم السيرة لم يكن ليكتب لبعضها الدوام في هذا التخصص. كما لم تكن الدوافع عند بعضها دينية، أي حفظ سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما تشكله من منهاج تشريعي لتنظيم الحياة الإنسانية، وضبط السلوكيات الفردية والجماعية، وإنما كانت الدوافع عند بعض هذه المدارس سياسية وإدارية وتنظيمية لمؤسسات الدولة أو المملكة الإسلامية.

(فحين انتقلت الخلافة مع بنى أمية إلى الشام وحولوها ملكا مطلقا أرادوا معرفة سير الملوك السابقين، كما احتاجوا في النظام المالى والإدارى للدولة، وفى ضبط أمر الجيش وعطائه وأرزاقه الدائمة إلى معرفة أمر الفتوح وعهودها والقبايل وعلاقاتها، والرجال واقطاعاتهم وقيمهم الاجتماعية والعسكرية والسياسية، وهكذا تجمع فى الشام من يروى للأمويين كل ذلك)(1).

(وفى الكوفة والبصرة كان التجمع القبلى الأكبر والأهم للعرب، وفيهما توطنت الارستقراطية العربية مما ساعد على ظهور طبقة الأخباريين، التى تهتم بالأنساب والأخبار.

ولما كان لأهل اليمن تاريخهم الماضى العريق فقد أرادوا مضاهاة عرب الشمال وتاريخهم الإسلامى الطارق، الجديد فكانت لهم مدرستهم فى رواية ذلك التاريخ فى اليمن.

وقد اختلف الأمر بالنسبة للفرس فقد خسر الفرس ملكهم السياسى كله، كما بدأ دينهم السابق فى الانحسار أمام الإسلام ولكنهم بقوا موجودين فى كتلة بشرية واحدة على أرض خاصة بهم هى إيران، ويمتزجون مع العرب أيضا فى العراق، ولهذا نقلوا معارفهم التاريخية؛ وهم فى أرضهم؛ إلى اللغة العربية قدر ما يستطيعون وكانت لهم بذلك مدرستهم التاريخية الخاصة)(2).

وعليه: فإن تطور علم السيرة النبوية قد انحصر فى مدرستين، الأولى: مدرسة المدينة؛ والثانية: مدرسة الكوفة، وهو كما يأتى:

ص:198

1- (1) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ص 117.

2- (2) المصدر السابق.

إشارة

تصف بعض الدراسات التاريخية مدرسة العراق - أى الكوفة والبصرة - التاريخية بالطابع القبلي، الذى يهتم بسيرة القبيلة والأنساب وقد وجد البعض مبررات لهذا المنهج، منها:

1 - الاهتمام بالفعاليات والشؤون القبلية كان استمرارا مباشرا لتقصص الأيام (ولروايات الأنساب) فى الأسلوب والنظرة موجها إلى الأيام الجديدة، أو المعارك والفتوحات فى الإسلام.

2 - اعتمادها على الشعر لوثائقها وتجد فيه خير وسيلة لحفظ التراث.

3 - قرب الكوفة والبصرة، وهى مراكز قبلية كبرى، وعلى صلة مباشرة ومستمرة بالصحراء، فهى مراكز فعالة لتداول هذه الروايات والأخبار(1).

فى حين أن هذه المبررات لا مبرر لها، لأنها عوامل مشتركة فى جميع البلاد العربية، بل هى أقدم وأقوم وأنشط فى مكة والمدينة، فإن كانت القبيلة لها دورها الفعال فى العراق فهى فى مكة أكثر تأثيرا، وهما أكثر اهتماما ب - (الأيام) لاسيما وإنهما محطة تلاقى حضارات الشمال والجنوب واليهود والنصارى.

وأما اعتماد مدرسة العراق على الشعر، فما كانت المعلقات السبع فى الكوفة أو البصرة وإنما فى مكة.

وأما قرب الكوفة من الصحراء، فإن مكة هى فى قلب الصحراء.

والذى يظهر من هذا أن أكثر الدراسات التاريخية لم تكن لتتنظر بعينين إلى

ص:199

1- (1) انظر نشأة علم التاريخ عند العرب للدورى: ص 103-104.

المادة البحثية، كما أنها لم تضع نصب عينها دور البلاط الأموي في طمس كل ما له صلة بأهل البيت عليهم السلام، فكيف بالعراق الذي أصبح في الربع الأول من القرن الأول للهجرة محطة التشيع لعترته النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم، وعاصمة الخلافة الإسلامية ومركز انطلاق الفكر الإسلامي.

نعم، يمكن تسجيل عامل مهم في بروز مدرسة المدينة على مدرسة الكوفة في تطور علم السيرة، هو ابتعاد الكوفة والبصرة عن منبع التحرك النبوي والفعل المحمدي صلى الله عليه وآله وسلم الذي احتضنته نسيجات هواء المدينة المنورة، إلا أن هذا العامل نجده يتهافت فيما لو نظرنا إلى دور مدرسة العترة النبوية في تطور علم السيرة النبوية سواء كانت هذه المدرسة في المدينة أم في العراق.

وهو على عكس ما صوره البعض في وصف الحركة التاريخية والتدوين بأنها سارت متأثرة بـ (الحزبية والإقليمية والقبلية)، فنرى في أبي مخنف - وهو أحد رموز المدرسة الكوفية - ميولا علوية، وميولا عراقية - حيث يورد الرواية: (أدركت الناس وهم يقولون: أن أول ذل دخل الكوفة هو موت الحسين بن علي وقتل حجر بن عدي ودعوة زياد)⁽¹⁾.

وكأن الباحث قد كتب بحثه في زمن الدولة الأموية، لا القرن العشرين، فهو سائر على نهج القدامى في لصق تهمة التشيع - كما يسمونها تهمة - بكل من يروى رواية في أهل البيت عليهم السلام.

ولذلك: كيف يمكن تسجيل أى دور ولو بسيط لمدرسة الكوفة في تطور علم التاريخ والسيرة، وهي تحارب منذ قرون عديدة وإلى هذا اليوم.

ص:200

فإننا لا نأخذ بهذه النظريات غير الموضوعية، كما أننا لا نسدل الستار على دور مدرسة الكوفة ممثلة بمدرسة أهل البيت عليهم السلام في تطور علم السيرة، وهي كالاتي.

أولاً: دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تطور علم السيرة النبوية وانعكاس ذلك على مدرسة الكوفة

بدأ هذا الدور مع انتقال الإمام علي عليه السلام إلى الكوفة حينما يوبع بالخلافة سنة 36 هـ - أي بعد مرور خمسة وعشرين عاماً على وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وانتقال جل الصحابة معه إلى العراق، مما أعطى زخماً علمياً كبيراً لأهل العراق في الاطلاع على السيرة النبوية، ناهيك عن امتياز هذه المرحلة بظهور تيارات عقائدية ممثلة بـ :-

1 - الناكثون: وهم طلحة والزبير وعائشة ومن اتبعهم.

2 - القاسطون: وهم معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص ومن تشيع لهم.

3 - المارقون: وهم الخوارج أشياخ عبد الرحمن بن ملجم وغيره.

وهذا يستلزم تتبع دقيق لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيرته وهديه كي يتمكن المسلم من النجاة وإتباع السبيل الذي ارتضاه الله تعالى، ولذلك نجد عليه السلام اتخذ منهجاً لهذه المرحلة الحساسة في مصير الأمة الإسلامية فكانت من خلال الأمور الآتية:

ألف - تذكيره عليه السلام بسمت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهديه وسيرته

أى تنقية الرواية الصحيحة من السقيمة والسنة من البدعة، مبتدئاً بعمود الدين، وهى الصلاة فنادى الصلاة جامعة، فصفهم فى مسجد الكوفة وفيهم جمع من أهل بدر وحنين كعمار بن ياسر وأبى بن كعب وغيرهما مما لا حصر لهم فى هذا الموضوع من البحث - وصف معهم أهل الكوفة فصلى بهم، فكانت النتيجة لهذه الصلاة مدونة فى صحاح المسلمين ومساندهم وعلى لسان مطرف بن الشخير قائلًا: (كنت مع عمران بن حصين بالكوفة فصلى بنا على بن أبى طالب عليه السلام، فجعل يكبر كلما سجد، وكلما رفع رأسه، فلما فرغ قال عمران: صلى بنا هذا مثل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)(1).

وفى رواية، أنه قال:

(فلما انصرفنا قال عمران: ما صليت منذ حين أو قال منذ كذا وكذا أشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الصلاة، يعنى صلاة على رضى الله تعالى عنه)(2).

وفى لفظ آخر أخرجه البخارى، ومسلم، وأبو داود، والنسائى، عن مطرف، قال:

(صليت أنا وعمران صلاة خلف على بن أبى طالب عليه السلام، فكان إذا سجد كبر، وإذا رفع كبر، وإذا نهض من الركعتين كبر، فلما سلم أخذ عمران بيدي

ص: 202

1- (1) مسند أحمد بن حنبل: حديث عمران بن حصين، ج 4، ص 428.

2- (2) مسند أحمد بن حنبل: حديث عمران بن حصين، ج 4، ص 429. مصنف الصنعائى لعبد الرزاق الصنعائى: باب التكبير، ج 2، ص 63، ح 2498.

فقال: لقد صلى بنا هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، أو قال: لقد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم(1).

والسؤال الذي يفرض نفسه في ساحة البحث: إذا كان المسلمون قد نسوا كيف هي صلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والتي من المفروض أنها تصلى في اليوم خمس مرات، فكيف بهم يتذكرون بقية سنته وسيرته وأفعاله وأقواله!؟

وأني لهم ذلك وسنته قد أمر بها الشيخان أبو بكر وعمر، فأحرقت، ومحيت، ومنعت من التدوين، ولذا؛ كان لزاماً على أمير المؤمنين عليه السلام أن يعيد السنة والسيرة النبوية إلى مسارها الصحيح، وأن تدون هذه السيرة الصحيحة بعد أن أحرقت ومحيت وغيّرت، ومما يدل على أنها غيرت وبدلت ولم يبق منها شيء سواء التي أخرجها أهل البيت عليهم السلام إلى الناس ما يأتي:

1 - روى مالك بن أنس - إمام المذهب المالكي - عن عمه سهيل بن مالك، عن أبيه، أنه قال: (ما أعرف شيئاً مما أدركت الناس عليه إلا النداء للصلاة، أي: الأذان)(2).

2 - أخرج الشافعي عن طريق وهب بن كيسان، قال: رأيت ابن الزبير يبدأ بالصلاة قبل الخطبة، ثم قال: (كل سنن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قد غيرت حتى الصلاة)(3).

ص: 203

1- (1) صحيح البخاري: كتاب مواقيت الصلاة، باب المكث بين السجدين: ج 1، ص 200. صحيح مسلم: باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، ج 2، ص 8. سنن أبي داود: باب تمام التكبير، ج 1، ص 192. سنن

النسائي: باب الاعتدال في الركوع، ج 2، ص 204.

2- (2) الموطأ المطبوع مع تنوير الحوالك: ج 1، ص 93. شرح الموطأ للزركاني: ج 1، ص 221.

3- (3) كتاب الأم للشافعي: ج 1، ص 208.

3- قال الزهري - وهو الذى تنسب إليه أوائل تدوين السيرة النبوية -: (دخلنا على أنس بن مالك بدمش وهو وحده يبكي، قلت: ما يبكيك؟!.

قال: لا أعرف شيئا مما أدركت إلا هذه الصلاة، وقد ضيبت(1).

4- قال الحسن البصرى: (لو خرج عليكم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما عرفوا منكم إلا قبائلكم(2).

5- وروى عن عبد الله بن عمرو بن العاص: أنه قال: (لو أن رجلين من أوائل هذه الأمة خلو بمصحفيهما فى بعض الأودية، لأتيا الناس اليوم، ولا يعرفان شيئا مما كانا عليه(3).

6- وعن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال:

«لا والله، ما هم على شيء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا استقبال القبلة فقط(4).

7- وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام:

«لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه(5).

ومما قام به أمير المؤمنين عليه السلام فى تطوير علم السيرة هو:

ص: 204

1- (1) جامع بيان العلم: ج 2، ص 244.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) الزهد والرفاق: ص 61. الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى: ج 1، ص 142.

4- (4) بحار الأنوار للعلامة المجلسى رحمه الله: ج 68، ص 91.

5- (5) الصحيح من سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى العاملى: ج 1، ص 143.

باء - تذكيره بحال العرب قبل مبعث النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم

إنّ مما قام به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام هو تذكير الصحابة بما قام به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم من جهود عظيمة لتغييرهم وتعليمهم، أى إعادة تسجيل هذه السيرة فى أذهان الناس، وهم الصحابة الذين قدموا معه إلى الكوفة، مع أخباره أهل الكوفة بتفاصيلها، بوصفهم كانوا الأبعد جغرافياً عن المدينة المنورة، فكان من خطبه فى إحياء السيرة النبوية وتذكيره بحال العرب قبل الإسلام ويعدده ما يأتى:

1 - قال عليه السلام:

«وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ، وَفِي شَرِّ دَارٍ، مُبِيحُونَ بَيْنَ جِجَارَةَ حُشْنٍ، وَحَيَاتِ صُمٍّ، تُشْرِبُونَ الْكَدْرَ، وَتَأْكُلُونَ الْجَيْبَ، وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ، وَتَقَطِّعُونَ أَرْحَامَكُمْ، الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مُنْصُوبَةٌ، وَالْأَثَامُ فِيكُمْ مَعْصُوبَةٌ»(1).

2 - وقال عليه السلام:

«بَعَثَهُ - صلى الله عليه وآله وسلم - وَالنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَحَاطِطُونَ فِي فِتْنَةٍ، قَدْ اسْتَهْوَتْهُمْ الْأَهْوَاءُ، وَاسْتَزَلَّتْهُمْ الْكِبْرِيَاءُ، وَاسْتَحَفَّتْهُمْ الْجَاهِلِيَّةُ الْجَهْلَاءُ، حَيَّازَى فِي زَلْزَالٍ مِنَ الْأَمْرِ، وَبَلَاءٍ مِنَ الْجَهْلِ»(2).

ص: 205

(1) - نهج البلاغة، محمد عبده: من خطب الإمام على عليه السلام، ص 66. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 18، ص 226، ح 68. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى: ج 2، ص 19.
(2) - نهج البلاغة: خطب الإمام على عليه السلام، ج 1، ص 186، برقم 95. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 18، ص 219، ح 51. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلى: ج 7، ص 66، برقم 94.

«أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَقَصْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَقَلَّمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمَصْدَرُوبَ عَلَيْكُمْ بِالْحُكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ قَدْ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هَذِهِ الْأَلْفَةِ الَّتِي يُتَّبِعُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْتُونَ إِلَى كَتِفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيَمَةً لَأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ حَظٍّ.

وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهَجْرَةِ أَعْرَابًا، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْرَابًا، مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمِهِ وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رُسْمَهُ» (1).

وفي نهجه لبيان سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه قد اتخذ في ذلك أسلوبين:

الأسلوب الأول: إظهار منزلته وقربه ومعرفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، أي بمعنى: إرجاع الناس إلى المصدر العلمي والدقيق والوافي عن كل ما يتعلق بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وشريعته. فيقول عليه السلام:

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ، وَالْمَنْزِلَةِ الْخَصِيَّةِ، وَضَعْنِي فِي حَجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ، وَيَكْتُمُنِي فِي فِرَاشِهِ، وَيُمَسِّنِي جَسَدَهُ، وَيُسَمِّي عِرْفَهُ، وَكَانَ يَمْضَغُ الشَّيْءَ ثُمَّ يَلْقُمُنِيهِ، وَمَا وَجَدَ لِي كَذِبَةً فِي قَوْلٍ وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ» (2).

ص: 206

- 1- (1) نهج البلاغة: من خطب الإمام علي عليه السلام، ج 2، ص 154. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 14، باب 31، ص 474. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي: ج 13، ص 179.
- 2- (2) نهج البلاغة، من خطب الإمام علي عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج 2، ص 157. شرح أصول الكافي لمولى محمد صالح المازندراني: ج 2، ص 298. العمدة لابن البرقي: ص تقديم 10.

وقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ كُنْتُ أَتْبَعُهُ الْقَصِيصَ أَثَرُ أُمَّهُ يَدْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْمًا وَيَأْمُرُنِي بِالْإِقْتِدَاءِ بِهِ» (1).

ثانيا: إظهار ما يتعلق بشخص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم منذ أن كان طفيلما، ثم تعبدته في غار حراء، ثم بعثه، ثم تبليغه رسالته صلى الله عليه وآله وسلم وما جرى بينه وبين المشركين، فيقول عليه السلام:

«وَلَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ الْمَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ الْعَالَمِ لَيْلَةً وَنَهَارَهُ» (2).

وقال عليه السلام:

«وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِزُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِزَاءِ فَارَاةٍ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي، وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْنَهُ وَاجِدٌ يُؤْمِنُ بِهِ فِي الْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا، أَرَى نُورَ الْوَحْيِ وَالرَّسَالَةِ، وَأَسْمُ رِيحِ النَّبِيِّ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ الشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا هَذِهِ الرَّنَّةُ؟»

فَقَالَ: هَذَا الشَّيْطَانُ قَدْ آيَسَ مِنْ عِبَادَتِهِ. إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى، إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَجِيِّ، وَلَكِنَّكَ وَرِثٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ» (3).

ص: 207

-
- 1- (1) نهج البلاغة: من خطب الإمام على عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج 2، ص 157. العمدة لابن البطريق: ص 11. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص 415.
 - 2- (2) نهج البلاغة: من خطب الإمام على عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج 2، ص 157. مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج 2، ص 28. الغدير للشيخ الأميني: ج 3، ص 240.
 - 3- (3) نهج البلاغة: من خطب الإمام على عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج 2، ص 157. نهج

وفى جهاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فى تبليغ الرسالة فيقول عليه السلام:

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا لَهُ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ادَّعَيْتَ عَظِيمًا لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَنِيكَ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنَّ أَنْتَ أَجِبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرْبَيْتَنَا عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ.»

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: وَمَا نَسْأَلُونَ؟

قَالُوا: نَدْعُو لَنَا هَذِهِ الشَّجْرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقْفَ بَيْنَ يَدَيْكَ.

فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَإِنْ فَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ ذَلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَسْهَدُونَ بِالْحَقِّ؟

قَالُوا: نَعَمْ.

قَالَ: فَإِنِّي سَأْرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَقِينُونَ إِلَى خَيْرٍ، وَإِنْ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي الْقَلْبِ (1)، وَمَنْ يُحْرَبُ الْأَحْزَابَ (2).

ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يَا أَيُّهَا الشَّجْرَةُ إِنْ كُنْتِ تُوْمِنِينَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكَ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ اللَّهِ.

ص: 208

1- (1) القلب: البئر، وقد أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى ما ستؤول إليه نهايتهم فى معركة بدر الكبرى، فقد أسر المسلمون منهم مجموعة فأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ب - (21) مشركا فقتلوا وألقوا فى القلب، أى البئر، ومنهم عقبة بن أبى معيط.

2- (2) وهو أشار إلى أبى سفيان الذى حرَّب الأحزاب فى معركة الخندق.

فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَاقْتُلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيُّ شَدِيدٍ وَقُصِفَتْ كَتْمُصْفٍ أَجْنِيحَةِ الطَّيْرِ حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُرْفُوفَةً وَالْقَتُّ يُعْضِنُهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيُبَعْضِي أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنِ يَمِينِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمَ إِلَى ذَلِكَ قَالُوا - عَلُواً وَاسْتَكْبَاراً - فَمَرَّهَا فَلْيَأْتِكِ نَصَةٌ مِنْهَا وَيَبْقَى نَصَةٌ مِنْهَا، فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نَصَةٌ مِنْهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدَّهُ دَوِيّاً، فَكَادَتْ تَلْتَفُتُ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. فَقَالُوا - كُفراً وَعُتُوّاً - فَمَرَّ هَذَا النُّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ، فَأَمَرَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَرَجَعَ.

قُلْتُ أَنَا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، إِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقْرَبَانَ الشَّجَرَةَ فَعَلْتُ مَا فَعَلْتُ بِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَصَدِيقاً بِبُيُوتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ.

فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السَّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يَصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هَذَا (يَعْنُونَ بِي) وَإِنِّي لَجِنٌّ قَوْمٌ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَنَّهُمْ سَيِّمَاهُمْ سَيِّمَاتِ الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ، عُمَارُ اللَّيْلِ وَمَنَازُ النَّهَارِ، مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ، يُحْيُونَ سُنْنَ اللَّهِ وَسُنْنَ رَسُولِهِ، لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْزَلُونَ، وَلَا يَعْزَلُونَ وَلَا يُعْسِدُونَ، قُلُوبُهُمْ فِي الْحَيَاتِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ (D).

ص: 209

1- (1) نهج البلاغة: من خطب الإمام على عليه السلام، الخطبة القاصعة، ج 2، ص 158-159، برقم 192، ط دار الذخائر، قم - إيران. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس: ص 415، ط مطبعة الخيام، قم - إيران. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 38، ص 321، ح 33، ط مؤسسة الوفاء، بيروت - لبنان.

لم تكن مدرسة الكوفة تمثل ثقافة القبيلة والأنساب فقط، وإنما شهدت مرحلة متقدمة من مراحل تطور علم السيرة النبوية مما شكل مفاجأة للمدارس الإسلامية الأخرى، ولاسيما مدرسة الشام، فحينما ألف محمد بن الحسن الشيباني العراقي في السير، وعلم الأوزاعي الدمشقي بذلك صاح محتجا ومعترضا: (ما لأهل العراق والتصنيف في هذا الباب؟ فإنه لا علم لهم بالسير!!)(1).

وحينما علم الشيباني بالكلمة وكان كتابه (السير) صغيرا، وهو أساس في الفقه، فكتب كتاب (السير الكبير) الذي حوى مع الفقه الأخبار والمعازي والفتوح، ويمكن أن يعد أول كتاب في بحث العلاقات الدولية(2).

ولقد لعبت الأوضاع السياسية والمذهبية دورها في حجب دور مدرسة الكوفة وقدرتها العلمية في جميع العلوم؛ ولاسيما علم السيرة، مما شكل نقطة فراغ في المادة البحثية للعديد من الدراسات التاريخية.

ثانيا: دور عبيد الله بن أبي رافع (صاحب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) في تطور علم السيرة وانعكاس ذلك على مدرسة الكوفة

نستطيع أن نجنى ثمار المنهج الذي قام به الإمام علي عليه السلام سريعا في تطور علم السيرة من خلال بعض الأعمال التي قام بها أصحابه عليه السلام في هذا المجال، ومنهم عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين عليه السلام على مدة خلافته في الكوفة.

ص: 210

1- (1) التاريخ والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 171.

2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 171.

فقد كتب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عليه السلام في حروبه الثلاثة الجمل وصفين والنهروان من الصحابة رضى الله عنهم(1).

وهو يعد بذاك أول مصنف في علم السير والمغازى والرجال في الإسلام؛ لأنه لم يعرف من سبقه في هذا التخصص(2)، وكان قد كتبه في عصر أمير المؤمنين عليه السلام في الكوفة وهو ما أعطى زخماً كبيراً لحركة وتدوين المغازى والسير في مدرسة الكوفة.

المسألة الثانية: دور مدرسة المدينة في تطور علم السيرة

إشارة

يمكن لنا أن نستظهر من خلال الفترة التي أعقبت استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وحتى نهاية القرن الأول الهجرى وجود حالة من السبات لتطور علم السير والمغازى، أى أن هذه الستين سنة لم تشهد حركة متميزة لتطور علم السيرة.

والسبب في ذلك يعود إلى الأوضاع الخطيرة التي عصفت بالإسلام ابتداء من الكوفة حيث شهدت استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام وما تبعه من استظهار لدولة معاوية بن أبى سفيان التي شهدت تبعا لحملة العلوم وتصفيتهم جسدياً أو فكرياً فتمت تصفية الصحابة الذين شابعوا على بن أبى طالب عليه السلام كحجر بن عدى الكندى وأصحابه(3)، وقتل الإمام الحسن بن على بن أبى طالب عليهما السلام

ص:211

1- (1) الفهرست للطوسى: ص 107. رجال النجاشى: ص 3. رجال البرقى: 4. أخبار معرفة الرجال للطوسى: ج 1، ص 3، المقدمة.

2- (2) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 170.

3- (3) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 12، ص 222.

مسموماً، وعمرو بن الحمق الخزاعي ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر، ثم توليته ولده يزيد للحكم الذى جهز الجيوش، وأمر بقتل الإمام الحسين بن على عليهما السلام، وأهل بيته سنة 61 هـ -، ثم ما تبع هذه الفاجعة من ظلام وجهل وسببات لجميع العلوم التى يمكن لنا أن نتصور آثارها المدمرة من خلال بعض الروايات التى شهدت هذه الأجواء.

1 - فقد روى: (إن الناس فى زمن الإمام السجاد على بن الحسين عليهما السلام المتوفى سنة 95 هـ -، كانوا لا يعرفون كيف يصلون، ولا كيف يحجون)(1).

2 - أخرج أحمد بن حنبل، عن سالم بن أبي الجعد، عن أم الدرداء قالت: دخل على أبو الدرداء وهو مغضب فقلت من أغضبك.

فقال: (والله لا أعرف فيهم من أمر محمد صلى الله عليه - وآله - وسلم شيئاً إلا أنهم يصلون جميعاً)(2).

3 - ومما روى أيضاً فى آثار نشوب الحرب بين عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان: إن عبد الله بن الزبير منع أهل الشام من القدوم إلى مكة لتأدية فريضة الحج.

فقام عبد الملك بن مروان برؤى على هذه الخطوة أن أمر ببناء قبة فوق صخرة بيت المقدس - عوضاً وبديلاً عن الحجر الأسود والكعبة المشرفة - ثم أمر المسلمين بالذهاب إلى بيت المقدس لتأدية الحج فطافوا حولها، ونحروا يوم العيد، وحلقوا رؤوسهم(3).

ص: 212

1- (1) الصحيح من سيرة النبو صلى الله عليه وآله وسلم لجعفر مرتضى العاملى: ج 1، ص 145.

2- (2) مسند احمد بن حنبل، من حديث أم فروة: ج 6، ص 443.

3- (3) البداية والنهاية لابن كثير: ج 8، ص 283.

4- وخير وصف لهذه المرحلة التي أعقبت عاشوراء عام 61 هـ - ما روى عن الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام وهو بيث شكواه إلى ربه تعالى، قال عليه السلام:

«وكيف بهم وقد خالفوا الأمرين؟ وسبقهم زمان الهادين، ووكلوا إلى أنفسهم، يتسكون في الضلالات في دياجير الظلمات»(1).

«وقد انتحلت طوائف من هذه الأمة بعد مفارقتها أئمة الدين، وشجرة النبوة، إخلاص الديانة، وأخذوا أنفسهم في مخائل الرهبانية، وتغالوا في العلوم، ووصفوا الإسلام بأحسن صفاتهم، وتحلوا بأحسن السنة، حتى إذا طال عليهم الأمد، وبعدت عليهم الشقة، وامتحنوا بمحن الصادقين، رجعوا على أعقابهم ناكسين عن سبيل الهدى وعلم النجاة»(2).

«وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا، واحتجوا بمتشابه القرآن فتأولوه بأرائهم، واتهموا مآثر الخبر مما استحسنا، يقتحمون في أغمار الشبهات، ودياجير الظلمات بغير قيس نور من الكتاب ولا أثره علم من مظان العلم، بتحذير مبطلين وزعموا أنهم على الرشد من غيرهم.

والى من يفرع خلف هذه الأمة؟! وقد درست أعلام الملة والدين بالفرقة والاختلاف يكفر بعضهم بعضا والله تعالى يقول:

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ)3.

ص: 213

1- (1) بلاغات الإمام على بن الحسين عليهما السلام لجعفر عباس الحائري: ص 75.

2- (2) بلاغات الإمام على بن الحسين عليهما السلام لجعفر عباس الحائري: ص 66.

فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة؟ وتأويل الحكمة؟ إلا إلى أهل الكتاب، وأبناء أئمة الهدى، ومصايح الدجى الذين احتج بهم على عباده، ولم يدع الخلق سدى من غير حجة.

هل تعرفونهم؟ أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة، وبقايا صفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيرا، وبرأهم من الآفات وافترض مودتهم فى الكتاب، هم العروة الوثقى، وخير حبال العالمين وثيقها»(1).

فهذه الأسباب وغيرها فرضت حالة من السبات على تطور علم السيرة فى مدرسة الكوفة والمدينة، وحينما نقول (حالة من السبات) فهذا يعنى توجه مدرسة أهل البيت عليهم السلام واهتمامها بالعلوم القرآنية والحديث والفقہ والعقائد لأهميتها ولخطورة المرحلة التى كانت الأمة الإسلامية تمر بها.

ولكن هذا لا يعنى العزوف عن دفع علم السيرة إلى الأمام، وإلى خلق نماذج متميزة وفاعلة فى حركة علم السيرة وتطوره، فكان عمل مدرسة أهل البيت عليهم السلام ممثلا بثلاثة من أئمة العترة النبوية وهم (الإمام زين العابدين، والإمام الباقر والإمام الصادق عليهم السلام) فى إرجاع المسلمين إلى سنة رسول الله وشريعته وإلى هديه وسيرته فأخذوا يروون لهم كل ما له علاقة بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولولا هذه المدرسة لما عرف الناس شيئا عن الإسلام ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم. قال الإمام الباقر عليه السلام:

«بَلِيَّةُ النَّاسِ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ إِنْ دَعَوْنَاهُمْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَنَا وَإِنْ تَرَكْنَاهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِغَيْرِنَا»(2).

ص:214

1- (1) الصحيفة السجادية، جمع الأبطحى: ص 523 و 524.

2- (2) الأمالى للصدوق: ص 708. الإرشاد للمفيد: ج 2، ص 168. كنز الفوائد لأبى الفتح الكراچكى: ص 197.

ولذا: نجدهم عليهم السلام قد أسسوا المدارس وعلّموا الناس العلوم المختلفة، ويكفي من الشواهد على ذلك مدرسة الإمام الصادق عليه السلام في الكوفة التي احتوت على أكثر من (4000) شيخ، أدرك منهم حسن الوشاء تسعمائة رجل كل يقول حدثني جعفر بن محمد(1).

كما يمكن للباحث أو القارئ الاطلاع على كتب مدرسة أهل البيت عليهم السلام ك- (بحار الأنوار للمجلسي رحمه الله) الأجزاء المتعلقة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لمعرفة دور أئمة أهل البيت عليهم السلام في حفظ علم السيرة وتطوره ولاسيما الكم الهائل في الروايات التي نقلها الرواة عن الإمام الصادق عليه السلام، وهذا يكشف عن دور الأئمة الثلاثة في نهوض مدرسة المدينة والكوفة. وعليه: يمكن لنا أن نسجل هنا بعض الأسماء التي اهتمت برواية المغازي والسير أو تدوينهما خلال القرن الأول والثاني للهجرة والتي أسهمت في نشأة علم السيرة النبوية وتطوره.

أولاً: دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام في تعليم ونشر العلوم الشرعية، فضلاً عن علم المغازي والسير

أشارت بعض الدراسات التاريخية(2) إلى أن أهمية مدرسة المدينة تكمن في تصدّرها التخصص في علم التاريخ، وعُزى ذلك إلى بعض الأسباب:

1 - إن المدينة كانت عاصمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والخلفاء من بعده.

ص: 215

1- (1) رجال النجاشي: ص 40. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 6، ص 38. ترجمة الحسن بن علي الوشاء.

2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 150.

2- إنها مركز تجمع الصحابة.

3- إنها البلد الأساس للدين الجديد صاحب الدولة والفتوح.

ثم أشارت هذه الدراسة إلى أن السبب في توجه المسلمين إلى مدرسة المدينة هو احتياجهم إلى (معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة والأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة الإسلامية الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي وقد تصدى لإيضاح ذلك أبناء الصحابة أنفسهم خاصة(1)).

ثم تذهب هذه الدراسة إلى (أن مؤسس المدرسة العلمية لمختلف فروع العلم في المدينة هو عبد الله بن عباس).

وكان قد ولد قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بثلاث عشرة سنة، وتوفي سنة 78 بالطائف، وكان أبرز فقهاء المدينة، وأوسعهم إطلاعاً وعلماً، وكان يسمى البحر لا لكثرة علمه في الفقه فحسب، ولكن في الأخبار الماضية أيضاً، والنسب، بجانب الشعر واللغة وتفسير القرآن والحساب والفرائض.

وقد روى ابن سعد في الطبقات: (إن عبد الله بن عباس كان يجلس يوماً ما يذكر فيه إلا الفقه ويوما التأويل ويوما المغازي، ويوما الشعر ويوما أيام العرب)(2).

وهذه الدراسة وإن كانت أنصفت ابن عباس رحمه الله إلا أنها لم تنصف أستاذه ومعلمه ومصدر علمه وهو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لزمه ابن عباس أكثر من نصف قرن.

ص:216

1- (1) المصدر السابق.

2- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2، قسم 2، ص 121 و 122.

وخير ما يستدل به العاقل على مستوى الطالب العلمى هو وثيقة تخرجه أو حديثه هو عن معلمه، والمدرسة التى تعلم بها ونهل علومه منها، وفى هذا الصدد فإن عبد الله بن عباس رحمه الله له رأى آخر غير الذى جاءت به الدراسة وذلك من خلال الروايات الآتية:

1 - روى الشيخ المفيد رحمه الله، عن قتادة، عن سعيد بن المسيب، قال: (سمعت رجلاً يسأل عن على بن أبى طالب عليه السلام فقال له ابن عباس: إن على بن أبى طالب صلى القبلتين ويبيع البيعتين، ولم يعبد صنماً، ولا وثناً، ولا يضرب على رأسه بزلم ولا قدم، ولد على الفطرة، ولم يشرك بالله طرفة عين.

فقال الرجل: إني لم أسألك عن هذا، وإنما سألتك عن حملة سيفه على عاتقه يختال به حتى أتى البصرة فقتل بها أربعين ألفاً، ثم سار إلى الشام فلقى مواجب العرب فضربهم ببعض حتى قتلهم، ثم أتى النهروان وهم مسلحون فقتلهم عن آخرهم؟.

فقال ابن عباس: على أعلم عندك أم أنا؟.

فقال: لو كان على أعلم عندى منك لما سألتك!.

قال: فغضب ابن عباس حتى اشتد غضبه، ثم قال: ثكلتك أمك على علمنى، كان علمه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علمه الله من فوق عرشه، فعلم النبى صلى الله عليه وآله وسلم وعلم على من النبى، وعلمى من علم على وعلم أصحاب محمد كلهم فى علم على عليه السلام كالقطرة الواحدة فى سبعة أبحر(1).

ص: 217

1- (1) أمالى المفيد: ص 236. أمالى الشيخ الطوسى: ص 12. مناقب آل أبى طالب لابن شهر

2 - وروى ابن عبد البر عن الضحاك بن مزاحم، عن عبد الله بن عباس، قال: (والله لقد أعطى علي بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شارككم في العشر العاشر)(1).

3 - وروى طاووس عنه أيضا قال: (كان علي والده قد ملئ علما وحلما)(2).

4 - وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: (كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم نعدل به)(3).

أما ما روى من شهادات في رجوع مدرسة المدينة إلى معلمها الأول بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكثيرة هي، منها:

ألف - علمه عليه السلام بالسنة

عن جابر، عن عائشة زوج النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، قالت: من أفتاكم بصوم عاشوراء؟

قالوا: علي.

قالت: أما إنه أعلمكم بالسنة(4).

ص: 218

1- (1) الاستيعاب لابن عبد البر: ج 3، ص 1105. دلائل الإمامة للطبري للإمامي: ص 22. المناقب لابن شهر آشوب: ج 1، ص 311. فتح الملك العلي للمغربي: ص 72.

2- (2) الاستيعاب لابن عبد البر: ج 3، ص 40. فتح الملك العلي لأحمد بن الصديق المغربي: ص 72.

3- (3) فتح الملك العلي للمغربي: ص 73. الغدير للأميني: ج 3، ص 91.

4- (4) الاستيعاب لابن عبد البر: ج 3، ص 114، فتح الملك العلي للمغربي: ص 73.

باء - علمه عليه السلام بالفرائض

عن سعيد بن وهب قال: قال عبد الله بن مسعود: (أعلم أهل المدينة بالفرائض على بن أبي طالب عليه السلام)(1).

جيم - علمه عليه السلام بالقرآن

عن شقيق، عن عبد الله بن مسعود قال: (إن القرآن أنزل على سبعة أحرف ما منها حرف إلا له ظهر وبطن، وإن على بن أبي طالب عنده علم الظاهر والباطن)(2).

دال - علمه عليه السلام بالقضاء

عن ابن أبي ملكية، عن ابن عباس قال: قال عمر بن الخطاب: (على أقضانا)(3)، وفي لفظ آخر أخرجه البخاري عنه، أنه قال: (أقرؤنا أبي، وأقضانا على)(4)، وقد اشتهر عنه قوله: (لولا على لهلك عمر)(5).

هاء - علمه عليه السلام بجميع العلوم

1 - عن الأسود بن يزيد النخعي، قال: لما بويغ على بن أبي طالب على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال خزيمة بن ثابت وهو واقف بين يدي المنبر:

ص: 219

1- (1) فتح الملك العلي للمغربي: ص 72. الغدير للأميني: ج 3، ص 91.

2- (2) حلية الأولياء للأصفهاني: ج 1، ص 65. فتح الملك العلي للمغربي: ص 72.

3- (3) الاستيعاب لابن عبد البر: ج 2، ص 461، ط حيدر آباد.

4- (4) صحيح البخاري: ج 6، ص 187، ط بولاق.

5- (5) الاستيعاب: ج 3، ص 39. الرياض النظرة للطبري: ص 194. فتح الملك العلي للمغربي: ص 71. الغدير للعلامة الأمين: ج 3، ص 91.

إذا نحن بايعنا علياً فحسبنا أبو حسن مما نخاف من الفتنة

وجدناه أولى الناس بالناس انه أطب قريش بالكتاب وبالسنن (1)

2 - ذكر ابن عبد البر: أن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، قال: قلت لعبد الله بن عياش بن أحمد بن أبي ربيعة، يا عم لم كان صفو الناس إلى علي؟.

قال: يا ابن أخي إن عليا عليه السلام كان له ما شئت من ضرر قاطع في العلم، وكان له البسطة في العشرة، والقدم في الإسلام، والظهر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والفقه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون.

3 - وذكر ابن عبد البر أيضاً: أن معاوية بن أبي سفيان كان يكتب فيما ينزل به ليسأل علي بن أبي طالب عليه السلام فلما بلغه قتله قال: (ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب).

فقال له عتبة: لا يسمع هذا منك أهل الشام.

فقال له معاوية: دعني عنك (2).

واو - شهادة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم له في حيازة العلوم كافة

ويكفي الباحث في الدراسات التاريخية وغيرها من الأدلة على أن مؤسس مدرسة المدينة لمختلف العلوم ومعلمها أن يرجع إلى شهادة سيد الأنبياء والمرسلين ومعلم الإنسانية الأول صلى الله عليه وآله وسلم فيه، فقال:

ص: 220

1- (1) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج 3، ص 114. فتح الملك العلي للمغربي: ص 73.

2- (2) الاستيعاب لابن عبد البر: ج 2، ص 463.

1 - أخرج أحمد بن حنبل من حديث معقل بن يسار، أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال لابنته فاطمة عليها السلام:

«أما ترضين أني زوجتك أقدم أمتي سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما»(1).

2 - سُئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن علي عليه السلام؟.

فقال:

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى على تسعة أجزاء، والناس جزءا واحدا»(2).

ناهيك عن حديث (أنا مدينة العلم وعلى بابها فمن أراد المدينة فليأت الباب)(3).

وقوله عليه السلام عن نفسه:

«علمني رسول الله ألف باب من العلم»(4).

ص: 221

-
- 1- (1) مسند أحمد بن حنبل: ج 5، ص 26. المعجم الكبير للطبراني: ج 1، ص 94.
2- (2) المناقب لابن شهر آشوب: ج 1، ص 312. العمدة لابن البطريق: ص 379. فيض القدير للمناوي: ج 3، ص 60. فتح الملك العلي للمغربي: ص 69. شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني: ج 1، ص 135. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 42، ص 384. مطالب السؤول لابن طلحة الشافعي: ص 172. حلية الأولياء للأصفهاني: ج 1، ص 65. ينابيع المودة للقندوزي: ج 1، ص 215.
3- (3) المستدرک علی الصحیحین للحاکم النیسابوری: ج 3، ص 126. الاستيعاب لابن عبد البر: ج 3، ص 1103. الفايق في غريب الحديث للزمخشري: ج 2، ص 16. المعجم الكبير للطبراني: ج 11، ص 55. مجمع الزوائد للهيثمي: ج 9، ص 114. ينابيع المودة: ج 2، ص 74.
4- (4) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب: ج 1، ص 315. وأخرجه الكافي عن الإمام الصادق

ثانياً: دور مدرسة الصحابة في حيرة الناس في معرفة دينهم! ونفى! وتعذيب من يسأل عن دينه!!

أما ما ذهبت إليه الدراسة التاريخية في بيانها للأسباب التي دفعت المسلمين بالتوجه إلى مدرسة المدينة دون غيرها من المدارس هو (لاحتياجهم إلى معرفة أوسع بالدين وصاحب الرسالة وبالأحكام والحديث والسنن والتفسير وأحاديث الدعوة إلى الإسلام الأولى وتفاصيل الهجرة والمغازي، وقد تصدى لإيضاح ذلك أبناء الصحابة أنفسهم خاصة(1)).

فإن الشطر الأخير ليس بدقيق، والسبب في ذلك يعود إلى امتناع أكثر الصحابة عن الفتيا، كما صرح البعض بذلك، وحسبك من هذه الحقية المؤلمة ما يلي:

1 - عن عطاء بن السائب قال: سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول: أدركت في هذا المسجد عشرين ومائة من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. إذا سئل أحدهم عن المسألة أحب أن يكفيه غيره(2).

2 - وذكر الدارمي عن داود، أنه قال: سألت الشعبي كيف كنتم تصنعون إذا سئلتم؟ قال: على الخبير وقعت كان إذا سئل الرجل قال لصاحبه أفتهم فلا يزال حتى يرجع إلى الأول(3).

ص: 222

1- (1) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 150.

2- (2) الطبقات لابن سعد: ج 6، ص 110. سنن الدارمي: ج 1، ص 53. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 36، ص 86.

3- (3) سنن الدارمي: ج 1، ص 53. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 25، ص 366.

فهذا هو حال الصحابة في تعليم الناس وإرشادهم إلى أمور دينهم.

أما حال من يقدم للمدينة من المسلمين لكي يتعلم ويسأل عن أمور دينه فان حاله يرثى له، بل إنه ليحرم على نفسه ألا يعود إلى المدينة حتى يلقي ملك الموت!! كما دلت عليه الحادثة الآتية:

أخرج الدارمي في سننه عن سليمان بن يسار: (أن رجلاً قدم المدينة يقال له ضبيع - وهو من أهل البصرة - فجعل يسأل عن تشابه القرآن، فأرسل إليه عمر - بن الخطاب - فأعد له عراجين النخل، فقال: من أنت؟.

قال: أنا عبد الله، ضبيع. قال: وأنا عبد الله، عمر.

فضربه حتى دمی رأسه، فقال - ضبيع -: حسبك يا أمير المؤمنين، فقد ذهب الذي كنت أجده في رأسي، ثم نفاه إلى البصرة(1).

وعن سعيد بن المسيب: (فأمر به عمر فضرب مائة سوط، فلما برئ دعاه فضربه مائة أخرى، ثم حمله على قتب، وكتب إلى أبي موسى: حرّم على الناس مجالسته(2). وذكر السائب بن يزيد: (وكتب - عمر - إلى أبي موسى، يأمره أن يحرم على الناس مجالسته، وإن يقوم في الناس خطيباً، ثم يقول: إن ضبيعاً قد ابتغى العلم فأخطأه.

فلم يزل - الرجل - وضيعاً في قومه حتى هلك(3)!.)

ص: 223

1- (1) سنن الدارمي: ج 1، ص 54. نصب الراية للزليعي: ج 3، ص 118. الدراية لابن حجر: ج 2، ص 98. الدر المنثور للسيوطي: ج 2، ص 7. فتح القدير للشوكاني: ج 1، ص 319. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 23، ص 411.

2- (2) الإصابة لابن حجر: ج 3، ص 371.

3- (3) كنز العمال للمتممى الهندي: ج 2، ص 334. الغدير للأميني: ج 6، ص 292.

إذن: إذا كان هناك دور لمدرسة المدينة المنورة في نشر العلوم المختلفة، ولاسيما علم المغازى والسير فإنها قد اكتسبته - أى: هذا الدور - من خلال مدرسة أهل البيت عليهم السلام والتي كانت لها منهجية خاصة في تعليم المسلمين العلوم الدينية والطبيعية ونشرها؛ إذ تعتمد هذه المنهجية على تثقيف الناس على طلب العلم وتعليمه مع بسط في البيان وعمق في المعرفة، وهي مع ذلك تولي طلابها عناية خاصة ممثلاً في تكريمهم والاهتمام بأحوالهم وحثهم على المشاركة وطرح الأسئلة، مستندين في ذلك إلى تعاليم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

1 - فقد أوصى صلى الله عليه وآله وسلم أحد طلاب هذه المدرسة بقوله:

«يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة، ولأن تغدو فتعلم باباً من العلم عمل به أو لم يعمل خير من أن تصلى ألف ركعة»(1).

2 - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم:

«ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب له بكل قدم عبادة سنة»(2).

3 - وعنه صلى الله عليه وآله وسلم قال:

«طالب العلم حبيب الله»(3).

4 - وقال أمير المؤمنين على عليه السلام:

«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم من شيعتنا»(4).

ص: 224

1- (1) سنن ابن ماجه: ج 1، ص 79. العهود المحمدية للشعراني: ص 25. ميزان الحكمة لمحمد الريشهري: ص 220.

2- (2) منية المريد: ص 100.

3- (3) جامع الأخبار: ص 110.

4- (4) الاختصاص للمفيد: ص 234.

«ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلّا خاض الرحمة وهتفت به الملائكة: مرحبا بزائر الله، سلك من الجنة مثل ذلك السالك» (D).

وغير ذلك من الأحاديث التي تظهر منهاج أئمة العترة عليهم السلام في تعليم العلوم المختلفة ونشرها ولاسيما علم المغازي والسير سواء كان هذا العلم ظهر في المدينة أو الكوفة إلّا أن الحرب التي أعلنت على أهل البيت عليهم السلام منذ وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والهجمات التي تلقتها هذه المدرسة مع طلابها حالت دون ظهور أسماء الذين رووا أو صنفوا في السير والمغازي، هذا فضلاً عن أن الذين تصدوا لرواية السيرة النبوية ونشرها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام هم أئمة العترة ابتداءً من الإمام على عليه السلام وإلى الإمام الثاني عشر عليهم السلام؛ بل لولا هذه السيرة التي نقلها أئمة أهل البيت عليهم السلام لما استطاع القارئ أن يميز بين الصحيح والسقيم مما كتبه المخالفون لمدرسة العترة النبوية.

وعليه:

فإننا سنورد أسماء الذين رووا أو دونوا في السير والمغازي في المدارس الإسلامية الأخرى خلال القرن الأول للهجرة والذي يعرف بالعصر الأموي دون الإشارة إلى ذكر أسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام ومن روى عنهم؛ لكثرة ما روى عنهم في هذا الصدد. لاسيما وأن العلامة المجلسي قد أفرد لسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في موسوعة البحار البالغة (111) جزءاً - أفرد - ثمانية أجزاء مما يتعذر علينا فرز الأحاديث التي تعود إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام كلاً على حده.

ص: 225

1 - ذكرنا فيما مضى أن أول مصنف في المغازي والسير بالنظر إلى عصر التدوين في هذا العلم كان عبيد الله بن أبي رافع الذي صنف كتابا في أسماء الصحابة الذين خرجوا مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في حرب الجمل وصفين والنهروان⁽¹⁾، وهذا يعني أنه دُون هذا الكتاب قبل وفاة أمير المؤمنين سنة 41 هـ . ولم تعرف سنة وفاته.

2 - سعيد بن سعد بن عباد الخزرجي

(2)

هو سعيد بن سعد بن عباد بن دليم بن حارثة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج. قال ابن سعد: «أدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم وفي بعض الرواية سمع منه وكان ثقة قليل الحديث»⁽³⁾. وقد اختلف في صحبته ولاسيما عند أحمد بن حنبل⁽⁴⁾، في حين

ص:226

-
- 1- (2) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 66، وجاء فيه: الفهرست للطوسي: ص 113. الذريعة للطهراني: ج 4، ص 181. التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 170.
2- (3) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 80-81. المجتبر لابن حبيب: ص 423 و 431 و 432. المعارف لابن قتيبة ص 132. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج 4، ص 24، باب السين، برقم 98.
3- (4) الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 81.
4- (5) الاستيعاب: ج 2، ص 620.

نص عليها ابن عبد البر، قائلاً: «صحبتة صحيحة» (1). وهو ما ذهب إليه أيضاً ابن حجر (2) والذهبي (3).

وقد نص الشافعي على وجود كتب عند سعيد بن سعد بن عبادة مدون فيها شيء من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حينما روى عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل وهو حفيد سعيد بن سعد بن عبادة قائلاً: «وجدنا في كتب سعيد بن عبادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قضى باليمين مع الشاهد» (4).

ويروى العيني الرواية بلفظ: «كتاب وجدته في كتب سعيد بن سعد بن عبادة» (5).

وهذا يدل على أن هذا الكتاب دَوّن فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن أنه يعد من أصحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي التزمت منهج التدوين، والأمر الملفت في ترجمته أن البخاري ومسلم لم يخرجوا له حديثاً واحداً تبعهما في ذلك الترمذي وأبو داود، في حين أخرج له النسائي (6)، وابن ماجه (7) رواية واحدة!

ص: 227

1- (1) الاستيعاب: ج 2، ص 620. الإكمال في أسماء الرجال للتبريزي: ص 86.

2- (2) الاصابة لابن حجر: ج 3، ص 88 برقم 3272، تقريب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 354.

3- (3) الكاشف في معرفة من له حديث في الكتب الستة، الذهبي: ج 1، ص 354.

4- (4) كتاب الأم، الشافعي: ج 6، ص 274. معرفة السنن والآثار، البيهقي: ج 7، ص 403.

5- (5) عمدة القاري، العيني: ج 13، ص 247.

6- (6) سنن النسائي، باب: إذا أوصى لعشيرته الأقربين: ج 6، ص 250، عن ابن القاسم عن مالك عن سعيد بن عمرو بن شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عبادة عن أبيه عن جده قال: خرج سعد بن عبادة مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم....

7- (7) سنن ابن ماجه، باب: الكبير والمريض يجب عليه الحد، ج 2، ص 859، حديث (2574).

وقد علل الحاكم النيسابوري ذلك بعد أن عدّ سعيد بن سعد بن عبادة في التابعين الذين ليس لهم في الصحيح رواية، بقوله: «هؤلاء التابعون على علو محالهم في التابعين ومحال آباؤهم في الصحابة ليس لهم في الصحيح ذكر لفساد الطريق إليهم لا لجرح فيهم فقد نزههم الله عن ذلك»(1).

والظاهر أن العلة التي منعت البخاري ومسلماً من إخراج رواية لسعيد بن سعد بن عبادة هي موالاته لعلي بن أبي طالب عليه السلام فقد كان أحد ولاته على اليمن(2) وهو أحد رواة حديث الغدير عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(3).

وقد ترجم له سزكين قائلاً: «بعده أكثر المؤلفين صحابياً كأيهم، وكان أبوه قد عرف في الجاهلية بثقافته وخلقه، فلقب لذلك بالكامل.

ويبدو أن سعيداً من أوائل من دونوا أشياء عن حياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وربما نظر فيها معدلاً ما كتبه أبوه.

وكان كتابه موجوداً في نسخته الأصلية في أوائل العصر العباسي عند حفيده سعيد بن عمرو(4). ويبدو أن قسماً مما كتب قد وصل إلينا في كتب المساند مثل مسند ابن حنبل(5)، وأبي عوانة(6).

ص: 228

1- (1) معرفة علوم الحديث، الحاكم النيسابوري: ص 255.

2- (2) الاستيعاب لابن عبد البر: ج 2، ص 620. سبل السلام للكحلاني: ج 4، ص 12. الإكمال للتبريزي: ص 86.

3- (3) الطوائف لابن طاووس: ص 141. البحار للمجلسي: ج 37، ص 182. الغدير: ج 1، ص 44. الولاية للحافظ ابن عقدة: ص 151، رقم 55.

4- (4) انظر التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 69.

5- (5) مسند ابن حنبل: ج 5، ص 222.

6- (6) انظر الإصابة: ج 2، ص 1223.

كما وصلت إلينا نصوص منه - فيما يبدو - عند الطبري وغير ذلك.

ولا تعرف سنة وفاته غير أن ابنه شُرْحُبِيل، وهو أحد مؤلفي (المغازي) قد توفي - فيما يقال - وقد ناهز المائة عام سنة 123 هـ - / 740 م»(1).

3- سهل بن أبي خنيمه (توفي سنة 41 هـ -)

ترجم له سزكين، قائلاً: «وهو سهل بن أبي خنيمه(2) المدني الأنصاري، ويكنى أبا يحيى، أو أبا محمد، ولد سنة (3 هـ - / 624 م).

ويبدو أنه من شباب الصحابة الذين دونوا عن حياة الرسول ومغازيه، «ويتضح من بعض القطع التي وصلت إلينا في جلاء أن حفيده أو حفيد حفيده محمد بن يحيى بن سهل - الذي روى عنه الواقدي كثيرا - كان يملك نسخة مما دونه.

ولما كان محمد بن يحيى بن سهل هذا لم يحصل على إجازة بروايتها كان يقول: (وجدتُ في كتاب آبائي)(3).

وربما نستطيع أن نجد قسما كبيرا من هذا في المخطوط الكامل لكتاب الواقدي(4).

ص: 229

-
- 1- (1) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 66.
 - 2- (2) مصادر ترجمته: تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 66، وجاء فيه: الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 200/1/2. الإصابة لابن حجر: ج 2، ص 276. التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 248 و 249. جامع الرواة للأردبيلي: ج 1، ص 392.
 - 3- (3) انظر الإصابة لابن حجر: ج 1، ص 630-631. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1، ص 332، ط بيروت - لبنان.
 - 4- (4) انظر المغازي: ص 95 و 108-109 و 197.

وقد وصلت إلينا منه بعض قطع (1).

ويروى أنه توفي في عهد معاوية سنة (41 هـ - 661 م - 60 هـ / 680 م).

وروى عن محمد بن سهل ابنه محمد، وابن أخيه محمد بن سليمان، ويشير بن يسار الأنصاري الذي روى عنه ابن إسحاق (2)، ونافع بن جبير بن مطعم، وعروة، ولم يستطع الزهري أن يروى عنه رواية مباشرة، ولذا فقد كانت رواياته عنه من المرسل.

ومن آثاره، ما أخرجه أحمد بن حنبل له في المسند من أحاديث (3).

4- سعيد بن المسيّب (المتوفى سنة 94 هـ -)

(4)

هو أبو محمد، سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ، المخزومي، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب (5) وكان نسابة ومؤرخا ومحدثا وفقهيا، وتوفي بالمدينة سنة 94 هـ - 713 م.

ص: 230

-
- 1- (1) انظر أنساب الأشراف للبلاذري: ج 1، ص 509. تاريخ الطبري: ج 1، ص 1264 و 1609 و 1757 و 1782-1783. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 1، ص 332 و 489 و 190 و 502 و ج 3، ص 212.
 - 2- (2) انظر التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 472.
 - 3- (3) تاريخ التراث، سزكين: ج 2، ص 67.
 - 4- (4) أنظر ترجمته في: الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 5، ص 119-143، ط بيروت - لبنان. الحيوان للجاحظ: ج 3، ص 210. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 59/1-61. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج 2، ص 161-175. التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 84-88. الأعلام للزركلي: ج 3، ص 155.
 - 5- (5) التمهيد لابن عبد البر: ج 6، ص 301.

«ويتضح من القطع التي وصلت إلينا عند الطبري، أن الطبري، أفاد على نحو مباشر، مما كتبه سعيد بن المسيب عن حياة الرسول - دون مغايزه - ومما كتبه عن الفتوح»(1).

عده الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب الإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام، وقال:

«سمع منه وروى عنه»(2).

وقال ابن داود الحلبي: «من الصدر الأول رباه أمير المؤمنين»(3).

وترجم له السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في المعجم وتوقف في أمره، فقال:

«فتخلص مما ذكرناه أن الصحيح هو التوقف في أمر الرجل لعدم تمامية سند المدح والقدح، ولقد أجاد المجلسي رحمه الله حيث اقتصر على نقل الخلاف في حال الرجل في دون ترجيح»(4).

ويظهر من ذلك أنه من أصحاب مدرسة أهل البيت عليهم السلام بقرينة عدم التزامه بنهج عمر بن الخطاب في منع التدوين؛ فضلاً عن منهج التقية التي كان يعمل بها اتباع أهل البيت عليهم السلام.

ص: 231

1- (1) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 68.

2- (2) رجال الطوسي: ص 114.

3- (3) رجال ابن داود: ص 103.

4- (4) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي قدس سره: ج 9، ص 138-146.

ترجم له سزكين: «هو عروة بن الزبير بن العوام الأسدي، ولد بين عام 23 هـ / 643 م، و 29 هـ / 649. كان حفيد أخ لخديجة، وهو أخو عبد الله بن الزبير وكان أصغر من عبد الله بثلاثين عاما تقريبا، ولم يشترك في وقعة الجمل.

عاش في مصر من سنة 58 هـ - إلى سنة 65 هـ، وكان إلى جانب أخيه عبد الله بن الزبير عندما حاصر الأمويون مكة المكرمة.

وبعد هزيمة عبد الله بن الزبير اتجه عروة إلى عبد الملك بن مروان، وتوفي سنة 94 هـ - ويُعدُّ عروة أحد فقهاء المدينة السبعة.

ولقد روى هشام بن عروة أن أباه أحرق عددا من كتب الفقه في يوم الحرة سنة 63 هـ -، ثم ندم على ذلك ندما شديدا(2).

كان محدثا علم تلاميذه الحديث وقدم لهم أيضا معارفه عن حوادث صدر الإسلام.

وقد وصلت إلينا بعض كتب له في كتب ابن إسحاق والواقدي والطبري، ولنا أن نعدّها أقدم ما وصل إلينا مدونا عن سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

ص: 232

-
- 1- (1) أنظر ترجمته في الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 132. المعارف لابن قتيبة ص 114. التاريخ الكبير للبخاري: 31/1/4-32. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج 2، ص 176-183. الوفيات لابن خلكان: ج 1، ص 398-400، ط القاهرة سنة 1299 هـ - . التهذيب لابن حجر: ج 7، ص 180-185. الأعلام للزركلي: ج 5، ص 17. معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج 9، ص 138-146. علم التاريخ للدوري: ص 61-76. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 70-71.
- 2- (2) انظر الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 133.

أما الخبر القائل بأن عروة ألف كتابا في (المغازي) فليس له مصدر قديم(1).

وهناك قصة يتضح منها أن إجاباته عن سيرة الرسول - والتي كان يقدمها مدونة - إنما اعتمدت على الأحاديث التي جمعها هو بنفسه(2)، وذكر السخاوي أن الزهري وأبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (المتوفى سنة 131 هـ - / 748 م) قد روايا المغازي عن عروة(3).

وقد جمع كل من هوروفتس والدوري قطعاً من آثاره(4).

وحول روايته ألف مسلم: (رجال عروة ابن الزبير)(5).

أما كتبه إلى عبد الملك بن مروان(6)، فقد ترجمها شيرنجر إلى اللغة الألمانية في كتابه تاريخ وتعاليم محمد(7).

ولنا وقفة أخرى مع عروة بن الزبير في مبحث دور محمد بن إسحاق في تطور علم السيرة.

ص: 233

1- (1) انظر كشف الظنون لحاجي خليفة: ص 1747.

2- (2) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 70.

3- (3) انظر التهذيب لابن حجر: ج 9، ص 307-308. الإصابة لابن حجر: ج 1، ص 255. الإعلان للسخاوي: ص 88.

4- (4) انظر الإصابة: ج 8/2، ص 821.

5- (5) تاريخ التراث، سزكين: ج 2، ص 70، وجاء فيه: المكتبة الظاهرية مجموع 55 (الأوراق من 139-147 و 463 هـ -، بخط الخطيب البغدادي. انظر العش: ص 225.

6- (6) انظر تاريخ الطبري ج 1، ص 1181 و 1284-1288.

7- (7) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: ج 2، ص 70 و 71.

(1)

هو أبو فضالة عُيَيْدُ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكِ بْنِ أَبِي كَعْبِ بْنِ الْقَيْنِ الْمَدَنِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، وثقه أبو زرعة (2) وابن سعد وقال: «إنه قليل الحديث، وهو أحد قدامى التابعين، ولا تعلم سنة ميلاده» (3).

روى عن أبيه، وروى عنه الزهري وأخوه معبد وغيرهم وقال أبو أحمد الحاكم:

«كان أعلم قومه وأوعاهم لأحاديث الصحابة» (4)، «ولقد وصفه محمد بن إسحاق بأنه أحد كبار علماء الأنصار» (5).

«واعتمد عليه بوصفه أحد مؤلفي المغازي المرموقين، ويبدو من القطع الباقية عند الطبري (6) أن كتابه في المغازي كان صغيراً، وقد أفاد منه ابن إسحاق - كما يبدو عند الطبري - برواية راوٍ لم يذكر اسمه، وقد قدم لأخباره بالإسناد التالي:

«عمن لا يُتَّهَمُ عن عُيَيْدِ اللَّهِ...» (7).

ص: 234

-
- 1- (1) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد (ليدن): ج 5، ص 201، ط بيروت - لبنان 273. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 331/2/2-332. التهذيب لابن حجر: ج 7، ص 44-45. تقريب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 538. تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 68.
- 2- (2) الجرح والتعديل، الرازي: ج 5، ص 331.
- 3- (3) الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 273.
- 4- (4) تهذيب التهذيب: ج 7، ص 40.
- 5- (5) أنظر تاريخ الطبري: ج 1، ص 1364.
- 6- (6) تاريخ الطبري: ج 1، ص 1364 و 1463 و 1479 و 1501-1508 و 1510-1510.
- 7- (7) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 68.

(1)

أبو سعيد، ويقال: أبو عبدالله، روى عن أبيه، وزيد بن ثابت، وأسامة بن زيد، وعنه الزهري، وعمر بن عبدالعزيز(2).

«كان مع عائشة وهو في السادسة عشرة من عمره في (وقعة الجمل) سنة 36 هـ - / 656 م، ولم يكن له دور سياسي يذكر وكان والياً لعبد الملك بن مروان على المدينة واستمرت سبع سنين»(3).

وتفاوتت الروايات حول عام وفاته بين 96 هـ -، 105 هـ - ويُعدُّ أبان بن عثمان من فقهاء المدينة(4).

وهو من أقدم من ألفوا كتباً في المغازي، والأخبار الخاصة بها(5).

وروى عنه المغيرة بن عبد الرحمن(6)، ولم يقتبس عنه من المؤلفين في المغازي أو المؤرخين إلا اليعقوبي.

وعلى العكس من هذا فقد روت عنه كتب الحديث(7).

ص: 235

1- (1) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 69-70.

2- (2) الإكمال، التبريزي: ص 161.

3- (3) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج 5، ص 152.

4- (4) انظر التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 97.

5- (5) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 70، عن مقال يوسف هوروفتس (Horovitz, Isl. Cult. 1/1927/536).

6- (6) الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 156. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 69-70، عن Fuck فِكُّ في كتابه عن محمد بن إسحاق بالألمانية ص 8.

7- (7) انظر علم التاريخ للدوري: ص 21.

(1)

ترجم له فؤاد سزكين: «هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل، الشَّعْبِيُّ، ولد بالكوفة سنة 19 هـ - / 640 م، فيما بعد اتصل بعبد الملك بن مروان. «كان محدثاً وعالمًا في الفقه والمغازي عارفاً بالشعر راوية له» (2).

كان سفير عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، وعينه عمر بن عبد العزيز قاضياً. ذكرت له الكتب التالية (3):

ألف - (المغازي) (4).

ص: 236

-
- 1- (1) أنظر ترجمته في: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج 10، ص 210-211. الطبقات الكبرى لابن سعد (لیدن): ج 6، ص 171-178، بيروت - لبنان. 246-256. المعارف لابن قتيبة: ص 229. تاريخ بغداد للخطيب: ج 12، ص 227-233. سَمَطُ اللآلِي للبيكري: ص 751. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج 4، ص 310-338. التهذيب لابن عساكر: ج 7، ص 138، وما بعدها. وفيات الأعيان لابن خلكان (بولاق): ج 1، ص 306-307. تذكرة الحفاظ للذهبي: ص 79-88. التهذيب لابن حجر: ج 5، ص 65-69. تقريب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 387. الأعلام للزركلي: ج 4، ص 18-19. معجم المؤلفين لكحالة: ج 5، ص 54. تاريخ التراث العربي، سزكين: مج 1، ج 2، ص 68 و 69.
- 2- (2) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 69.
- 3- (3) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 69.
- 4- (4) تاريخ بغداد للخطيب: ج 12، ص 230.

باء - (الفرائض والجراحات)(1).

جيم - (الكفاية في العبادة والطاعة).

دال - وله كذلك كتاب في الفتوح أملاه من حفظه أمام قتيبة بن مسلم(2).

وهناك قطع منه وصلت إلينا عند الطبري(3)، أخذها عن كتبه: (المبتدأ) و (المغازي) و (الفتوح).

هاء - (كتاب الشورى ومقتل عثمان).

وتوجد قطعة كبيرة منه برواية عوانة بن الحكم - إسماعيل بن أبي خالد وذلك في (شرح نهج البلاغة) لابن أبي الحديد، وقد يكون نص القطعة من كتابين مختلفين(4).

وقد عرف الشعبي بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وهو معروف أيضا بمشايسته للبلاط الأموي.

وقد ترجم له السيد الخوئي قدس سره في رجاله، بقوله:

(من الغرائب أن يعده ابن داود في القسم الأول، وهو الخبيث الفاجر الكذاب المعلن بعدائه لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)(5).

وكان يعادى من يحب علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ذكر ابن حجر في ترجمة الحارث بن عبد الله الهمداني:

ص: 237

1- (1) تاريخ بغداد للمخطيب: ج 12، ص 232.

2- (2) انظر تذكرة الحفاظ للذهبي: ص 86.

3- (3) انظر الفهرس: ص 271.

4- (4) تاريخ التراث، سزكين: ج 2، ص 68-69.

5- (5) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي: ج 10، ص 210-211.

(قال ابن عبد البر في كتاب العلم، عن السر في طعن الشعبي على الحارث: إنما تم عليه لإفراطه في حب علي عليه السلام وأظن أن الشعبي عوقب على تكذيبه الحارث لأنه لم تبين منه كذبة)(1).

أى: أن الحارث لم يظهر منه كذبة أبداً وعليه يكون الشعبي الذى افترى على الحارث بالكذب هو الكذاب.

وقال ابن شاهين فى الثقات:

«الحارث الأعمور ثقة ما أحفظه وما أحسن ما روى عن علي وأثنى عليه! قيل له: فقد قال الشعبي كان يكذب؟!»

قال: لم يكن يكذب فى الحديث، إنما كان كذبه فى رأيه(2).

أى: أن رأيه فى علي عليه السلام هو الذى كان سبباً لهذه التهمة!

وقال الذهبى فى ترجمة الحارث:

(وحديث الحارث فى السنن الأربعة، والنسائى مع تعنته فى الرجال، - أى مع تعنت النسائى - فقد احتج به وقوى أمره،...، وكان من أوعية العلم)(3).

وهذا التعنت والتعصب للباطل الأموى أدى إلى تشويه السيرة النبوية بسبب ما لديهم من عدا لآل أبى طالب مما انعكس سلباً على حركة علم المغازى والسير وتطوير علم السيرة النبوية - كما سيمر علينا بيانه فى الفصل القادم.

ص: 238

1- (1) تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 2، ص 128.

2- (2) تاريخ أسماء الثقات ابن شاهين: ص 72.

3- (3) ميزان الاعتدال للذهبي: ج 1، ص 437.

(1)

«هو أبو محمد، القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، ولد حوالي سنة 37 هـ - / 657 م».

عده الشيخ الطوسي: من أصحاب الإمامين علي بن الحسين زين العابدين وولده محمد الباقر عليهما السلام. وهو جد الإمام الصادق لأمه أم فروة(2).

وقال الحافظ النووي: «أجمعوا على وثاقته وهو أحد الفقهاء السبعة في المدينة»(3).

وقد تتبع فؤاد سزكين آثاره(4)، فقال:

«يمكن تقسيم القطع التي ذكرها له الطبري إلى مجموعات ثلاث:

ألف - قطع حول سيرة النبي، ترجع إلى القاسم، أخذها الطبري من كتاب لعبد الله بن وهب الفهري (المتوفى 197 هـ - / 813 م)(5).

ص: 239.

- 1- (1) أنظر ترجمته في: معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره: ج 15، ص 48. الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 187-194، بيروت - لبنان. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 118/2/3. حلية الأولياء لأبي نعيم: ج 2، ص 183. صفة الصفوة للجوزي: ج 2، ص 49. نكت الهميان للصفدي: ص 230. التهذيب لابن حجر: ج 8، ص 333-335. تقريب التهذيب لابن حجر: ج 2، ص 121. الأعلام للزركلي: ج 6، ص 15. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 73.
- 2- (2) رجال الطوسي: ص 119. نقد الرجال للقرشي: ج 4، ص 43.
- 3- (3) المجموع، محي الدين النووي: ج 5، ص 170.
- 4- (4) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 73.
- 5- (5) تاريخ الطبري: ج 1، ص 151 و 153 و 174 و 350 و 528.

جيم - وهناك خمسة وعشرون موضعاً(2)، بها بقايا كتاب في المغازي، يتضمن أخبار عن أبي بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان، وعن وقعة الجمل، وترجع هذه القطع عند الطبري إلى سيف بن عمر، وكان قد أفاد من كتاب القاسم برواية سهل بن يوسف السلمي، وهناك قطع أخرى نجدها عند الواقدى والبلاذري(3).

3- عاصم (المتوفى سنة 120 هـ - / 737 م)

(4)

«هو عاصم بن عمر بن قتادة المدني أبو عمرو أو عمر، تابعي روى عن بعض الصحابة مثل جابر بن عبد الله وأنس بن مالك. وروى عنه ابنه الفضل، وروى عنه كذلك زيد بن أسلم وأبو الأسود (ريبب عروة) ومحمد بن إسحاق، وغيرهم، كان عالماً مشهوراً بالمغازي. وأمره الخليفة عمر بن عبد العزيز بأن يقرأ في الجامع الأموي قصص المغازي ومناقب الصحابة(5).

ص:240

-
- 1- (1) تاريخ الطبري: ج 1، ص 1174 و 1751 و 1812.
 - 2- (2) فهرس تاريخ الطبري: ص 457، من ص 1873 حتى ص 3106.
 - 3- (3) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 73.
 - 4- (4) أنظر ترجمته: المعارف لابن قتيبة: ص 236. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج 3، ص 346. التاريخ الكبير، البخاري: ج 6، ص 478، برقم 3040. الثقات لابن حبان: ج 5، ص 234. الرجال للقيصري: ص 383. التهذيب لابن حجر: ج 5، ص 53-54. الإصابة لابن حجر: ج 3، ص 447. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 73، نقلاً عن مقال هوروفتس في مجلة الحضارة الإسلامية عدد 2 (1928): (Horovitz, Isl. Cult. 1/1928/31-33) انظر ما كتبه فيشر عن التراجم تحت رقم (A. Fischer, Biographien 22..22). مستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي: ص 312.
 - 5- (5) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 73.

(1)

عدّه ابن حجر من الطبقة الخامسة، وقال:

«انه من المقبولين(2) روى عن أبيه وجده، وعنه ابنه عمرو، وعبدالله بن عقيل»(3).

وقال سزكين:

«كان أحد المؤلفين الأوائل في ميدان المغازي، عرف على بن أبي طالب عليه السلام(4)، ويقال إنه توفي سنة 123 هـ - بعد أن تجاوز مائة عام.

وعدّه سفيان بن عيينة (المتوفى سنة 198 هـ / - 814 م) أحسن من عرف المغازي(5).

ولم يرو عنه ابن إسحاق والواقدي، بينما أخذ عنه ابن سعد في طبقاته(6)، خيرا عن هجرة الرسول(7).

ص: 241

-
- 1-1 (1) أنظر ترجمته في: الجرح والتعديل، الرازي: ج 4، ص 339، برقم 1489. الثقات، ابن حبان: ج 6، ص 448. معجم البلدان لياقوت: ج 1، ص 269. علم التاريخ للدوري: ص 22؛ تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 73.
- 2-2 (2) تقريب التهذيب، ابن حجر: ج 1، ص 415.
- 3-3 (3) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 4، ص 283. اسعاف المبطلأ برجال الموطأ، السيوطي: ص 46.
- 4-4 (4) التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 322.
- 5-5 (5) التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 321.
- 6-6 (6) طبقات ابن سعد: 160/1/1، ط ليدن.
- 7-7 (7) تاريخ التراث العربي، من مقال يوسف هوروفتس في مجلة الحضارة الإسلامية عدد (1928): (Horovitz, Isl.Cult. 1/1927/553).

ترجم له ابن عبد البر بقوله: «هو أبو بكر، محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث الزهري».

بن زهرة بن كلاب، هكذا نسبه مصعب الزبيري وغيره ليس في ذلك اختلاف وكان - ابن شهاب - من علماء التابعين وفقهائهم مقدماً في الحفظ والإتقان والرواية والانتساع، أدرك جماعة من الصحابة وروى عنهم، منهم: أنس بن مالك وسهل بن سعد وعبدالرحمن بن أزهر الزهري وسنتين أبو جميلة السلمي ومنهم عبدالله بن عمر، وسمع ابن شهاب من جماعة أدركوا النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهم صغار مثل محمود بن الربيع، وعبدالله بن عام بن ربيعة وأبي الطفيل والسائب بن يزيد ونظرانهم⁽¹⁾. وقال ابن حبان: «رأى عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سيقاً لمتون الأخبار، وكان فقيهاً فاضلاً روى عنه الناس، مات ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربع وعشرين ومائة في ناحية الشام، وقبره ب - (بدا وثغب) مشهور بزار على قارعة الطريق أوصاه أن يدفن على قارعة الطريق حتى يمر به مار فيدعو له»⁽²⁾.

ترجم له الذهبي بقوله: «أعلم الحفاظ، حديثه الفان ومائتان نصفها مسند ونقل الذهبي عن ابن الزناد - كنا نظوف مع الزهري على علماء ومعه الألواح والصحف يكتب كلما سمع»⁽³⁾.

ص: 243

1- (1) التمهيد، ابن عبد البر: ج 16، ص 101.

2- (2) الثقات، ابن حبان: ج 5، ص 349.

3- (3) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج 1، ص 349.

أقول: وإن كان ابن الزناد لم يصرح عن هوية هؤلاء العلماء الذين كان يذهب إليهم الزهري ويكتب ما يسمعه منهم، إلا أننا سنوقف القارئ الكريم على سير هؤلاء العلماء.

وترجم له سزكين بقوله:

«كان الزهري محدثاً، ومؤرخاً عارفاً بالشعر وينسب إليه محدثاً أنه قام بعملين هامين:

فهو أول من أسند الحديث (1)، وهو كذلك أول من دون الحديث (2)، ويتضح لنا من فحص سلاسل أسانيد الأحاديث أن اسم الزهري يحتل عند معظمهم في الورد المكان الثاني بعد اسم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهذا يجعلنا نقرر له دوره الكبير في تاريخ الحديث، ولم يكن الإسناد غير معروف عند من درس عليهم الزهري، إلا أنه اهتم بسلاسل الأسانيد لعدد كبير من الأحاديث التي لم يكن إسنادها ضرورياً قبل ذلك، وكانت هذه الأحاديث مدونة أو تروى رواية شفوية منتشرة في العالم الإسلامي آنذاك، وكان عليه وهو أحد التابعين أن يبحث عن أوائل التابعين، وكذلك عن الصحابة الذين أدركوا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسمعوا أحاديثه منه أو كانوا أصحاب هذه الأحاديث التي كانت في عصر الزهري تتداول شفويا أو تحريريا.

وكان ذلك ممكناً في ذلك الوقت المبكر نسبياً لرجل كالزهري، وقد استطاع أن يكتب أسماء هؤلاء في نصوصه، وأن يجعلها تروى بعد ذلك (3).

ص: 244

1- (1) انظر المقدمة لابن أبي حاتم: ص 20.

2- (2) انظر جامع بيان العلم لابن عبد البر: ج 1، ص 73.

3- (3) انظر سزكين في كتابه عن مصادر البخاري (Sezgin, Buh, Kayn. S. 20).

وفوق هذا فقد حضر إليه قوم بكراريس تضم أحداثاً أرادوا أن يشبثوا لها أسانيد حتى يستطيعوا روايتها، ولما كان من الصعب عملياً أن تلبى كل الرغبات بشأن كل هذه النصوص للراغبين فيها أو الاستماع إلى مضمونها، فقد اتجه الزهري إلى حل عملي، فكان يجيز للتلميذ أن يروى النص دون سماع على شيخ أو قراءة عليه، وهذا ما أطلق عليه في علم أصول الحديث فيما بعد اسم (الإجازة والكتابة)، وتذكر كتب الحديث بعض أمثلة لهذا توضح منهج الزهري في هذا(1)، وقد أسىء فهم هذا؛ إذ وجد (جولد تسيهر) في ذلك دليلاً على أن الزهري أراد بذلك أن يتيح للحكام الأمويين إيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرة بني أمية(2).

ويرتبط بهذا اللبس خبر آخر أسىء فهمه كذلك، يقول الخبر: (كنا نكره كتاب العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فرأينا ألا نمنعه أحداً من المسلمين(3)).

وقد تُرجم هذا النص ترجمة خطأ مؤداها: أنهم رغبوا عن تدوين العلم ولكن الأمراء أجبروهم على ذلك(4).

ص:245

1- (1) انظر الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص 318.

2- (2) انظر جولد تسيهر في كتابه الدراسات الإسلامية (Goldziher, Muh. Study. 11 . 38). وقارن: هوروفتس في المرجع السابق ص 74 (Horovitz).

3- (3) الطبقات لابن سعد: ج 2، ص 135. حلية الأولياء لأبي نعيم ج 3، ص 363.

4- (4) هوروفتس، في دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الألمانية: ج 4، ص 1342. النهر الأيمن الأسطر: ص 13-15. جولد تسيهر: (لقد أجبر هؤلاء الأمراء الناس على تدوين الحديث (Goldziher, Muh. Study.)).

11, 38) انظر كذلك بحث شيرنجر في (Spranger, JASB 1856,322, Nr. 71). وموير (Muir. The Life of Mahomet. I.P. XXXIII)، على أن هوروفتس قد توصل في مقاله في (Isl. Cult. 2, 1928/47).

48 -) إلى رأى أفضل.

وفي رأبي(1): أن هذه العبارة معناها: رغبتنا عن رواية الأحاديث بطريق الكتابة(2). أي بنسخ النصوص نسخا وروايتها دون أن تكون قد قرئت على شيخ أو سمعت منه حتى أجبرنا هؤلاء الأمراء على ذلك فقررنا ألا نحجب هذا عن أحد(3).

أما دوره الثاني فهو أنه: أول من دون الحديث، فالمقصود به أنه يمثل مرحلة تالية من مراحل تدوين الحديث، وليس المقصود أنه أول من أثبت الأحاديث في صورة مكتوبة(4).

ويتضح من المعلومات الخاصة بأول تدوين للأحاديث، ومن البقايا التي وصلت إلينا منها: أن تدوين الأحاديث إنما يرجع إلى وقت مبكر، وأنه لم يكن على الزهري إلا أن يجمع هذه النصوص المدونة المتناثرة في كراريس مختلفة والتي نظر فيها، وسبقه إلى ذلك أبو بكر بن حزم، إذ كلفه عمر بن عبد العزيز بذلك(5).

وتدلنا(6) عبارة تلميذ الزهري وهو الليث بن سعد (ولد سنة 92 هـ - 711 م) وتوفي سنة (175 هـ - 719 م).

ص: 246

1- (1) فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 75.

2- (2) تدريب الراوي للسيوطي: ص 146.

3- (3) تعيننا الحقيقة التاريخية على فهم المعنى الحقيقي لهذه الكلمة، ولم يكن المقصود بهذا إلا رغبة الخليفة هشام أن تعد لابنه نسخة لعدد من الأحاديث بنسخها كتاباً له (الذهبي، أنظر: Horovitz, p. 47, Fischer, Biographien, s. 69).

4- (4) انظر: هوروفتس في دائرة المعارف الإسلامية (الألمانية): ج 4، ص 1342.

5- (5) الطبقات لابن سعد: ج 2، ص 134 - ج 8، ص 553. تاريخ البخاري: ج 1، ص 31. وجولد نسيهر، دراسات إسلامية: ج 2، ص 38 (Goldzriher, Muh. Stud. II, 38) وسزكين. مصادر البخاري 14: (Sezgin, Buh, Kay. S. 14).

6- (6) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 76.

وتثبت لنا ذلك في وضوح، ونص العبارة: (يا أبا بكر لو وضعت للناس هذه الكتب ودونت ففرغت).

فأجاب الزهري: (ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى)(1).

ويقول الطبري عن الزهري انه كان مؤرخاً ورائداً في (علم المغازي) وفي (أخبار قریش والأنصار)، وهو كذلك راوية لأخبار الرسول والصحابة(2).

وقد عرّف الزهري كذلك مصطلح «السيرة»(3).

ثانياً: علاقة الزهري بالبلاط الأموي وتأثير ذلك على حركة علم السيرة وتطوره

اختلفت الدراسات التاريخية في بيان دور البلاط الأموي وتأثيره على حركة ابن شهاب الزهري العلمية، فمنها ما ذهب إلى امثاله لرغبات البلاط الأموي في (إيجاد مادة دينية تخدم مصالح أسرة بني أمية)(4). وقد استندوا في ذلك إلى أمرين:

أ - أن الزهري كان يجيز للتلميذ أن يروي النص دون سماعه على شيخ أقرأه عليه(5).

ص: 247

-
- 1- (1) انظر: تراجم رجال روى عنهم محمد بن إسحاق تحقيق فيشر لنصوص الذهبي، (Fischer, Biographien 69).
 - 2- (2) انظر: المنتخب من ذيل المذيل: ص 97، ط الحسينية، القاهرة - مصر، سنة 1336 هـ - علم التاريخ للدورى: ص 81.
 - 3- (3) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 75-77.
 - 4- (4) تاريخ التراث: ج 2، ص 75، نقلاً عن: الدراسات الإسلامية لجولد تسهير: (Goldziher, Muh. Stud. 11 . 38).
 - 5- (5) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 75.

ب - ما صرح به الزهري في قوله: (كنا نكره كتاب العلم، حتى أكرهنا عليه هؤلاء الأمراء فأرأينا ألا نمنعه أحدا من المسلمين)(1).

وقد حاولت بعض الدراسات التاريخية الأخرى الدفاع عن الزهري وتبرئة ساحته من الانخراط في رغبات السلطة الأموية ومساعدتها في تثبيت الحكم، فرأت هذه الدراسة:

ألف - أن ما ذهب إليه جولد تسيهر في كتابه الدراسات الإسلامية في مساعدة الزهري للأسرة الأموية هو مجرد لبس في فهم النص سببه الترجمة الخاطئة للنص(2).

باء - في حين رأى السيوطي وغيره أن معنى قول الزهري هو: (رغبنا عن رواية الأحاديث بطريق الكتابة، أي بنسخ النصوص ونسخها وروايتها دون أن تكون قد قرئت على شيخ أو سمعت منه حتى أجبرنا هؤلاء الأمراء على ذكر ذلك فقررنا ألا نحجب هذا عن أحد)(3).

في حين أننا وجدنا من خلال بعض النصوص: أن الزهري قد عمل لصالح البلاط الأموي، وقد وفر لهم الأجواء الدينية التي أسهمت في تثبيت حكمهم، وتوجه كثير من المسلمين إليهم، وأنه كوفي على هذا الصنيع لفترة ليست بالقصيرة من حياته.

ولكنه؛ وبسبب قيامه بمعاينة أحد المسلمين وتعذيبه حتى الموت حينما كان عاملا لبنى أمية؛ انقلب الرجل، وخرج هائما، وترك أهل بيته وصحبه حتى لقي الإمام زين العابدين على بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فتحول عن تلك الميول الأموية، وتوجه إلى صحبة الإمام زين العابدين عليه السلام.

ص:248

1- (1) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2، ص 135. تاريخ التراث، سزكين: ج 2، ص 75.

2- (2) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 75.

3- (3) تدريب الراوي للسيوطي: ص 146، تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 76.

ومما يدل على هذه الحقيقة ما يأتي:

1 - يكشف الزهري عن هذه الحقيقة ويصرح بأعماله التي خدمت البلاط الأموي على رغم علمه أنها أعمال كانت مخالفة للشريعة الإسلامية، فيقول في حديثه لمعمر: (حدثني عكرمة عن عبد الله بن عباس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«إن الله عز وجل منع بني إسرائيل قطر السماء بسوء رأيهم في أنبيائهم واختلافهم في دينهم، وأنه أخذ هذه الأمة بالسنين ومانعهم قطر السماء ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام.

قال معمر: حدثني (به) الزهري في مرضة مرضها، ولم أسمعها يحدث عن عكرمة قبلها - أحسبه ولا بعدها - فلما بل من مرضه ندم فقال لي: يا يمانى أكتتم هذا الحديث وأطوه دوني فإن هؤلاء - يعني بني أمية - لا يعتذرون أحداً في تقيظ علي وذكره!!

(قال معمر: فقلت له): فما بالك أوعيت مع القوم وقد سمعت الذي سمعت؟ قال حسبك يا هذا انهم أشركونا في لهاهم فأنحططنا لهم في أهوانهم»(1).

2 - وانحطاط الزهري لأهواء حكام بني أمية - كما صرح بذلك - دفع بعمر بن عبد العزيز أن يكتب إلى الأفاق: (عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحداً أعلم بالسنة الماضية منه)(2).

ص: 249

1- (1) مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام للحافظ ابن المغازلي: ص 142، ح 186 ط المكتبة الإسلامية، سنة 1394 هـ -.

2- (2) الجرح والتعديل للرازي: ج 2، ص 18 - ج 8، ص 72. تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 55، ص 344. سير أعلام الذهبي: ج 5، ص 336. الأعلام للزركلي: ج 7، ص 97. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 4، ص 177.

وأنه لم يزل مع عبد الملك بن مروان وهشام بن عبد الملك، ويزيد بن عبد الملك وكان قد استقضاه(1).

3- قضاء ديونه التي أعابه البعض على كثرتها، وقد تكرر من الحكام الأمويين قضاء ديون الزهري فبلغ بعضها (ألف ألف)(2) وأخرى (سبعة آلاف دينار)(3).

إلا أن هذا الحال لم يستمر، فقد برهن ابن شهاب الزهري على تحوله من خدمة البلاط الأموي وعدم الانقياد لأهوائهم وعدائهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام.

ومما يدل عليه:

ما رواه ابن عساکر، والذهبي في السير، قانلاً: (دخل سليمان بن يسار على هشام بن عبد الملك، فقال: يا سليمان من الذي تولى كبره منهم؟ فقال: هو عبد الله بن أبي سلول، قال: كذبت هو علي!).

فدخل ابن شهاب، فسأله هشام؟.

فقال: هو عبد الله بن أبي سلول، قال: كذبت هو علي، فقال: أنا أكذب لأبالك، فوالله لو نادى مناد من السماء، أن الله أحل الكذب ما كذبت، حدثني سعيد، وعروة، وعبيد، وعلقمة بن وقاص، عن عائشة أن الذي تولى كبره عبد الله بن أبي سلول.

ص:250

1- (1) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 4، ص 177.

2- (2) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 5، ص 339.

3- (3) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 5، ص 340.

قال - سليمان بن يسار - : فلم يزل القوم - أي هشام بن عبد الملك وحاشيته يغرون به - إلا أنه لم ينغر ولم يرضخ لهم، فقال له هشام: (إرحل فوالله ما كان ينبغي لنا أن نحمل على مثلك).

قال - الزهري - : ولم؟ أنا اغتصبتك على نفسي، أو أنت اغتصبتني على نفسي فحل عني.

فقال له: لا، ولكنك استدنت ألفي ألف.

فقال - الزهري - : قد علمت، وأبوك من قبلك أني ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك.

فقال هشام: إنا إن نهج الشيخ يهيج الشيخ، فأمر فقضى عنه ألف ألف؛ فأخبر - الزهري - بذلك، فقال: الحمد لله هذا هو من عنده(1).

ومن البديهي أن الله عز وجل يؤيد الذين يقفون بوجه الظلم وينصرون آل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم.

ومما يدل على تأثير حركة علم السيرة وتطوره من خلال تدخل البلاط الأموي في عمل ابن شهاب الزهري في رواية السيرة وكتابتها، هو ما يأتي:

1 - قال المدائني في خبره: وأخبرني ابن شهاب، قال: (قال لي خالد بن عبد الله القسري - أحد عمال بني أمية - : أكتب لي النسب، فبدأت بنسب مضر، وما أتممته.

فقال: اقطعه، اقطعه، قطعته الله مع أصولهم، وأكتب لي السيرة.

ص: 251

1- (1) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 55، ص 371. سير الأعلام للذهبي: ج 5، ص 339. تاريخ الإسلام للذهبي: ج 8، ص 246.

فقلت له: فإنه يمر بي الشيء من سير على بن أبي طالب صلوات الله عليه، فأذكره؟.

فقال: لا، إلا أن تراه في قعر الجحيم، - قال الزهري - لعن الله خالدًا ومن ولاءه، وصلوات الله على أمير المؤمنين(عليه السلام).

ولذلك لم يكتب ابن شهاب لبنى أمية أحاديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام، وهذا يدل في الواقع على تقديم الزهري لسيرة ناقصة وغير حقيقية، لأنها فقدت أحد أهم أركانها، واختفت معها فصول كبيرة ومهمة من حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي ارتبطت بأهل بيته ولاسيما بعلي بن أبي طالب عليه السلام، ناهيك عن الانجازات التي تلازمت مع وجود علي عليه السلام في حركة التبليغ النبوية في مكة والمدينة، بل منذ اتخذته النبي الأكرم ربيبا في صغره يغدو عليه ليلا ونهارا حتى آخر لحظات عمره المقدس حينما تولى غسل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتكفينه ومواراته في حفرته(2).

وعليه: فأى سيرة نبوية يمكن أن تكتب للأجيال المسلمة التي خلفت الزهري، وهي تخلو من ذكر علي بن أبي طالب عليه السلام، كما أراد خالد القسري وأسياده!!!

2 - روى المعتزلي في النهج، قانالا: (روى عبد الرزاق عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما

ص: 252

-
- 1- (1) الأغاني للأصفهاني: ج 22، ص 21، ط دار الفكر. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج 1، ص 53. أعلام الوري للطبرسي: ج 1، ص 9.
2- (2) فتح الباري في شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني: ج 8، ص 107. عمدة القاري للعيني: ج 18، ص 71. الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 2، ص 263.

يوماً. فقال: ما تصنع بهما ويحدثهما! الله أعلم بهما، إنى لآتهمهما فى بنى هاشم(1)؟!.

وفى الواقع لو ذكر أحدنا هذا القول وصرح بأن عروة وعائشة متهمان فى بنى هاشم لحكم عليه بالكفر من أهل تكفير المسلمين؟! لكن الحمد لله الذى جعل كثيرا من الحقائق تجرى على لسان السلف من الصحابة والتابعين. وهكذا يسير ابن شهاب الزهرى فى نهجه فى كتابة السيرة النبوية الذى اعتمد فيه إخفاء ذكر على بن أبى طالب عليه السلام لعلمه بعدم رضا آل بنى أمية ولاحتياجه إليهم لم يستطع الزهرى أن يدون كثيرا من الحقائق التى كانت من أسس السيرة النبوية، ولطالما كان يصرح بتدخل أولئك الحكام وأشياعهم فى تغيير حقيقة السيرة النبوية.

ولعل من الشواهد التى تظهر تذمر الزهرى أو سخريته من الزمن الذى أصبح فيه بنو أمية حكاماً وولاة على المسلمين، هو ما يتعلق بحقيقة من حقائق السيرة النبوية، ألا وهى صلح الحديبية، حيث ثبت فى النصوص التاريخية ومن طرق عدة أن كاتب الكتاب فى صلح الحديبية هو الإمام على بن أبى طالب عليه السلام(2)، إلا أن هذا الأمر لو عرض على بنى أمية لقالوا غير على عليه السلام،

ص: 253.

-
- 1- (1) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد المعتزلى: ج 4، ص 64. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج 1، ص 53. كتاب الأربعين للقمي الشيرازي: ص 290. بحار الأنوار للعلامة المجلسي: ج 30، ص 402. النص والاجتهاد لسيد شرف الدين: ص 513. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى النجفي: ج 6، ص 219. قاموس الرجال للتستري: ج 9، ص 584.
- 2- (2) خصائص أمير المؤمنين عليه السلام للنسائي: ص 150. المصنف لعبد الرزاق: ج 5، ص 343. ح 9721. تفسير مقاتل بن سليمان: ج 3، ص 354. الدر المنثور للسيوطي: ج 6، ص 78. الفصول المهمة لابن الجصاص: ج 4، ص 35. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 38، ص 321. الفصول المهمة لابن الصباغ: ج 1، ص 53.

وهذا يكشف كما قلنا عن تأثير حركة علم السيرة وتطوره في العصر الأموي ولاسيما في دور ابن شهاب فيه.

فقد روى الصنعاني في المصنف، قائلا: (أخبرنا معمر، قال: سألت عنه، - أي كتاب صلح الحديبية من الذي كتبه -؟. فضحك الزهري، وقال: هو علي بن أبي طالب، ولو سألت عنه هؤلاء، قالوا: عثمان، يعني بنى أمية)(1).

فهذه الحادثة، كشفت عن عدة أمور ارتبطت بحركة علم السيرة النبوية وتطوره خلال العصر الأموي وهي كالآتي:

ألف - تدخل البلاط الأموي في رواية السيرة النبوية وكتابتها التي عرفت في بادئ الأمر ب - (المغازي والسير).

باء - بسبب هذه السياسة الأموية تم إخفاء كثير من الحوادث والمواقف والأدوار وتغييرها في حياة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وما ارتبط به من حياة الصحابة ولاسيما بنى هاشم والأنصار.

جيم - تأثر ابن شهاب الزهري بهذه السياسة من حيث استجابته لإخفاء جوانب كثيرة من السيرة النبوية والتي انحصرت بدور بنى هاشم في تكون فصول هذه السيرة، أي أننا لم نحصل اليوم على سيرة كاملة عن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل إنها سيرة مخلوطة وتحتوى على كثير من الصور غير الحقيقية - والتي يطول شرحها ولاسيما حقيقة سرية الدعوة النبوية(2).

ص: 254

1- (1) المصنف لعبد الرزاق الصنعاني: ج 5، ص 343، ح 9722. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج 1، ص 53.

2- (2) انظر كتاب (أبو طالب عليه السلام ثالث من أسلم لنبييل الحسنى): حديث سرية الدعوة النبوية بين حقيقة الواقع ووهم الرواة.

دال - إن هذا النهج الذى اتتهجه ابن شهاب الزهرى فى التعامل مع السيرة النبوية؛ فجعلها بين المطرقة والسندان بين إرضاء بنى أمية وعدم الاستجابة لهم، انعكس على شخصية ابن شهاب مما جعل البعض يصنفه فى قائمة أعداء أهل البيت عليهم السلام، والبعض الآخر أعاب عليه مكوته فى البلاط الأموى، والآخر ركز على دوره العلمى فى المدينة.

ثالثاً: علاقة الزهرى بالإمام على بن الحسين عليه السلام وأثر ذلك على حركة علم السيرة وتطوره

فى حين أنى وجدت أن من الإنصاف لدور الزهرى فى حركة السيرة وعدم تنازله عن التنصر لأهل البيت عليهم السلام أن أورد ما كتبه سماحة آية الله العظمى السيد أبو القاسم الخوئى قدس سره من ترجمة لهذه الشخصية.

فيقول قدس سره فى المعجم - الذى انتهج فيه نهجاً خاصاً بحيث كان يأتى بأقوال علماء الرجال ثم يناقشها - فيقول قدس سره: «عدّوه، من أصحاب السجاد عليه السلام رجال الشيخ. وعدّ البرقى محمد بن شهاب، من أصحاب على بن الحسين عليهما السلام. أقول: هو محمد بن مسلم الزهرى الآتى، فإن شهاباً جد محمد بن مسلم، كما صرح به الصدوق - قدس سره - فى طريقه إلى الزهرى، حيث قال: وما كان فيه عن الزهرى: فقد روته عن أبى رضى الله عنه، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمد الأصبهاني، عن سليمان بن داود المنقرى، عن سفيان بن عيينه، عن الزهرى، واسمه محمد بن مسلم بن شهاب، عن على بن الحسين عليهما السلام.

قال ابن شهر آشوب: (وكان الزهرى عاملاً لبنى أمية فعاقب رجلاً، فمات الرجل فى العقوبة، فخرج هانماً وتوحش، ودخل إلى غار، فطال مقامه تسع سنين.

قال: وحج علي بن الحسين عليهما السلام فاتاه الزهري، فقال له علي بن الحسين عليهما السلام: إني أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبيك، فابعث بدية مسلمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك، فقال له: فرجت عنى يا سيدى (الله أعلم حيث يجعل رسالته) ورجع إلى بيته ولزم علي بن الحسين، وكان يعد من أصحابه، ولذلك قال له بعض بنى مروان: يا زهري ما فعل نبيك، يعنى (علي بن الحسين) عليهما السلام(1).

أقول(2): الزهري وإن كان من علماء العامة، إلا أنه يظهر من هذه الرواية وغيرها، أنه كان يحب علي بن الحسين عليهما السلام ويعظمه.

وقد روى الصدوق بإسناده، عن عمران بن سليم، قال: كان الزهري إذا حدث عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: حدثني زين العابدين علي بن الحسين فقال له سفيان بن عيينه: ولم تقول له زين العابدين؟ قال: لأني سمعت سعيد بن المسيب يحدث عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال:

«إذا كان يوم القيامة ينادى مناد أين زين العابدين، فكأنى أنظر إلى ولدى علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام يخطوب بين الصفوف(3).

وروى بإسناده، عن سفيان بن عيينه، قال: قيل للزهري: من أزهدهم الناس في الدنيا؟ قال: علي بن الحسين عليهما السلام(4).

ص:256

1- (1) المناقب: ج 4، باب إمامة أبي محمد علي بن الحسين عليهما السلام، فصل في علمه وحلمه وتواضعه.

2- (2) السيد الخوئي قدس سره.

3- (3) العلل: ج 1، باب 145، العلة التي سمى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح 1.

4- (4) العلل: ج 1، باب 145، العلة التي سمى علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح 3.

وعنه، قال: قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين عليهما السلام؟ قال: نعم، لقيته وما لقيت أحدا أفضل منه(1).

وعنه قال: رأى الزهري علي بن الحسين عليهما السلام ليلة باردة مطيرة، وعلى ظهره دقيق وحطب، وهو يمشي، فقال له: يا بن رسول الله ما هذا؟ فقال عليه السلام: «أريد سفرا أعد له زادا أحمله إلى موضع حريض».

فقال الزهري: وهذا غلامى يحمله عنك، فأبى، قال: أنا أحمله عنك فأبى أرفعك عن حملي، فقال علي بن الحسين عليهما السلام: «لكنى لا أرفع نفسى عما تتجيني فى سفرى».

(إلى أن قال): قال له: يا بن رسول الله لست أدري لذلك السفر الذى ذكرته أثرا، قال:

«بلى يا زهري، ليس ما ظننت، ولكنه الموت، وله كنت أستعد، إنما الاستعداد للموت تجنب الحرام، وبذل الندى والخير»(2).

وللهزرى عدة روايات مذكورة فى الكافى، والفقيه، والتهذيب.

وفيما ذكرنا يظهر أن نسبة العداوة إليه على ما ذكره الشيخ لم تثبت، بل الظاهر عدم صحتها، بقى هنا شىء، وهو أن ابن داود ذكر مسلم بن شهاب الزهري (1529) من القسم الأول، قال: «أحد أئمة الحديث (بن - جيج) يكنى أبا بكر»، وما ذكره سهو جزما، فإن الزهري اسمه محمد بن مسلم بن شهاب على ما عرفت من الصدوق، وكذلك صرح به فى بعض نسخ الكافى.

ص: 257

1- (1) العلل: ج 1، باب 145، العلة التى سمى على بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح 4.

2- (2) العلل: ج 1، باب 145، العلة التى سمى على بن الحسين زين العابدين عليه السلام، ح 5.

فقد روى محمد بن يعقوب بإسناده، عن معمر بن راشد، عن الزهري محمد بن مسلم بن شهاب، قال: سئل علي بن الحسين عليهما السلام، أى الأعمال أفضل عند الله عز وجل؟(1). وفيه محمد بن مسلم بن عبيد الله. روى عن علي بن الحسين عليهما السلام، وروى عنه معمر(2)(3).

وبهذا يتضح لنا ما أخفاه ابن الزناد فى قوله: «كنا نطوف مع الزهري على علماء ومعه الألواح والصحف يكتب كل ما سمع»(4) ان سيد العلماء فى زمان الزهري هو سليل النبوة الإمام على بن الحسين زين العابدين عليه السلام.

أقول(5): بقى هنا أن نذكر ما لابن شهاب الزهري من آثار علمية أسوة بأقرانه من رجال علم السيرة النبوية وقد جمعها سزكين(6) فيما يلي:

ألف - (المغازى)

قال سزكين: «ذكره حاجى خليفة(7)، وقال السخاوى: إن الزهري روى المغازى عن عروة(8)، ويبدو أن البخارى قد أفاد من هذا الكتاب برواية موسى بن عقبه(9).

ص: 258

- 1- (1) الكافي للشيخ الكليني: ج 2، باب ذم الدنيا والزهد فيها 61، ح 11 - وباب حب الدنيا والحرص عليها 126، ح 8.
- 2- (2) التهذيب للطوسي: ج 4، باب علامة أول شهر رمضان وآخره، ح 463 - وباب فضل صيام يوم الشك، ح 511. الاستبصار للطوسي: ج 2، باب صوم يوم الشك، ح 243.
- 3- (3) معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 17، ص 90-93.
- 4- (4) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج 1، ص 108.
- 5- (5) عبارة المؤلف.
- 6- (6) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 77-79.
- 7- (7) إستانبول: ص 1747.
- 8- (8) انظر: الإعلان بالتوبيخ: ص 88. روزنتال: (Rosenthal, Histiry 323).
- 9- (9) صحيح البخارى: ج 5، ص 86. علم التاريخ للدورى: ص 79.

وقد ذكر السخاوى (فى المرجع السابق) كتاب (المغازى) رواية عن الحجاج بن أبى مَتَيْع (المتوفى بعد سنة 216 هـ - / 831 م) (1).

وقد وصلت إلينا (2) مقتبسات منه جمعها الدورى (3)، وهناك إشارة إلى رواية الكتاب عن إسحاق بن إبراهيم تلميذ الزهرى (4).

وتوجد له مخطوطة فى مجموعة، محفوظة بالظاهرية، مجموع 92، 174 أ (5).

باء - (نسب قریش) (6)

ذكر قُرَّة بن عبد الرحمن - وهو أحد معاصرى الزهرى - أنه لم يؤلف إلا هذا الكتاب (7).

ويبدو أن مصعب الزبيرى قد اعتمد فى كتابه: (نسب قریش) على كتاب الزهرى (8)، ولذا فنكاد نقول (9) بأنه قد وصلتنا فى هذا الكتاب مقتبسات كثيرة منه (10).

ص: 259

- 1- (1) الطبقات لابن سعد: ج 7، ص 175، ط بيروت - لبنان. التاريخ الكبير للبخارى: 380/2/1.
- 2- (2) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 77-79.
- 3- (3) نشأة علم التاريخ: ص 82-92 و 143-151.
- 4- (4) لسان الميزان لابن حجر: ج 1، ص 347.
- 5- (5) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 77-79.
- 6- (6) المصدر السابق.
- 7- (7) فيشر: (Fischer, Biographien).
- 8- (8) نسب قریش للزبيرى: ص 3.
- 9- (9) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 77-79.
- 10- (10) الجمهرة لابن حزم: ص 5. الإصابة: ج 1، ص 1021.

جيم - (أسنان الخلفاء) (1)

هو سجل زمني، احتفظ الطبري لنا في تاريخه بقطعتين منه (2).

دال - (الناسخ والمنسوخ في القرآن) (3)

هذبه الحسين بن محمد اللّمي (المتوفى سنة 412 هـ - / 1021 م) (4)، ويوجد مخطوطا في بايزيد ص 445 (16 ورقة، القرن السابع الهجري) (5).

هاء - (أحاديث) (6)

رواها أبو محمد الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الجوهري (المتوفى سنة 454 هـ - / 1062 م)، ويوجد مخطوطا في ليبزج (7)، ومنه مختارات في الظاهرية (8).

واو - (تنزيل القرآن) (9)

زاي - (مشاهد النبي) (10)

ص: 260

1- (1) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 78.

2- (2) تاريخ الطبري: ج 2، ص 428.

3- (3) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 78.

4- (4) ترجمة الحسين بن محمد اللّمي في الجزء الخاص بالتصوف. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 78.

5- (5) تاريخ التراث العربي: مج 1 ج 2، ص 77-79. فهرس معهد المخطوطات ج 1، ص 48. برنستون، مجموعة يهوذا: ج 2، ص 228.

6- (6) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 78.

7- (7) ليبزج: ج 2، ص 320، (من 41 أ - 123 ب، 454 هـ -).

8- (8) المجموع: ج 10، ص 83. الإصابة: ج 1، ص 166؛ ج 2، ص 121 و 725 و 821؛ ج 3، ص 151.

9- (9) تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 78.

10- (10) المصدر السابق: ج 2، ص 79.

رواه يونس بن يزيد الأيلي (المتوفى سنة 159 هـ - / 775 م) (1)، وذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ (2)، ويبدو أن الطبري قد احتفظ ببعض مقتبسات منه.

حاء - وله مقطوعة من أربعة أبيات ترجع إلى عبد الملك بن مروان، ذكرها المرزباني في معجم الشعراء (3).

6- السبيعي (المتوفى سنة 127 هـ - / 745 م)

(4)

احتج به أصحاب الصحاح الستة وأخرج له البخاري ومسلم في صحيحيهما وهو أحد أعلام الشيعة في الكوفة، وفيه قال المدايني: دار علم الثقات على ستة، اثنين في الحجاز واثنين بالكوفة واثنين بالبصرة. فأما اللذان بالحجاز فالزهرى وعمرو بن دينار واللذان بالكوفة أبو إسحاق السبيعي والأعمش وأما اللذان في البصرة فتادة ويحيى بن أبي كثير (5).

وعرفه ابن سعد فقال: «عمرو بن عبدالله بن علي بن أحمد بن ذي يحمند بن السبيع الهمداني، ولد أبو إسحاق السبيعي في سلطان عثمان لثلاث سنين بقين،

ص: 261

1- (1) التاريخ الكبير للبخاري: 406/2/4.

2- (2) الإعلان للسخاوي: ص 88.

3- (3) معجم الشعراء للمرزباني: ص 413.

4- (4) أنظر ترجمته: تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 79. وجاء فيه: الطبقات الكبرى لابن سعد (ليدن): ج 6، ص 123، ط بيروت - لبنان 178. المعارف لابن قتيبة: ص 229. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: ج 3، ص

242. تذكرة الحفاظ للذهبي: ص 114-116. التهذيب لابن حجر: ج 8، ص 63-67. تقريب التهذيب لابن حجر: ج 2، ص 73. الأعلام للزركلي: ج 5، ص 251.

5- (5) جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر: ج 2، ص 168. تاريخ بغداد، البغدادي: ج 9، ص 11.

ومات وهو ابن مائة سنة، وقال أبو نعيم: بلغ أبو إسحاق ثمانياً أو تسعاً وتسعين سنة ومات سنة ثمان وعشرين ومائة سنة»(1).

وذكره ابن حجر في التقریب بقوله: «أبو إسحاق السبيعي بفتح المهملة وكسر الموحدة ثقة مكثراً عابداً من - الطبقة - الثالثة»(2).

وعده الشيخ الطوسي من أصحاب أبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام(3).

وهو أحد رواة حديث الثقلين عن زيد بن أرقم(4).

ترجم له العلامة السيد عبدالحسين شرف الدين رحمه الله بقوله:

«عمرو بن عبدالله، أبو إسحاق السبيعي الهمداني الكوفي الشيعي بنص كل من ابن قتيبة في معارفه والشهرستاني في كتاب الملل والنحل. وكان من رؤوس المحدثين الذين لا يحمد النواصب مذاهبيهم في الفروع والأصول؛ إذ نسجوا فيه على منوال أهل البيت، وتعبدوا باتباعهم في كل ما يرجع إلى الدين، ولذا قال الجوزجاني - كما في ترجمة زيد من الميزان - كان من أهل الكوفة قوم لا يحمد الناس مذاهبيهم هم رؤوس محدثي الكوفة، مثل أبي إسحاق ومنصور، وزيد البامي، والأعمش، وغيرهم من أقرانهم، احتملهم الناس لصدق ألسنتهم في الحديث، وتوقفوا عندما أرسلوا.

قلت: ومما توقف النواصب فيه من مراسيل أبي إسحاق ما رواه عمرو بن إسماعيل الهمداني - كما ترجمته في الميزان - عن أبي إسحاق قال: قال رسول الله

ص: 262

1- (1) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج 6، ص 313.

2- (2) تقریب التهذيب، ابن حجر: ج 1، ص 739.

3- (3) رجال الطوسي: ص 96.

4- (4) حديث الثقلين، نجم الدين العسكري: ص 67.

صلى الله عليه وآله وسلم: على كشجرة أنا أصلها، وعلى فرعها والحسن والحسين ثمرها، والشعبة ورقها، وما قال المغيرة إنما أهلك أهل الكوفة أبو إسحاق، وأعمشكم. إلا لكونهما شيعيين مخلصين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم حافظين ما جاء في السنة من خصائص عليهم السلام، وقد كانا من بحار العلم قوامين بأمر الله، احتج بكل منهما أصحاب الصحاح الستة وغيرهم، ودونك حديث أبي إسحاق في كل من الصحيحين عن البراء بن عازب، ويزيد بن أرقم، وحاتمة بن وهب وسليمان بن صرد، والنعمان بن بشير، وعبدالله بن يزيد الخطمي، - وغيرهم -.

روى عنه في الصحيحين كل من شعبة، والثوري، وزهير، وخفيده يوسف ابن إسحاق بن أبي إسحاق⁽¹⁾.

وترجم له سزكين بقوله: «سمع من ثمان⁽²⁾ وثلاثين صحابياً، وكان مشهوراً بمعرفة المغازي⁽³⁾».

آثاره⁽⁴⁾:

يتضح من القطع التي وردت عنه عند الطبري⁽⁵⁾ أنه استخدم كتبه في المغازي والفتوح استخداماً مباشراً، ويبدو أن الواقدي كذلك أخذ عنه نصوصاً كثيرة⁽⁶⁾.

ص: 263

- 1- (1) المراجعات، السيد شرف الدين: ص 160.
- 2- (2) وردت هكذا في المصدر، والصحيح ثمانية وثلاثين صحابياً.
- 3- (3) فتوح مصر للواقدي: سراى أحمد الثالث سنة 1389، ج 9 ب.
- 4- (4) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 79.
- 5- (5) فهرس تاريخ الطبري: ص 32.
- 6- (6) تاريخ التراث: ج 2، ص 79، نقلاً عن المعارف لابن قتيبة: ص 91 و 106.

(1)

ترجم له ابن حجر:

«هو يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخصس بن شريف الثقفي المدني، رأى السائب بن يزيد؛ روى عن عمر بن عبدالعزيز وسليمان بن يسار وأبان بن عثمان، وأبي غطفان بن طريف المري وغيرهم؛ وروى عنه ابنه محمد والحسن بن الحر ومحمد بن إسحاق وغيرهم.

وقال ابن سعد: كان ثقة له أحاديث كثيرة ورواية وعلم بالسيرة وغير ذلك»(2).

وتتبع سزكين آثاره(3) فقال:

يتضح لنا من القطع التي وصلت إلينا عنه عند الطبري(4) أن كتابه في (السيرة) لم يكن يتضمن (المغازي) ويبدو كذلك أنه لم يكن يذكر رواة أخباره إلا نادراً، وقد أخذ الطبري مقتبساً عنه يعقوب عن طريق ابن إسحاق - وهناك قطعان ذكرهما الطبري في تاريخه يبدو أنهما مأخوذتان عن كتاب اللواقدي(5).

ص: 264

-
- 1- (1) أنظر ترجمته: التهذيب لابن حجر: ج 11، ص 392. تقريب التهذيب لابن حجر: ج 2، ص 376. الجرح والتعديل، الرازي: ج 9، ص 211. الثقات لابن حبان: ج 7، ص 639.
 - 2- (2) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 11، ص 344.
 - 3- (3) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مع 1، ج 2، ص 80.
 - 4- (4) فهرس تاريخ الطبري: ص 646.
 - 5- (5) تاريخ التراث، سزكين: ج 2، ص 80.

(1)

هو عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم بن زيد الأنصاري المدني، ولد سنة 56 أو 60 هـ - / 679 م في المدينة.

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام علي بن الحسين عليه السلام (2) وذكر ابن حجر انه من رواة حديث الإمام محمد الباقر عليه السلام (3).

وترجم له قانلاً: «روى عن أبيه وحميد بن نافع، وعبد الملك بن أبي بكر بن عبد الرحمن - والإمام - أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين - عليه السلام - وعروة بن الزبير وغيرهم. وروى عنه الزهري وابن أخيه عبد الملك بن محمد وقد وثقه ابن معين، وأبو حاتم، والنسائي؛ وقال ابن سعد: كان كثير الحديث، ثقة، عالماً» (4).

وترجم له سزكين: «كان أبوه مؤرخاً ومحدثاً وقيهاً، وروى كذلك عن الصحابي أنس بن مالك وغيره.

وروى عنه مالك وابن جريج وهشام بن عروة وغيرهم، وكان عبد الله مؤرخاً ومحدثاً مثل أبيه، ولكنه ظل في منطقة الظل أثناء حياة أبيه فقد طغت شخصيته الممتازة عليه، وأخذ؛ من القطع التي وصلت إلينا؛ عند ابن إسحاق والواقدي وابن سعد والطبري وغيرهم ما لاحظته هوروفتس أن عبد الله مؤلف

ص: 265

1- (1) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد: ج 7، ص 68. التاريخ الكبير للبخاري: 54/1/3. التهذيب لابن حجر: ج 5، ص 164-165. رجال الطوسي: ص 96 و 224 وفيها أسند عنه. تنقيح المقال: ج 2، ص 62. معجم

رجال الحديث، السيد الخوئي: ج 11، ص 91.

2- (2) رجال الطوسي: ص 230، برقم 3121. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج 11، ص 91.

3- (3) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 5، ص 144.

4- (4) المصدر السابق.

كتاب (المغازي) الذي رواه فيما يبدو ابن أخيه عبد الملك بن محمد القاضي (المتوفى 176 هـ - / 792 م)، وقد ألف هذا - بدوره - في (المغازي) كذلك(1).

وروى عبد الله كذلك بعض كتب الرسول إلى معاصريه، ومنها كتبه إلى ملوك حمير(2).

9- يزيد بن رومان (المتوفى سنة 130 هـ - / 747 م)

(3)

ترجم له سزكين: «هو يزيد بن رومان الأسدي المدني، أبو رُوْح، مولى آل الزبير بن العوام، عاصر متأخري التابعين ولكنه لم يرو عن الصحابة، كان محدثاً ومؤلفاً في المغازي، وكان يعتمد في المقام الأول على عروة والزهرى، وروى عنه محمد بن إسحاق، ومالك بن أنس وهشام بن عروة وغيرهم.

ويبدو أن كتابه في المغازي قد وصل إلى الواقدي في معظمه برواية محمد بن صالح بن دينار (المتوفى سنة 168 هـ - / 784 م)، وكان أيضاً مؤلف كتاب في المغازي(4)، وبذلك وصل إلينا في الطبقات لابن سعد، وتوفى سنة 130 هـ - / 747 م.

آثاره(5): هناك مقتبسات منه عند الطبري أخذها عن ابن سعد والواقدي وابن إسحاق(6).

ص: 266

1- (1) الفهرست لابن النديم: ص 226.

2- (2) تاريخ التراث، سزكين: ج 2، ص 80.

3- (3) أنظر ترجمته: الرجال للقيصري: ص 573. غاية النهاية لابن الجزري: ج 2، ص 381. تاريخ الإسلام للذهبي: ج 5، ص 18. التهذيب لابن حجر: ج 11، ص 325. الأعلام للزركلي: ج 9، ص 234.

4- (4) التهذيب لابن حجر: ج 9، ص 225-226.

5- (5) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 81.

6- (6) المصدر السابق.

(1)

ترجم له ابن حجر: «هو أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل بن الأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي، يتيم عروة بن الزبير، لأن أباه كان أوصى إليه، روى عن عروة وعلى بن الحسين - عليه السلام - وسليمان بن يسار، روى عنه الزهري وهو من أقرانه وابن إسحاق، ومالك، وثقه النسائي وأبو حاتم وابن حبان، ومات في آخر سلطان بنى أمية سنة إحدى وثلاثين ومائة» (2).

وترجم له سزكين قائلاً: «كان تابعياً في عمر الزهري، ويبدو أنه لم يرو عن صحابى قط، وكان عروة في مقدمة شيوخه، روى عنه الزهري وعبيد الله بن أبى جعفر - مؤرخ مصر - وعبد الله ابن لهيعة وشعبة والليث وغيرهم، تعد مروياته موضع ثقة، أما كتابه في (المغازى) فيمكن بحثه بحثاً دقيقاً اعتماداً على ما وصل إلينا من اقتباسات في الإصابة لابن حجر، وهو يقوم في معظمه على عروة.

آثاره (3): توجد مقتبسات من كتابه في (المغازى) ذكرها البلاذرى في: أنساب الأشراف (4) والطبرى (5).

وربما كان هذا الكتاب برواية مصعب بن ثابت، وندين لابن حجر بما حفظ لنا من هذا الكتاب في كتابه الإصابة (6).

ص: 267

-
- 1- (1) أنظر ترجمته: المقدمة لابن أبى حاتم: ص 120. التهذيب لابن حجر: ج 9، ص 307-308. التاريخ الكبير، البخارى: ج 1، ص 145. الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج 4، ص 120.
 2- (2) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 9، ص 273.
 3- (3) تاريخ التراث العربى: مج 1، ج 2، ص 82.
 4- (4) أنساب الأشراف ج 1، ص 112 و 351.
 5- (5) تاريخ الطبرى: ج 1، ص 1167 و 1196 و 1264.
 6- (6) تاريخ التراث العربى: ج 2، ص 83 وجاء في: الإصابة: ج 1، ص 323 و 405 و 432 و 448

(1)

ترجم له سزكين: «هو أبو سليمان داود بن الحسين الأموي، كان تلميذ عكرمة ونافع وغيرهما وهو شيخ مالك وابن إسحاق، وكان مثل أستاذه عكرمة يميل إلى الخوارج. ضعف بعض المحدثين رواياته، واعتبرها بعضهم جدية بالثقة. ويبدو أنه قصر اهتمامه على تدوين حياة الرسول وصحابه.

آثاره(2):

أفاد عبد الله بن محمد بن عُمارة الأنصاري (المتوفى حوالي سنة 200 هـ - / 815 م) من كتاب لأبي سليمان بخطه(3)، والمرجح أن الواقدي أخذ هذا الكتاب برواية إبراهيم بن أبي حبيبة(4).

أما المقتبسات التي وصلت إلينا منه عند الطبري(5) فيبدو أنها أخذت عن طريق مؤلفات ابن إسحاق والواقدي(6).

ص:268

1- (1) أنظر ترجمته: المعارف لابن قتيبة: ص 232. علل الحديث لابن أبي حاتم: ج 1، ص 380. الرجال للقيصري: ج 1، ص 129. التهذيب لابن حجر: ج 3، ص 181-182.

2- (2) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 83.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) المصدر السابق.

5- (5) فهرس تاريخ الطبري: ص 176.

6- (6) تاريخ التراث: مج 1، ج 2، ص 83.

(1)

ترجم له ابن حجر قانلاً: «هو موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي مولى آل الزبير ويقال مولى أم خالد بنت سعيد بن العاص زوج الزبير، روى عن أم خالد ولها صحبة وجده لأمه، وحمزة وسالم ابني عبدالله بن عمر وغيرهم. وقال ابن سعد: كان ثقة ثبناً كثير الحديث.

وقال مالك: عليكم بمغازي موسى بن عقبة فإنه ثقة» (2). وعده الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (3). وذكر الياس سركيس أن أحاديث منتخبة من مغازي موسى بن عقبة طبعت في أوروبا سنة 1904 (4).

وترجم له سزكين قانلاً: «لا تعرف سنة ميلاده، إلا أنه التقى وهو غلام سنة 68 هـ - / 687 م، بعبد الله بن عمر في طريقه حاجاً إلى مكة» (5).

وعلى ذلك فإنه على أبعاد تقدير ولد سنة 55 هـ - (6)، وهو من تلاميذ الزهري وعاش في المدينة، وكانت له في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حلقة درس.

ص: 269

-
- 1- (1) أنظر ترجمته: رجال الطوسي: ص 300. قاموس الرجال، التستري: ج 10، ص 288. الثقات، ابن حبان: ج 5، ص 404. معجم المؤلفين، عمر كحالة: ج 13، ص 43. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 155/2/4. تذكرة الحفاظ للذهبي: 148. علم التاريخ للدوري: ص 27. الأعلام للزركلي: ج 8، ص 276. معجم المؤلفين لكحالة: ج 13، ص 43. تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 84-86.
- 2- (2) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 10، ص 321.
- 3- (3) رجال الطوسي: ص 300.
- 4- (4) معجم المطبوعات العربية، سركيس: ج 2، ص 1816.
- 5- (5) التهذيب لابن حجر: ج 10، ص 362. تاريخ الطبري: ج 2، ص 782.
- 6- (6) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 84. نقلا عن هوروفتس (Horovitz, Isl. Cult. 2, 1928/164-165).

وكان جل اهتمامه - مؤرخاً - مُتّجهاً إلى مغازى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء وسيرة أبي بكر وعمر وعثمان والإمام على عليه السلام، وقد دون كذلك أسماء المهاجرين إلى الحبشة وأسماء المشتركين في بيعتي العقبة، ويبدو من بعض مواضع أنه ذكر الأمويين(1).

وكان يعرض مادته التاريخية وفق السنين، وهو منهج يبدو أنه كان قد استخدم قبل ذلك عند عدد من أسلافه، منهم: عبد الله بن أبي بكر بن حزم (المتوفى سنة 120 هـ - / 737 م)(2).

وقلما كان موسى بن عقبة يستشهد في تاريخه بالشعر(3).

آثاره(4):

(كتاب المغازى)

قرظه الإمام مالك كثيراً(5)، وقد اعتمد موسى اعتماداً أساساً على الزهري، غير أن موسى لم يكن قد تلقى فيما يبدو إجازة برواية (مغازى) الزهري، فإنه كان يأخذ عنه مقدماً لذلك بعبارة: قال ابن شهاب أو (زعم ابن شهاب) وذكره مرة واحدة بعبارة: (حدثني الزهري) مشيراً بذلك إلى اقتباس - أغلب الظن أنه - ليس من كتابه (المغازى) بل هو من كتاب آخر في (المغازى) رواه الزهري(6).

ص: 270

1- (1) الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 283.

2- (2) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 84. نقلاً عن هوروفتس (Horovitz, Isl. Cult. 2/1928 27-28, 167).

3- (3) الطبقات لابن سعد: ج 3، ص 241.

4- (4) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 85.

5- (5) المصدر السابق.

6- (6) المصدر السابق.

وقد استخدم كذلك كتب عبد الله بن عباس التي كان كُتِبَ مولى ابن عباس قد أودعها لديه، وكانت حمل بعير(1).

وقد روى كتابه في (المغازي) ابن أخيه إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة (المتوفى سنة 158 هـ / 774 م)(2)، وقد استخدم ياقوت نسخة منه بخط أبي نعيم الإصهاني(3).

ويبدو أن أصل الكتاب قد ضاع ولم تبق منه نسخ، وهناك قطعة من نص منه هذبه يوسف بن محمد بن عمر بن قاضى شهبه (المتوفى 789 هـ / 1387 م) في برلين (الأوراق 74-77، سنة 782)، وقد حقق ساخاو هذه القطعة وترجمها إلى الألمانية(4).

وكتب شاخت عن أهمية هذه القطعة(5).

واختصره يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمْرِي (المتوفى سنة 463 هـ / 1071 م)(6)، بعنوان (كتاب الدرر في اختصار المغازي والسير)، وقد وصلت إلينا قطعة منه في (أمالي ابن معروف) محمد بن عُبَيْد الله بن أحمد (المتوفى سنة 390 هـ / 999 م)(7).

ص: 271

1- (1) المصدر السابق.

2- (2) الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 283. القطعة الباقية في برلين.

3- (3) معجم البلدان: ج 4، ص 1008 - ج 3، ص 872.

4- (4) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 85، نقلاً عن: (Sachacht, in SBBA 11/1904/445-470).

5- (5) المصدر السابق نقلاً عن: (J. Schach, On Musa b. Oqba's K. al-M.in: Acta Or (Kopenhagen) 21/1953/288-300) وانظر كذلك: (Oriens 7/1954/154).

6- (6) بروكلمان: ج 1، ص 368.

7- (7) الوافي بالوفيات للصفدي: ج 4، ص 7-6.

ويوجد مخطوطا في الظاهرية، حديث 387 (من 31 ب - 32 أ، في القرن السابع الهجري). وقد استخدم ابن حجر نسخا مختلفة متباينة من كتاب المغازي(1)، واحتفظ لنا بقطع تمثل قسما كبيرا منه فوق هذا، فهناك مقتبسات عديدة منه في: (عيون الأثر) لابن سيد الناس الذي أفاد من (مغازي) ابن عقبة، برواية محمد بن قُلَيْح (المتوفى سنة 197 هـ - 882 م)(2).

13 - سليمان بن طرخان التيمي (المتوفى سنة 143 هـ - / 760 م)

(3)

أبو المعتمر (سليمان بن طَرْخَانَ التيمي) القيسي البصري من أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام وقد نص على تشيعة ابن قتيبة(4) وقال ابن سعد: وكان سليمان مائلا إلى علي بن أبي طالب عليه السلام(5)، وعده الطوسي من أصحاب الإمام الحسن عليه السلام(6).

ترجم له الذهبي بقوله: سليمان بن طرخان الإمام شيخ الإسلام، أبو المعتمر التيمي البصري(7).

ص: 272

- 1- (1) الإصابة: ج 3، ص 1349.
- 2- (2) تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 84-86.
- 3- (3) أنظر ترجمته في: الطبقات لابن سعد: ج 7، ص 252-253، ط بيروت - لبنان. تاريخ الكبير للبخاري: 22/1/2-23. المعارف لابن قتيبة: ص 240. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 124/1/2-125. التهذيب لابن حجر: ج 4، ص 201، 203. الإعلان بالتوبيخ للسخاوي: ص 88.
- 4- (4) المعارف: ص 624. تاريخ التراث العربي: ج 2، ص 83.
- 5- (5) الطبقات لابن سعد: ج 1، ص 252.
- 6- (6) رجال الطوسي: من 40 الرقم 255 و 2 ص 66 الرقم 597.
- 7- (7) سير أعلام النبلاء: ج 6، ص 195، برقم 92.

وقال أحمد بن حنبل: هو ثقة(1).

وقال البخاري: وكان عندنا من أهل الحديث(2).

وقال ابن سعد: وكان ثقة، كثير الحديث، وكان من العباد المجتهدين(3)، وقد أخرج له أصحاب الصحاح الستة أحاديث كثيرة.

وروى عن الإمام الحسن بن علي عليهما السلام(4)، وأنس بن مالك وعدد من قدامى التابعين مثل الحسن البصري، وكان بصفة عامة موضع ثناء لدقة مروياته، وتوفي بالبصرة سنة 143 هـ - / 760 م.

وقد تتبع سزكين آثاره، فكان من أهمها (كتاب المغازي)(5).

وقد حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازة بروايته(6).

ويبدو أن الطبري قد أفاد منه بالرواية التالية: (حدّثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدّثنا معتمر بن سليمان التيمي، قال: حدثنا أبي)(7).

وهناك قطعان مهمتان منه في تاريخ الطبري(8). وهناك مقتبسات منه في صحيح البخاري وخصوصاً في المجلد الخامس (القسم الخاص بالمغازي).

ص: 273

1- (1) الجرح والتعديل للرازي: ج 4، ص 125، برقم 539.

2- (2) التاريخ الكبير للبخاري: ج 4، ص 20.

3- (3) الطبقات الكبرى لابن سعد: ج 7، ص 252.

4- (4) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 177.

5- (5) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 83-84.

6- (6) مشيخة للخطيب البغدادي، في الظاهرية: مجموع 18 و 126 ب).

7- (7) فهرس تاريخ الطبري: ص 250 و 560 عن ابنه معتمر.

8- (8) تاريخ الطبري: ج 1، ص 2963-2965 و 3006-3007.

(1)

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (2) وهو أحد رواة حديث الغدير في القرن الثاني للهجرة (3). واحد أصول كتاب سليم بن قيس الهلالي (4). ترجم له ابن سعد فقال: «يكنى أبا عروة مولى للأزد وراشد، كان من أهل البصرة، فانتقل فنزل اليمن وكان معمر رجلاً له حلم ومروءة ونبيل في نفسه» (5). وترجم له العلي بن يقطين بقوله: «ثقة رجل صالح، يروى عنه ابن المبارك، سكن صنعاء وتزوج بها، رحل إليه سفيان الثوري وسمع منه هناك» (6).

وترجم له الذهبي في التذكرة، قائلاً: «أحد الأعلام وعالم اليمن حدث عن الزهري وقتادة وعمرو بن دينار وغيرهم، وقال يحيى بن معين هو من أثبت الناس

ص: 274.

-
- 1- (1) أنظر ترجمته: رجال الطوسي: ص 307. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 19، ص 288. الطبقات لابن سعد (ليدن): ج 5، ص 397، ط بيروت - لبنان، ج 5، ص 546. التاريخ الكبير للبخاري: 379-378/1/4. المعارف لابن قتيبة: ص 253. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 257-255/1/4. فقهاء اليمن للجعدي: ص 66. التهذيب للنووي: ج 2، ص 107. تذكرة الحفاظ للذهبي: ج 1، ص 178. ميزان الاعتدال للذهبي: ج 3، ص 188. عمدة القاري للعيني: ج 1، ص 81. الإعلان بالتوبيخ للسخاوي: ص 140. الأعلام للزركلي: ج 8، ص 190. معجم المؤلفين لكحالة: ج 12، ص 309. معرفة الثقات، العجلي: ج 2، ص 290. مشاهير علماء الأمصار، ابن حبان: ص 305.
- 2- (2) رجال الطوسي: ص 307.
- 3- (3) الغدير، الشيخ عبدالحسين الأميني قدس سره: ج 1، ص 75. كتاب الولاية، ابن عقدة: ص 198.
- 4- (4) الذريعة، الطهراني: ج 4، ص 251. كتاب الولاية، ابن عقدة: ص 198.
- 5- (5) الطبقات الكبرى، ابن سعد: ج 5، ص 546.
- 6- (6) معرفة الثقات، العجلي: ج 2، ص 290.

في الزهري وقال عبدالرزاق - بن همام بن نافع، وهو أحد الحفاظ والمصنفين المشهورين ومن أعلام الشيعة وثقة أئمة الحديث عند أبناء العامة - قال: كتبت عن معمر بن راشد عشرة آلاف حديث⁽¹⁾.

وقال أبو طالب المكي: «سمع في شبابه قتادة بن دعامة (المتوفى 118 هـ - / 736 م) والزهري وهمام بن منبه، ثم رحل بعد ذلك إلى صنعاء، وزار البصرة عدة مرات وتوفي سنة 154 هـ - / 770 م في صنعاء، وكان معمر مؤرخا ومحدثا مرموق المكانة، كما كان مفسرا، وأكثر مروياته في كل هذه المجالات ترجع عن الزهري، وألف كتابا في (المغازي)، ولم يرتب مادته ترتيبا زمنيا كما فعل معاصره موسى بن عقبة، بل رتبها ترتيبا موضوعيا على نحو ما فعله في علم الحديث.

ويعتبر من أوائل المحدثين الذين رتبوا الأحاديث في أبواب⁽²⁾.

قال سزكين: «وكان عبد الرزاق بن همام (المتوفى 211 هـ - / 826 م) راوية معظم كتبه، ولم يكتف بروايتها بل أضاف إليها بعض التعليقات، وهكذا ظهر اسمه مؤلفا ثانيا مشتركا فيما رواه».

وكتب عنه هوروفتس: (J. Horovitz, Islam Cult. 2/1928/167-169)

وكتب عنه روزنتال في كتابه عن المؤرخين العرب: (F. Rosenthal, History 483)

كتبت نبيهة عبود عنه في دراسات عن البرديات العربية:

(Nabia Abbott, Studies in Arabic Lit. Pap., S. 76)

وكتب عنه فؤاد سزكين في كتابه عن مصادر البخاري:

(F. Sezgin, Buh. Kayn. 41-43, 132-134, 235, 248, 272)

ص: 275

1- (1) تذكرة الحفاظ، الذهبي: ج 1، ص 190. سير أعلام النبلاء، الذهبي: ج 7، ص 12.

2- (2) فوت القلوب لأبي طالب المكي القاهرة، سنة 1310: ج 1، ص 159.

وفى دراسته لمصنفات الحديث وبدايتها ومعمر بن راشد وكتاب الجامع:

(1) (F.Sezgin. Hadis musannafatinin mebdei ve Ma mecb-Rasid, in Gami'i, in: Turkiyat 12. 1955/215-234.

آثاره(2):

ألف - (كتاب المغازي)

يبدو أن معمر لم يخصص هذا الكتاب للمغازي وحدها، بل تناول أيضا سير الأنبياء الآخرين، ويبدو أن الطبري نقل مادة هذا الكتاب(3).

وقد وصلت إلينا قطعة من هذا الكتاب مكتوبة على جلد قديم جدا، محفوظ في معهد الدراسات الشرقية بشيكاغو، ونشرتها نبيهة عبود(4).

باء - (الجامع)

هو كتاب في الحديث مرتب وفق الموضوعات، غير مبوب على أبواب الفقه الأساسية ولكنه يتناول قضايا في السنة ذات أهمية ثانوية، وقد روى هذا الكتاب تلميذه عبد الرزاق، فأضاف إليه أحاديث أخرى، وجعل الكتاب ملحقا بكتابه (المصنف)، ويوجد مخطوطا في: صانِبْ بَانْتِقْرَة 2164 (79 ورقة، سنة 364 هـ -، وبه 15 ورقة ناقصة) فيض الله 541 (من 92 أ - 213 أ، سنة 606 هـ -)(5)، فيض الله 12/507 (112 أ - 121 ب القرن التاسع الهجري، قسم واحد فقط).

ص: 276

1- (1) تاريخ التراث العربي لسزكين: مج 1، ج 2، ص 93، نقلا عن هوروفتس (Horovitz, Isl. 2/1928/168-169).

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) المصدر السابق.

5- (5) تاريخ التراث العربي، نقلاً عن: (Turkiyat eb S. 128-134).

الظاهرية، حديث 367 (17 ورقة، قبل 558 هـ - (1).

جيم - (تفسير)

وصل الينا بتهذيب عبد الرزاق (2).

15 - الخنفي (المتوفى سنة 162 هـ - / 778 م)

(3)

من خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومن فضلاء محدثي الإمامية (4).

ترجم له ابن حجر، قالاً:

«هو أبو محمد عبد الرحمن بن عبد العزيز بن عبد الله بن عثمان بن حنيف الأنصاري الأوسى المدني ويقال له الإمامي، روى عن الزهري وعبدالله بن أبي بكر بن محمد، وعنه فليح بن سليمان وخالد بن مخلد والواقدي وغيرهم وثقه ابن شبة وذكره ابن حبان في الثقات.

وروى له مسلم حديثاً واحداً في النكاح، وقال ابن سعد: كان كثير الحديث وكان عالماً بالسيرة وغيرها» (5).

ص: 277

1- (1) فهرست معهد المخطوطات العربية: ج 1، ص 72. الكنانى بالرباط 332 (ص 356-609، نسخة حديثة). ومنه مقتبسات في الإصابة: ج 4، ص 311 و 603.

2- (2) تاريخ التراث العربي، سزكين: ج 2، ص 93.

3- (3) أنظر ترجمته: الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج 2، ص 216. التاريخ الكبير للبخاري: 318/1/3-319. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم: 260/2/2. الإكمال لابن ماكولا: ج 3، ص

3. التهذيب لابن حجر: ج 6، ص 220. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مع 1، ج 2، ص 92-93. مستدركات علم الرجال، على النمازي: ج 4، ص 404. تقد الرجال، الثفرشي: ج 3، ص 51.

4- (4) الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج 2، ص 216.

5- (5) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 6، ص 199.

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام(1).

ترجم له سزكين، قانلاً:

«أصله من المدينة ولد حوالي سنة 90 هـ - 708 م، وروى عن الزهري وعبد الله بن أبي بكر بن حزم وغيرهما، وروى عنه الواقدي وسعيد بن أبي مريم وغيرهما، وكان في عصره عالماً بالسيرة مشهوراً بها»(2).
وتوفي سنة 162 هـ - 778 م.

آثاره: يعد كتابه (السيرة) أحد المصادر الأساسية لكتاب الواقدي وهناك مقتبسات منه في تاريخ الطبري(3)(4).

16 - أبو مَعْشَر الشُّدِّي

(5)

عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام(6).

وذكر له السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره كتاب الحرة وهو من تصنيفه(7).

ص: 278

-
- 1- (1) رجال الطوسي: ص 229.
 - 2- (2) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 93-94.
 - 3- (3) المصدر السابق.
 - 4- (4) فهرس تاريخ الطبري: ص 349.
 - 5- (5) أنظر ترجمته: المعارف لابن قتيبة: ص 253. التاريخ لليقوي: ج 2، ص 523. الفهرست لابن النديم: ص 93. تاريخ بغداد للخطيب: ج 13، ص 457-462. الأنساب للسمعاني: ص 313. معجم البلدان لياقوت: ج 3، ص 166. المشترك لفظاً لياقوت: ص 256. التهذيب لابن حجر: ج 10، ص 419-422. الأعلام للزركلي: ج 8، ص 328. بروكلمان ملحق: ج 1، ص 207.
 - 6- (6) رجال الطوسي: ص 316.
 - 7- (7) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي قدس سره: ج 20، ص 141.

وترجم له سزكين: (كتب فستفلد عنه في كتابه عن المؤرخين العرب: (33 .Wustenfeld, Geschichts.)

كتب هوروفتس عنه في مجلة الحضارة الإسلامية:

(Horovitz, Isl. Cult. 2/1928/495-498)

كتب روزنتال عنه في دائرة المعارف الإسلامية - الطبعة الإنجليزية الثانية: (1. Rosenthal, El, 1/140.

آثاره(2):

ألف - (كتاب المغازي)

حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازة روايته(3).

وقد وصل إلينا قسم من هذا الكتاب الواقدي المعنون بنفس الاسم وكذلك في كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد، وإلى حد ما عند الطبري.

باء - (تاريخ الخلفاء)

حصل الخطيب البغدادي على إجازة روايته(4).

ويبدو أن الطبري أفاد منه إفادات كثيرة في كتابه في التاريخ، وذلك بالرواية التالية: (حدّثني أحمد بن ثابت عمّن ذكره عن إسحاق بن عيسى عن أبي معشر(5).

ص: 279

1- (1) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 95.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) انظر مسيخة، الظاهرية مجموع: 18 و 126 ب).

4- (4) مسيخة، الظاهرية مجموع: (18 و 127 أ).

5- (5) فهرس تاريخ الطبري: ص 13.

(1)

هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث، الفزاري.

عده الشيخ الطوسي من أصحاب الصادق عليه السلام(2).

قال ابن حجر:

(ولد في الكوفة، وقدم دمشق ثم بغداد، واستقر آخر الأمر مرابطاً في ثغر المصبيصة، وتوفي سنة 188 هـ / 804 م أو 185 هـ - أو 186 هـ -).

كان مؤرخاً ومحدثاً مرموق المكانة، ويختلط عند البعض بالفزاري الفلكي(3).

آثاره:

قال سزكين: له كتاب التبير في الأخبار(4).

رواه أبو عمرو معاوية بن عمرو الرومي (المتوفى سنة 215 هـ - / 830 م)(5).

ص: 280

- 1- (1) أنظر ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري: 321/1/1. الفهرست لابن النديم: ص 92. تاريخ ابن عساكر: ج 2، ص 252. إرشاد الأريب لياقوت (ليدن): ج 1، ص 283-286، ط القاهرة، مصر، ج 1، ص 209-215. البداية والنهاية لابن كثير: ج 10، ص 200. الأعلام للزركلي: ج 1، ص 55. روزنتال: (Rosenthal. History, 323. 323). المعارف، ابن قتيبة: ص 524. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 96.
- 2- (2) رجال الطوسي: ص 144. الفائق، الشبستري: ج 1، ص 60.
- 3- (3) التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 153. معجم المؤلفين لكحالة: ج 1، ص 90.
- 4- (4) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 96.
- 5- (5) المصدر السابق، وجاء فيه: ابن النديم: ص 92. يوجد في مخطوط القرويين بفاس: ج 2، ص 139. (17 ورقة، سنة 270 هـ -). ومنه قطعة في الإصابة: ج 1، ص 680 - ج 3، ص 408.

(1)

ذكره ابن حبان في الثقات فقال: «محمد بن عبدالله الأزدي من أهل البصرة يروى عن عاصم بن هلال وعبد الوهاب بن عطاء، حدث عنه الحسن بن سفيان وأبو يعلى الموصلي، ربما خالف، وكان من الحفاظ» (2). وذكر المزي: «ان له كتاب فتوح الشام» (3). ترجم له فؤاد سزكين بقوله: «هو أبو إسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري، ذكره السخاوي في كتابه الإعلان بالتوبيخ» (4).

19 - يحيى بن سعيد الأموي (المتوفى سنة 194 هـ - / 809 م)

(5)

هو أبو أيوب يحيى بن سعيد بن أبان بن سعيد بن العاص الأموي الكوفي، ولد في نحو سنة 114 هـ - / 732 م، روى عن يحيى بن سعيد الأنصاري والأعمش

ص: 281

- 1- (1) معجم المؤلفين، كحالة: ج 10، ص 199. معجم المطبوعات العربية، إلياس سركيس: ج 1، ص 428. مستدركات علم الرجال، علي النمازي: ص 167. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 96.
2- (2) الثقات، ابن حبان: ج 9، ص 84.
3- (3) تهذيب الكمال، المزي: ج 2، ص 276.
4- (4) الإعلان بالتوبيخ للسخاوي: ص 126. انظر محمد كُرد علي في مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق: ج 20، ص 544-548. معجم المؤلفين لكحالة: ج 10، ص 199.
5- (5) أنظر ترجمته: الطبقات لابن سعد: ج 6، ص 398، ط بيروت - لبنان. المعارف لابن قتيبة: ص 257. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 13، ص 132-134. معجم البلدان لياقوت: ج 1، ص 776. تذكرة الحفاظ للذهبي: ص 325-326. التهذيب لابن حجر: ج 11، ص 213-214. معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج 21، ص 57. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 97.

وهشام بن عروة، ومحمد بن إسحاق وغيرهم، واستقر بعد ذلك في بغداد، وتوفي بها. وقد بلغ من السن ثمانين سنة(1).

عدّه الشيخ الطوسي رحمه الله من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام(2).

تتبع آثاره فؤاد سزكين فكانت(3):

(كتاب المغازي)

وصلت إلينا قطع كثيرة منه عند البخاري، في الباب الخاص بالمغازي(4)، وقد أفاد منه الطبري، والمرجح أن ذلك كان برواية ابن مصنفه(5).

وهناك قطع وصلت إلينا منه كذلك في الإصابة(6)، وكان كتاب المغازي - فيما روى - أحد مصادر كتاب الاكتفاء للكلاعي (المتوفى سنة 634 هـ - / 1237 م)(7).

ص: 282

1- (1) المعارف، ابن قتيبة: ص 514.

2- (2) معجم رجال الحديث، السيد أبو القاسم الخوني قدس سره: ج 21، ص 57. الفائق، الشبستري: ص 427.

3- (3) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 98.

4- (4) الجامع الصحيح: ج 5، ص 71-179.

5- (5) تاريخ الطبري: ج 1، ص 269 و 1222 و 1598 و 1652 و 1767 و 1808 - ج 3، ص 2533.

6- (6) الإصابة لابن حجر: ج 1، ص 159 و 488 و 665 و 770 و 818 - ج 2، ص 199 و 206 و 548 و 558 و 657 و 1057 و 1114 و 1246 و 1275 - ج 3، ص 374 و 381 و 590 و 591 و 719 و 737 و 793

و 904 و 942 و 961 و 1166 و 1302 و 1307 و 1337 و 1413 - ج 4، ص 56 و 597.

7- (7) بروكلمان ملحق: ج 1، ص 634. أنظر ما كتبه فاروق في مجلة الحضارة الإسلامية (168-161/1959/33, in Isl. Cult. Fariq).

وكان الخطيب البغدادي ممن حصلوا على إجازة رواية كتاب المغازي(1).

وقد ذكره حاجي خليفة في من صنف في مغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم(2).

20 - أبو العباس الأموي (المتوفى سنة 195 هـ - / 810 م)

(3)

ترجم له الزركلي: «هو أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي (بالولاء) الدمشقي، ولد سنة 119 هـ - / 737 م في دمشق عالم الشام في عصره من حفاظ الحديث، له 70 تصنيفاً في الحديث والتاريخ منها: (كتاب المغازي) و (كتاب السنن)، وتوفي سنة 195 هـ - / 810 م، قافلاً من الحج»(4).

وتتبع آثاره سزكين فقال(5):

يبدو أن (كتاب المغازي) قد وصل إلينا منه قطع في: صحيح البخاري (في باب المغازي المجلد الخامس)(6).

ص:283

1- (1) مشيخة الظاهرية مجموع: 18 (126 ب).

2- (2) كشف الظنون، حاجي خليفة: ج 2، ص 1747. معجم المؤلفين، كحالة: ج 13، ص 199.

3- (3) أنظر ترجمته: التاريخ الكبير للبخاري: 153-152/2/4. الفهرست لابن النديم: ص 109 و 228. ميزان الاعتدال للذهبي: ج 3، ص 275-276. التهذيب لابن حجر: ج 11، ص 151-155. شذرات الذهب لابن

العماد: ج 1، ص 344. الأعلام للزركلي: ج 9، ص 143. معجم المؤلفين لكحالة: ج 13، ص 172. تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 98.

4- (4) الأعلام، الزركلي: ج 8، ص 122.

5- (5) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 98.

6- (6) سزكين مصادر البخاري: (Buk. Kayan. 223,225,215,213). فهرس تاريخ الطبري: ص 629.

يمكن لنا من خلال البحث الذى تقدم أن نخلص إلى نتيجة مفادها: إن حركة التأليف فى المغازى والسير قد تطورت بشكل ملحوظ خلال ستين سنة ابتداء من عام 90 للهجرة النبوية وحتى نهاية عام مائة وخمسين للهجرة وهى السنة التى توفى فيها محمد بن إسحاق شيخ كتاب السيرة النبوية.

وإن هذه الحركة أخذت طاقاتها وتوجهاتها من خلال اعلام مدرسة أهل البيت، أى الإمام زين العابدين والإمام محمد الباقر عليهما السلام فضلاً عن الزخيم الذى قدمته مدرسة العترة لروادها فى تزويد حركة علم السيرة منذ حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فمن بين تلك الأسماء التى مر ذكرها خلال القرن الأول للهجرة كان نصفها لأصحاب أئمة العترة النبوية عليهم السلام وهم:

1. عبيد الله بن أبى رافع.

2. سعيد بن سعد بن عبادة الأنصارى.

3. سعيد بن المسيب.

وإذا أضفنا لها اعلام مدرسة النبوة وهم الإمام أمير المؤمنين والإمام الحسن المجتبى والإمام الحسين سيد الشهداء والإمام زين العابدين يكون مجموع الذين رووا فى علم السير والمغازى وصنفوا فيه سبعة، يقابلهم أربعة أسماء فى مدرسة الصحابة.

وعليه: تكون مدرسة التشيع هى صاحبة الأسبقية والفضل فى نشوء علم المغازى والسير وحركته خلال القرن الأول للهجرة.

أما فى القرن الثانى للهجرة، فقد شهد اسماً أسهمت بشكل كبير فى حركة علم السيرة وتطوره، والتى شكلت بمجموعها واحداً وعشرين نقراً ومنهم محمد بن إسحاق شيخ كتاب السيرة النبوية.

ص: 284

وإذا رجعنا إلى عدد الذين كانوا من أصحاب أئمة العترة عليهم السلام أو من الذين رووا عنهم بين هذه الأسماء يتضح لنا ان عددهم أربعة عشر نفرًا، وهم:

1. شرحبيل بن سعيد بن سعد بن عباد، وقد أشار إلى معرفته لأمير المؤمنين علي عليه السلام ابن حجر - كما مرّ في ترجمته آنفًا -.

2. سليمان بن طرخان، وهو نار على علم في تشييعه وموالاته لأهل البيت عليهم السلام وجلالة قدرة ووثاقته عند أصحاب الصحاح والرجال.

3. السبيعي (عمرو بن عبدالله بن علي الهمداني) له كتاب في المغازي والفتوح وقد أفاد منه الواقدي إفادة كبيرة واستخدم مروياته استخداماً مباشراً. وقد نص على صحبته للإمام الحسن المجتبي عليه السلام (1) الشيخ الطوسي؛ وهو أحد رواة حديث الثقلين.

4. أبو الأسود (محمد بن عبدالرحمن) صنف كتاباً في المغازي وقد عدّه ابن حجر من رواة الإمام زين العابدين (علي بن الحسين عليهما السلام) (2).

5. عبدالله بن أبي بكر بن محمد المدني، من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام؛ نص على صحبته الشيخ الطوسي (3) وعدّه ابن حجر من رواة الإمام الباقر عليه السلام (4).

ص: 285

1- (1) رجال الطوسي: ص 96.

2- (2) تهذيب التهذيب، ابن حجر: ج 9، ص 273.

3- (3) رجال الطوسي: ص 230.

4- (4) التهذيب، ابن حجر: ج 5، ص 144.

6. القاسم بن محمد بن أبي بكر؛ نص على صحبته للإمامين علي بن الحسين ومحمد بن علي عليهم السلام الشيخ الطوسي (1).
7. ابن شهاب الزهري، وقد لزم في آخر أيامه الإمام علي بن الحسين عليه السلام كما مر بيانه سابقاً.
8. موسى بن عقبة، وقد صنف كتاباً في المغازي نال شهرة كبيرة. نص على صحبته للإمام الصادق عليه السلام الشيخ الطوسي (2).
9. محمد بن إسحاق (شيخ كتاب السيرة) من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام كما سيمر لاحقاً.
10. معمر بن راشد، وقد نص على صحبته للإمام الصادق عليه السلام الشيخ الطوسي (3). وهو أحد رواة حديث الغدير في القرن الثاني للهجرة (4).
11. الحنفي الإمامي، وهو من خواص أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، ومن فضلاء الإمامية ومحدثيهم (5).
12. أبو معشر السندي، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام (6).

ص: 286

-
- 1- (1) رجال الطوسي: ص 119.
 - 2- (2) المصدر السابق: ص 300.
 - 3- (3) رجال الطوسي: ص 307.
 - 4- (4) الغدير الأميني: ج 1، ص 75.
 - 5- (5) الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج 2، ص 216.
 - 6- (6) رجال الطوسي: ص 316.

13. الفزاري (إبراهيم بن محمد بن الحارث) عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الصادق عليه السلام(1).

14. يحيى بن سعيد الأموي. عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الصادق عليه السلام(2).

وإذا أضيف إليهم أعلام مدرسة النبوة وهم الإمام زين العابدين، والإمام الباقر، والإمام الصادق عليهم السلام فيكون المجموع سبعة عشر اسماً في مقابل سبعة أسماء من مدرسة الصحابة وهم:

1. داود بن الحسين.

2. يزيد بن رومان.

3. يعقوب بن عتبة.

4. عاصم.

5. الشعبي.

6. أبو إسماعيل الأزدي البصري.

7. أبو العباس الأموي.

وعليه:

يتضح من خلال البحث:

ص:287

1- (1) رجال الطوسي: ص 144. الفائق في رواة وأصحاب الإمام الصادق عليه السلام، الشبستري: ج 1، ص 60.

2- (2) معجم رجال الحديث، السيد الخوئي: ج 21، ص 57.

أولاً: أن الأسبقية والفضل في نشوء علم السيرة، وحركته، وتطوره، خلال القرن الثاني للهجرة تعود لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ولرجال الشيعة الذين لزموا هذه المدرسة.

ثانياً: إن زمام هذه الحركة قد انتقل على يد الإمام الباقر عليه السلام وتوجيهاته المستمرة إلى محمد بن إسحاق «شيخ كتاب السيرة» الذي حارب وهجر واضطهد على موالاته واعتقاده وتشيعه لأهل البيت كما سيمر بيانه لاحقاً.

ومن ثم اعتمدت هذه الحركة في علم المغازي والسير رواية وتصنيفاً على مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام فبلغ عدد أصحابه في رواية هذا العلم والتصنيف فيه سبعة نفر كلهم برزوا في النصف الثاني من القرن الثاني.

إذن: يبقى الفضل يدور مدار مدرسة أهل البيت عليهم السلام في نشأة علم المغازي والسير، فضلاً عن بقية العلوم الإسلامية الأخرى؛ وليس كما يدعيه بعض المستشرقين ومتزلفي السلاطين في تخلف الشيعة عن هذه العلوم أو أن الفضل في ظهورها عند المسلمين يعود للتوراة والإنجيل وحكام بني أمية.

وعليه:

تطلب هذا التطور الجديد في حركة علم السيرة النبوية أن نفرّد فصلاً خاصاً لشخصية ابن إسحاق ومنهجه في التأليف وأهمية كتابه المغازي والسير.

ص: 288

يمكن أن نستظهر من خلال الدراسات التاريخية التي كتبت - ولاسيما - عن ابن إسحاق: إنه رحمه الله ثمره الجهود التي بذلتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام في علم السيرة النبوية، وأنه عصارة المدرسة التاريخية التي نشأت في القرنين الأول والثاني للهجرة.

ولذلك حظى الرجل دون غيره باهتمام كبير من قبل الباحثين الشرقيين والغربيين، بل إننا لنجد أن الكتابات الغربية من قبل المستشرقين هي أكثر مما كتبه المسلمون عن هذه الشخصية، إن لم نبالغ بأنها لم تنل منهم اهتماما ملحوظا وهو الذي يعود له الفضل في حفظ السيرة النبوية في أول كتاب مستقل وممنهج.

يقول الدوري: (حين أتى إلى ابن إسحاق نحس بخطوط جديدة في التطور، ومن مظاهرها الواضحة وجود عنصر القصص الشعبي والاتجاه نحو المبالغة، ونحس بأننا انتقلنا إلى علماء هم مؤرخون أولا، ثم محدثون من الدرجة الثانية)⁽¹⁾.

ويعلق المستشرق هاملتون جب، على مغازي ابن إسحاق ب - (أنها كانت ثمرة تفكير أبعاد أفتيا وأوسع نطقا من تفكير سابقه ومعاصره لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم فحسب، بل تاريخ النبوة بذاتها، فوحدة الفكر التاريخي ظاهرة فيها)⁽²⁾.

ص: 291

1- (1) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص 24.

2- (2) التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 161 و 162.

ويقول زكار: (مهتما تكن أهمية أعمال أمثال الزهرى وموسى بن عقبة، فإن عمل ابن إسحاق يبقى الأساسى فيما يتصل بالسيرة وإلى حدّ ما بالتاريخ - وتكمنُ أهميته كمؤرخ في استيعابه لتجارب شيوخه، وفي تطويرها وإعادة تنظيمها من خلال فهمه الجديد للتاريخ، ومن خلال نظرتة الشاملة النابعة من ثقافته الواسعة وإدراكه للمغزى السياسى (للصورة التاريخية)، ومن هنا صار ابن إسحاق شيخ كُتّاب السيرة(1).

وأصبح كل: (من أراد أن يتبحر بالمغازى فهو عيال على محمد بن إسحاق)(2).

ويضاف إلى ذلك: أن كتاب ابن إسحاق يعتبر أول كتاب تناول موضوعات على نحو يشبه تاريخ العالم إلى جانب اهتمامه بحياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وغزواته، فقد أدخل أيضا ذكر أخبار عن خلق العالم، وعن الأنبياء السابقين(3).

وفي الحقيقة أن هذا النهج الذى انتهجه محمد بن إسحاق هو مما تعلمه فى مدرسة العترة النبوية، فقد قدمت بضعة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فى خطبتها الاحتجاجية بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عرضا للسنن التاريخية ثم بيانا لحركة النبوة فبدأت حينها من نقطة الخلق الأول؛ بل ذهبت إلى أبعد من هذه اللحظة الكونية، وهى علة بعثه صلى الله عليه وآله وسلم فقالت عليها السلام:

ص: 292

1- (1) سيرة ابن إسحاق، تحقيق سهيل زكار: ص 9 من المقدمة.

2- (2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 235. تاريخ دمشق لابن عساکر: ج 60، ص 117. تهذيب الكمال للمزى: ج 24، ص 413.

3- (3) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: مع 1، ج 2، ص 78.

«اجتباه قبل أن اجتبله إذ الخلائق بالغيب مكنونة ويستتر الأهاويل مصونة»⁽¹⁾.

وعليه: فلا بد لنا أن نقف بإجلال لهذا الرجل الذي حفظ لنا سيرة أعظم شخصية في الوجود صلى الله عليه وآله وسلم ناهيك عن ما تحمله هذه الشخصية من مقام شرعى وقدسى وإنسانى ارتبط به ثلث سكان العالم إذ يقول: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) صلى الله عليه وآله وسلم.

وهذا يحتم علينا أن نسير مع محمد بن إسحاق لتتعرف عليه، ونطلع على مكانته العلمية، ومنهجه في علم السيرة النبوية التي عرفت سابقا ب - (المغازى والسير).

وتتعرف أيضا على إنتاجه العلمى، وعلى الدراسات التاريخية التي اهتمت بشخصيته وكتاباتة، كما سنتعرف على عصره والشخصيات التي عاصرتة، وعلاقته بهذه الشخصيات.

وستتوقف كثيرا فى الأسباب التي أدت إلى تهجير ابن إسحاق من المدينة، المنورة ومحاربتة فكريا وإعلاميا وعمقانيا، ومنع نتاجه الفكرى.

وستتوقف أيضا مع رموز هذه الحرب التي شنت على ابن إسحاق، والدوافع التي دفعت بالبعض إلى مواصلة إعلان الحرب على هذا الرجل ومتابعة اضطهادة حتى بعد موته وإلى وقتنا الحاضر، والتي يبدو أنها ستستمر ما دام هناك أناس يحملون ثقافة الاضطهاد.

فهذه النقاط وغيرها سنتناولها فى هذا الفصل إن شاء الله تعالى.

ص: 293

1- (1) الاحتجاج للطبرسى: ج 1، ص 140.

إشارة

حاول البعض إثارة كثير من التساؤلات حول ابن إسحاق لأغراض متعددة، - سيمر بيانها - مما دعا أحد كتاب السيرة النبوية وهو ابن سيد الناس أن يضع مقدمة في أول كتابه⁽¹⁾ تضمنت جميع الآراء والتساؤلات التي دارت حول هذه الشخصية لأجل دفع هذه الآراء وبيان صحة ما يرويه ابن إسحاق في السير والمغازي لكونها الأصل الذي يعتمد عليه في السيرة النبوية. وقبل الحديث عما تعرضت له السيرة النبوية من هجمات أثناء حياة مصنفها ابن إسحاق؛ لابد من التعريف بهذه الشخصية، فمن هو ابن إسحاق.

المسألة الأولى: التعريف بشخصيته

إشارة

يختزن علم التاريخ الإسلامي وعلم الرجال صورتين لشخصية محمد بن إسحاق المدني، وهما:

الصورة الأولى

هذه الصورة رسمت ملامحها كلمات بعض الحفاظ في المدارس الإسلامية، وهي كالآتي:

هو: محمد بن إسحاق⁽²⁾ بن يسار بن خيار، وقيل: بن يسار بن كوتان

ص: 294.

1- (1) عيون الأثر لابن سيد الناس: ص 19-21، ط مؤسسة عز الدين.

2- (2) الطبقات الكبرى لابن سعد: 67/2/7، ط بيروت - لبنان، (لبن): ج 7، ص 321-322. المعارف لابن قتيبة: ص 247. الفهرست لابن النديم: ص 92. الإرشاد لياقوت: ج 6، ص 399-401، ط لندن، (القاهرة): ج 18، ص 5-8. تاريخ بغداد للخطيب: ج 1، ص 214-234.

المدني(1) المطلبى القرشى مولى قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف، وكان جده يسار من سبى عين التمر(2).

يكنى: أبو عبد الله(3)، وقيل: أبو بكر(4).

(ولد بالمدينة المنورة، ثم رحل إلى الاسكندرية سنة 115 هـ - 733 م، حيث حضر دروس يزيد بن أبي حبيب (المتوفى 128 هـ - 745 م) في علم الحديث، وعاد بعد سنوات إلى مسقط رأسه حيث التقى سنة 132 هـ - / 749 م، بالمحدث سفيان بن عيينة، واضطر بعد ذلك إلى أن يهاجر إلى بغداد(5).

وأقام فترة قصيرة في الجزيرة وفي الكوفة وفي الرى، ثم عاد سنة 146 هـ - / 763 م إلى بغداد، ويبدو أنه لم يكن على صلة بالأمويين، في حين كان أستاذه الزهري يطمئن إليهم، ولذا فلم يكن تحول الحكم إلى العباسيين السبب الأساسى فى انتقاله إلى بغداد.

ص:295

1- (1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 231.

2- (2) تهذيب الكمال للمزى: ج 24، ص 406.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) تذكرة الحفاظ للذهبي: ج 1، ص 173.

5- (5) تاريخ التراث العربى لفؤاد سزكين: مج 1، ج 2، ص 88، نقلا عن هورفتس (Horovitz, Isl. Cult. 2/1928/171-173).

وتوفى في بغداد سنة 150 هـ - / 767 م، أو 151 هـ - (1)، ودفن بمقبرة الخيزران في الجانب الشرقي منها(2).

الصورة الثانية

وردت الصورة الثانية لملاحح شخصية محمد بن إسحاق رحمه الله في كتب مدرسة العترة الطاهرة - عليهم السلام - وقد رسمت ملامحها كلمات بعض أعلامها - وإن كانت هذه الكلمات قليلة - إلا أنها كافية في بيان هذه الشخصية.

فقد عدّه الشيخ الطوسي قدس سره(3) من أصحاب الإمامين أبي جعفر الباقر(4) وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام(5).

وذكر أيضا: أن والده (إسحاق بن يسار) كان من أصحاب الإمام أبي الحسن على زين العابدين عليه السلام(6).

ص: 296

1- (1) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 88.

2- (2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 231.

3- (3) محمد بن الحسن بن علي الطوسي، أبو جعفر، شيخ الإمامية قدس سره، رئيس الطائفة، جليل القدر، عظيم المنزلة، ثقة عين، صدوق، عارف بالأخبار والرجال والفقهاء والأصول والكلام والأدب، وجميع الفضائل منتسب إليه. مصنف في كل فنون الإسلام، وهو المهذب للعقائد في الأصول والفروع، والجامع لكلمات النفس في العلم والعمل، وكان تلميذ الشيخ المفيد محمد بن النعمان رضي الله عنه. ولد رضي الله عنه في شهر رمضان سنة خمس وثمانين وثلاثمائة وقدم العراق في شهور سنة ثمان وأربعمائة، وتوفى رضي الله عنه ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة ستين وأربعمائة بالمشهد المقدس الغروي على ساكنه السلام ودفن بداره. (خلاصة الأقوال للعلامة الحلي: ص 249، ط مؤسسة نشر الفقاهة).

4- (4) تاريخ بغداد للخطيب: ج 1، ص 230.

5- (5) رجال الطوسي: ص 277، برقم 3998، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.

6- (6) رجال الطوسي: ص 109، برقم 1065، ط مؤسسة النشر الإسلامي، قم - إيران.

وأورد السيد أبو القاسم الخوئي قدس سره في معجمه نقلا عن الكشي: (إنّ محمد بن إسحاق له محبة وميل شديد)⁽¹⁾ - إلى العترة الطاهرة عليهم السلام.

وأشار قدس سره: (إلى أن الكليني رحمه الله روى عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن محمد بن إسحاق المدني، عن أبي جعفر عليه السلام)⁽²⁾، حديثا في الروضة من الكافي؛ ولم يورده السيد قدس سره لطوله.

فضلا عن ذلك فقد روى عنه مجموعة من محدثي الإمامية وهم:

ألف. الشيخ الصدوق رحمه الله⁽³⁾ (توفي سنة 381 هـ -)⁽⁴⁾.

باء. الشيخ المفيد رحمه الله⁽⁵⁾ (توفي سنة 413 هـ -)⁽⁶⁾.

ص: 297

1- (1) معجم الرجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 16، ص 81-82.

2- (2) روضة الكافي: ج 8، ص 95.

3- (3) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي رحمه الله المشتهر لغاية ورعه وصدقه ب - (الصدوق). وعن الفهرست: (أنه جليل القدر، بصير بالفقه والأخبار والرجال). وعن الخلاصة: (كان جليلا حافظا للأحاديث بصيرا بالرجال ناقدا للأخبار لم يرفى القميين مثله في حفظه وكثرة علمه له نحو من ثلاثمائة مصنف). راجع توضيح المقال للملا علي كني: ص 301. الفهرست للطوسي: ص 114 برقم 504. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 17، ص 344، برقم 11319.

4- (4) الأمل: الباب الثاني عشر في خبر عبد المطلب. علل الشرائع: الباب 159، ج 2، ص 421.

5- (5) أبو عبد الله محمد بن محمد النعمان الحارثي البغدادي العكبري ولد سنة (338 هـ -)، توفي لليلتين خلنا من شهر رمضان سنة (413 هـ -) وقرأ على أبي جعفر بن قولويه وعلى أبي القاسم الرقاء وعلى أبي الجيش البلخي ولقبه بالشيخ المفيد صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف. له قريب من مائتي مصنف، منها رسالة المقنعة، الأركان في الفقه، الإيضاح في الإمامة، أحكام أهل الجمل، المسائل الصاغانية، المسائل السروية، الإرشاد، أوائل المقالات، وغيرها. راجع معالم العلماء لابن شهر: ص 148.

6- (6) الأمل: المجلس التاسع والعشرون، ص 246.

جيم. الشيخ الطوسي رحمه الله (توفي سنة 460 هـ - (1) وغيرهم.

ويبدو لي أن ما ذكرته من بيان لهذه الشخصية التي وردت ملامح صورتها في مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لتفي بالغرض في معرفة شخصية ابن إسحاق والبيت الذي نشأ فيه، فقد نشأ على الموالاتة للعترة النبوية الطاهرة عليهم السلام.

ويبدو أن هذا الأمر هو السبب المباشر في معاداة البعض لابن إسحاق واضطهاده والتشهير به ومن ثم محاولة إسقاط الثقة عنه حياً وميتاً؛ مما يؤدي إلى نفس الغرض الذي سعى إليه سليمان بن عبد الملك وأبوه بحرق سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما سيمر بيانه.

المسألة الثانية: مكانته العلمية، أساتذته، أقوال العلماء فيه، تلامذته، المحدثون عنه، رواته

إشارة

يمكن للباحث أن يتعرف على مكانة محمد بن إسحاق العلمية من خلال خمسة أمور.

الأمر الأول: أساتذته

لمحمد بن إسحاق أساتذة عديدون منهم في العلوم الشرعية، ومنهم في علم المغازي والسير، أما الذين في العلوم الشرعية فهم أئمة العترة الطاهرة عليهم السلام، فقد صحب كلاً من الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، والإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام.

ص: 298

وأما أساتذته في علم المغازي والسير ففضلا عن الإمامين الصادقين عليهما السلام فقد عدّ ابن الشهاب الزهري من أبرز مشايخه، ويمكن لنا أن نعد الرجال الذين روى عنهم ابن إسحاق من ضمن أساتذته، هم:

(القياسم بن محمد بن أبي بكر، وأبان بن عثمان بن عفان، أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف، وعبد الرحمن بن هرمز الأعرج، ونافعا مولى عبد الله بن عمر)(1)، وغيرهم(2).

وقد أشار الحافظ المزي إلى بعض شيوخه أيضا وهم: (يحيى بن سعيد الأنصاري، يزيد بن أبي حبيب المصري)(3).

الأمر الثاني: المحدثون عنه

ألف. العلماء الذين حدّثوا عنه

قال الخطيب البغدادي: حدث عنه أئمة العلماء، منهم:

(يحيى بن سعيد الأنصاري، وسفيان بن سعيد الثوري، وابن جريح، وشعبة بن الحجاج، وجريير بن حازم، والحمادان، ابن سلمة، وابن زيد، وإبراهيم بن سعد الزهري، وشريك بن عبد الله النخعي، وسفيان بن عيينه، ومن بعدهم)(4).

وذكر الحافظ المزي في التهذيب: الرواة عنه، وهم:

ص: 299

1- (1) تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 413.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) تهذيب الكمال: ج 24، ص 411.

4- (4) تاريخ بغداد للخطيب: ج 1، ص 231.

(إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، أحمد بن خالد الوهبي، حفص بن غياث، جرير بن عبد الحميد، زهير بن معاوية الجعفي، زياد بن عبد الله البكائي، سعدان بن يحيى اللخمي، سعيد بن بزيع، وسفيان الثوري، وسفيان بن عينية، وسلمة بن الفضل الرازي، وأبو خالد سليمان بن حيان الأحمر، شريك بن عبد الله، شعبة بن الحجاج، عبد الله بن إدريس، عبد الله بن سعيد بن أبي هند وعبد الله بن عون، عبد الله بن نمير، عبد الله بن يزيد بن الصلت الشامي، عبد الأعلى بن عبد الأعلى، وأبو شهاب عبد ربه بن نافع الخياط، وأبو زهير عبد الرحمن بن مغراء، عبد العزيز بن محمد الدراوردي، وعبد بن سليمان الكلابي، ومحمد بن سلمة الحراني، ومحمد بن عبيد الطنافسي، ومحمد بن أبي عدي، ومحمد بن فضيل، ومحمد بن يزيد الواسطي ومندل بن علي، وموسى بن أعين(1)).

باء. العلماء الذين كاتبوه

وهم:

(هارون بن أبي عيسى، وهارون بن موسى النحوي، وهيثم بن بشير، وأبو عوانة الوضاح بن عبد الله، ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، ويحيى بن سعيد الأنصاري، ويحيى بن سعيد الأموي، ويحيى بن محمد بن عباد بن هاني الشجري، وأبو تميلة يحيى بن واضح، وأبو المحياه يحيى بن يعلى التيمي، ويزيد بن أبي حبيب المصري، ويزيد بن زريع، ويزيد بن هارون، ويعلى بن عبيد الطنافسي، ويونس بن بكير الشيباني(2)).

ص:300

1- (1) تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 410.

2- (2) تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 410-411.

1 - قال ابن شهاب الزهري: (لا يزال في المدينة علم جم ما كان فيهم محمد بن إسحاق)(1).

2 - وسئل ابن شهاب الزهري، عن مغازيه، فقال: (من أراد المغازي فعليه بابن إسحاق)(2).

3 - قال الخطيب البغدادي، قال الشيخ أبو بكر: «لم أر في جملة المحمديين الذين كانوا في مدينة السلام من أهلها والواردين إليها أكبر سنا وأعلى إسنادا وأقدم موتا منه، ولهذه الأسباب المجتمعة فيه افتتحت كتابي بتسميته(3).

4 - قال يحيى بن معين (كان ثقة، وكان حسن الحديث)(4).

5 - قال المدايني: (علم السنة عند اثني عشر أحدهم ابن إسحاق)(5).

6 - قال الشافعي - إمام المذهب -: (من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق)(6).

7 - قال عاصم بن عمر بن قتادة: (لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق)(7).

ص: 301

1- (1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 231.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) المصدر السابق.

4- (4) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 234.

5- (5) المصدر السابق.

6- (6) تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 413. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 5، ص 409.

7- (7) تاريخ أسماء الثقات لابن شاهين: ص 199. تاريخ ابن معين: ج 1، ص 157.

8 - عن هارون بن معروف قال: سمعت أبا معاوية يقول: (كان ابن إسحاق من أحفظ الناس، وكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق، وقال: أحفظها علي فان نسيتهما كنت قد حفظتها علي)(1).

9 - عن عبد الله بن فايد قال: (كنا إذا جلسنا إلى محمد بن إسحاق فأخذ في فن من العلم، قضى مجلسه في ذلك الفن)(2).

10 - قال أبو زرعة: (ومحمد بن إسحاق رجل قد أجمع الكبراء من أهل العلم على الأخذ عنه، منهم سفيان، وشعبة وابن عيينة - وغيرهم - وقد اختبره أهل الحديث فرأوا صدقاً وخيراً، مع مدح ابن شهاب له)(3).

11 - قال إسحاق بن أحمد بن خلف البخارى الحافظ، قال: (سمعت محمد بن إسماعيل يقول: محمد بن إسحاق ينبغي أن يكون له ألف حديث ينفرد بها، لا يشاركه فيها أحد)(4).

12 - قال سفيان بن عيينة: (ما رأيت أحداً يتهم محمد بن إسحاق)(5).

13 - أبو سعيد الجعفي قال: كان محمد بن إدريس - الشافعي - (كان معجبا بابن إسحاق، كثير الذكر له، ينسبه إلى العلم والمعرفة والحفظ)(6).

ص: 302

1- (1) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 17. تاريخ الإسلام للذهبي: ج 9 ص 590.

2- (2) تاريخ بغداد للبغدادي: ج 1، ص 236. تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 413.

3- (3) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 42.

4- (4) تاريخ بغداد للبغدادي: ج 1، ص 242.

5- (5) نصب الراية للزبلي: ج 6، ص 551.

6- (6) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 17.

14 - يزيد بن هارون عن شعبة، قال: (لو سود أحد في الحديث، لسود محمد بن إسحاق - أي كان سيد رواة الحديث-) (1).

15 - عن أبي كثير العنبري يقول: سمعت شعبة يقول: (محمد بن إسحاق أمير المؤمنين في الحديث) (2).

وفي لفظ آخر يرويه يونس بن بكير عن شعبة، أنه قال: (محمد بن إسحاق أمير المحدثين، فليل له: لم؟ فقال: لحفظه) (3).

16 - سنن علي المدائني عن محمد بن إسحاق، فليل له: كيف حديث محمد بن إسحاق عندك، صحيح؟

فقال: نعم حديثه عندي صحيح (4).

17 - قال عبد الله بن صالح العجلي قال: (حدثني أبي: محمد بن إسحاق مدني ثقة) (5).

18 - قال يحيى بن معين: (ابن إسحاق ثبت في الحديث) (6)، وقد سنن عن صدق ابن إسحاق، فليل له: (هل في نفسك من صدقه شيء؟ قال: لا، هو صدوق) (7).

ص: 303

1-1) تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 425.

2-2) المحلي لابن حزم: ج 3، ص 241. نصب الراية للزيلعي: ج 1، ص 17.

3-3) التاريخ الكبير للبخاري: ج 1، ص 40. تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 417.

4-4) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 44.

5-5) معرفة الثقات للعجلي: ص 233.

6-6) تاريخ بغداد للبغدادي: ج 1، ص 246.

7-7) المصدر السابق.

19 - ترجم له الحافظ الذهبي (1) بقوله له: (وكان - ابن إسحاق - أحد أوعية العلم، حبرا في معرفة المغازي والسير، وليس بذاك المتقن فانحط حديثه عن رتبة الصحة، وهو صدوق في نفسه مرضي) (2).

وقال أيضا: (هو أول من دَوّن العلم في المدينة، وذلك قبل مالك وذويه، وكان في العلم بحرا عجابا ولكنه ليس بالموجود كما ينبغي) (3).

20 - وقال الحافظ اليافعي (4) فيه: (كان بحرا من بحور العلم، ذكيا حافظا طلبةً للعلم إخباريا نسابة، ثبتا في الحديث عند أكثر العلماء، وأما في المغازي والسير فلا تجهل إمامته؛ وحكى عن يحيى بن معين وأحمد بن حنبل ويحيى بن سعيد القطان أنهم وثقوا محمد بن إسحاق واحتجوا بحديثه) (5).

ص: 304

1- (1) محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز بن عبد الله التركماني الأصل، الفارقي، ثم الدمشقي، الذهبي، الشافعي (أبو عبد الله شمس الدين) محدث، مؤرخ، ولد بدمشق في ربيع الأول، وسمع بها وبحلب وبنابلس وبمكة وسمع منه خلق كثير، وتوفي بدمشق في 3 ذي القعدة، ودفن بمقبرة الباب الصغير، من تصانيفه الكثيرة: تاريخ الإسلام، ميزان الاعتدال، طبقات الحفاظ، تجريد الأصول. معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة: ج 8، ص 289، ط مكتبة المشي، بيروت - لبنان.

2- (2) تذكرة الحفاظ: ج 1، ص 173، ط دار إحياء التراث العربي.

3- (3) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 33.

4- (4) عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي، عفيف الدين، مؤرخ، باحث، متصوف، من شافعية اليمن، نسبته من يافع على حمير ومولده ومنشأه في عدن، توفي في مكة سنة (768 هـ -)، من كتبه مرآة الجنان، نشر المحاسن الغالية، الدر النظيم في خواص القرآن العظيم، روض الرياحين. الأعلام للزركلي: ج 4، ص 72، ط دار العلم للملايين.

5- (5) خلاصة عبقات الأنوار: ج 1، ص 50، ط مؤسسة البعثة.

21 - ابن سيد الناس(1) ترجم له بقوله: (وعمدتنا فيما نورد من ذلك على محمد بن إسحاق؛ إذ هو العمدة في هذا الباب لنا ولغيرنا، حدث عنه أئمة العلماء(2)).

وهذه الأقوال تكشف عن مكانة ابن إسحاق العلمية في المجتمع المدني الذي نشأ فيه؛ وتكشف أيضا عن إمامته في رواية السيرة النبوية المطهرة؛ وإنَّ كلَّ من جاء بعده بالحديث عن السيرة فهو لا يستطيع أن يتعداه.

مما يدل على أن الذين تصدوا لابن إسحاق في حياته وبعد مماته، إنما يتصدون في الواقع إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

راجين في ذلك تحقيق ما لم يستطع سليمان بن عبد الملك تحقيقه حينما حرق السيرة النبوية.

الأمر الرابع: آثاره العلمية ونتاجه المعرفي

تتبع سزكين(3) مؤلفات ابن إسحاق وجمعها في تاريخه فكانت:

1 - (كتاب المغازي)

وينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: المبتدأ، والمبعث، والمغازي.

ص: 305

1- (1) فتح الدين، أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الشافعي، الحافظ اليعمرى الأندلسي الأشبيلي المصري المعروف ابن سيد الناس. ولد سنة (671 هـ -) سمع الكثير من

الجم الغفير، وتفقّه على مذهب الشافعي، وأخذ علم الحديث عن والده وابن دقيق العبد، وولى دار الحديث بجام الصالح، وخطب بجام الخندق، وصنف كتباً كثيرة. شذرات الذهب لابن العماد: ج 6، ص 108.

2- (2) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 15.

3- (3) تاريخ التراث العربي لفؤاد سزكين: ج 1، ص 15.

وهناك قسم كبير من هذا الكتاب وصل إلينا برواية يونس بن بكير بن واصل السَّيباني (المتوفى سنة 199 هـ - / 815 م) (1).

ويوجد مخطوطا في: القرويين بفاس 202 (الأقسام 2 و 3 و 4 و 5 ونحو 150 ورقة في القرن الخامس للهجرة).

وتوجد منه نسخة حديثة في الرباط 1712، كما توجد قطعة أخرى منه في الظاهرية، مجموع 110 (الأوراق من 158-174، انظر: العث ص 42، حيث ذكر الراوى عبد الله بن محمد الحرّاني مؤلفا له).

وهناك قطعة قديمة منه حول الله وخلق العالم توجد في فينا ضمن مجموعة: (Erzherzog-Rainer: Sammlung) رقم 734.

وقد تكون هذه القطعة من كتاب المبتدأ الذي حققته نبيهة عبود في دراساتها عن البرديات العربية:

(A. Dietrich, Islam 34/202). Nabia Abott, Studies in Ar.Lit. Pap) انظر: ما كتبه ديتريش:

وأملنا أن يتاح إعادة تكوين هذا الكتاب، اعتمادا على القطع الباقية منه في المصادر المختلفة ولاسيما في تفسير الطبري، وتاريخ الطبري، والأغانى، وكتاب بكر وتغلب لمؤلف مجهول: المتحف البريطاني مخطوطات شرقية 6499 (178 ورقة، في القرن الثامن للهجرة).

وقد هدّب ابن هشام هذا الكتاب بعد أن أخذ إجازة روايته من زياد بن عبد الله البكائي (المتوفى سنة 183 هـ - / 799 م).

ص:306

1- (1) التهذيب لابن حجر: ج 11، ص 434. مرآة الجنان للباغى: ج 1، ص 460.

وقد حذف ابن هشام في تهذيبه لهذا الكتاب نصوصا كانت في (المبتدأ) بصفة خاصة تتناول سير الأنبياء الآخرين، كما حذف النصوص الخاصة بالحوادث التي لا تتصل بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أو التي لم يأت لها ذكر في القرآن الكريم، أما المواضيع التي اختصرها؛ وغالبا ما كانت مرتبطة بالشعر، فقد أضاف إليها عدداً من الملاحظات(1).

2- (تاريخ الخلفاء)

ذكر ابن النديم في الفهرست: ص 92، وياقوت في إرشاد الأريب: ج 6، ص 401، مقتبساً منه وهناك قطعة قديمة منه من القرن الثاني للهجرة نشرتها نبيهة عبود في دراساتها في البرديات العربية:

(Nabia Abott, Studies in Ar.Lit. Papyri, Chicago, 1957, S. 80 - 81)

ثم أعاد نشرها عبد العزيز الدوري(2)، وتتاول هذه القطعة مقتل عمر بن الخطاب واجتماع لجنة الانتخاب، ويضم النص أشياء جديدة، ولو عدنا هذه الورقة نموذجاً للكتاب كله، فإن هذا النص يدعم الفرض القائل بأن هذا التاريخ ألف ليكون نصاً موجزاً مختصراً دقيقاً موضوعياً(3).

3- (كتاب الفتوح)

ومن المرجح أن ابن إسحاق ألف كذلك كتاباً بعنوان (كتاب الفتوح) كان

ص: 307

1- (1) انظر حول تلك المقتبسات عنه في الكتب التالية المقال السابق بقلم هوروفتس.

2- (2) انظر علم التاريخ: ص 182-183.

3- (3) انظر ما كتبه ديتريش: (Dietrich, Islam 34/1959/203)، وهناك قطع أخرى من الكتاب وصلت إلينا عند الطبرى. جواد على في مجلة المجمع العلمي العربي: ج 1، ص 1950.206.

المصدر الأساسي للكتب التالية للواقدي: (فتوح مصر) و (أرض ريعة) و (الفهرس)(1).

4 - (أخبار كليب وجساس)

توجد منه نسخة مخطوطة في مكتبة آل سيّد عيسى العطار ببغداد(2).

5 - (كتاب حُرَاب (حرب؟) البسوس بين بكر وتغلب ابْنُ وائل بن قاسط)(3).

ملاحظات عن كتب منسوبة لمحمد بن إسحاق

ألف - ينسب لابن إسحاق مخطوط في باريس 4868 و 5833 (من 107-192، انظر فائدا Vajada)، عنوانه: كتاب سير العرب الأربع، ولا تزال هذه النسبة في حاجة إلى إثبات.

باء - كما ينسب إليه أيضا (حديث الإسراء والمعراج) في مكتبة طلعت بالقاهرة 293، (الأوراق من 38-65، سنة 1309 هـ -)، وترجع مادته إلى عبد الله بن عباس.

جيم - وهناك مخطوط مجهول المؤلف بعنوان: (أخبار صفيين في اصح الرواية وأتمها رواية محمد بن إسحاق وعمر بن سعيد وغيرهما من العلماء المحققين)، يوجد في برلين Qu 2040 (توينجن حاليا)(4).

ص:308

1- (1) فتوح مصر في: ايا صوفيه سنة 1389، (من 12 ب - 13 أ).

2- (2) الذريعة: ج 1، ص 329.

3- (3) الذريعة: ج 1، ص 329 - ج 6، ص 392. مسكوه بطهران: ج 9، ص 776، برقم 2134 (من 122 ب - 202 ب سنة 1279 هـ -).

4- (4) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 89-91.

ذكرنا سابقاً أسماء الرواة الذين حدثوا عن محمد بن إسحاق والذين توزعت فيما بينهم علوم ابن إسحاق وتعدّد معارفه، واختص ثلاثة منهم في نقل كتابه السير والمغازي إلى العالم العربي والإسلامي والمهتمين بالتاريخ، وهم كالتالي:

1 - زياد بن عبد الله البكائي (المتوفى سنة 183 هـ - 799 م).

2 - محمد بن سلمة الحرّاني (المتوفى سنة 191 هـ - 807 م).

3 - يونس بن بكير (المتوفى سنة 199 هـ - 814 م).

وتعود سيرة ابن إسحاق التي بين أيدينا إلى رواية زياد بن عبد الله البكائي.

وقد ذهب البعض إلى أن هؤلاء الرواة يعودون إلى مجتمعات مختلفة؛ إذ يعود البكائي إلى المجتمع المدني، ويعود الحرّاني إلى المجتمع الكوفي، ويعود ابن بكير إلى المجتمع البغدادي، وقد أفضت هذه المجتمعات بأجوائها الفكرية والسياسية على النسخ الثلاث لسيرة ابن إسحاق برواياتها أولئك (1).

وقد ترجم الحافظ الذهبي لعبد الله بن زياد البكائي بقوله: (الشيخ الحافظ أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري البكائي الكوفي، راوى السيرة النبوية عن ابن إسحاق).

حدّث عن: حصين بن عبد الرحمن، وعبد الملك بن عمير، وعطاء بن السائب، ومنصور بن المعتمر، وعاصم الأحول، وسليمان الأعمش، وعدة.

ص: 309

1- (1) سهيل زكار في تحقيقه لسيرة ابن إسحاق: ص 13 من المقدمة.

وحدّث عنه: هشام بن عبد الملك النحوي، وأحمد بن حنبل، وعمرو بن علي الفلاس، وزباد بن أيوب، والحسن بن عرفة، وزكريا بن حمويه.

قال أحمد وغيره ليس به بأس.

وقال عبد الله بن إدريس: (ما أحد في ابن إسحاق أثبت من زياد البكائي لأنه أملى عليه مرتين)(1).

وقد أخرج له البخاري في كتاب الجهاد عن عمرو بن زرارة(2).

وروي أن السبب في ثبوت ما يرويه البكائي عن ابن إسحاق هو: (أنه باع داره وخرج يدور مع ابن إسحاق حتى سمع منه الكتاب)(3).

أما محمد بن سلمة الحراني:

فقد ترجم له الرازي بقوله: (أبو عبد الله مولى بني باهلة روى عن هشام بن حسان وخصيف ومحمد بن إسحاق وخاله أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد روى عنه ابن نفيل وأحمد بن أبي شعيب وهارون بن معروف وغيرهم.

وقال فيه أحمد بن حنبل: (شيخ صدوق)(4) ، وهو ثقة عنده(5).

وقد وثقه ابن حبان(6).

ص: 310

1- (1) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 9، ص 5. تاريخ الإسلام للذهبي: ج 12، ص 163.

2- (2) التعديل والتجريح: لسليمان بن خلف الباجي: ج 2، ص 618.

3- (3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 8، ص 478.

4- (4) الجرح والتعديل للرازي: ج 7، ص 276.

5- (5) بحر الدم لابن المبرد: ص 137.

6- (6) الثقات لابن حبان: ج 9، ص 40.

وقال عنه ابن سعد:

(ثقة عالم له فضل ورواية، وفتوى)(1).

وعده الذهبي من الرجال الذين أخرج لهم أصحاب الصحاح الستة(2).

وأما يونس بن بكير الشيباني الكوفي:

فقد ترجم له الذهبي، وابن حجر، والمزي، وغيرهم، فقالوا: (يونس بن بكير بن واصل الحافظ العالم المؤرخ أبو بكر الشيباني الكوفي الجمال صاحب المغازي.

حدث عن الأعمش وهشام بن عروة، وعمر بن ذر وابن إسحاق، وكهمس بن الخلق.

روى عنه ابنه عبد الله وأبو كريب ويحيى بن معين، وابن نمير، وأبو سعيد الأشج، ومحمد بن عثمان بن كرامة وغيرهم.

وقال يحيى بن معين: كان صدوقاً؛ وقال أبو حاتم: محله الصدق.

وسئل عنه أبو زرعة: أي شيء ينكر عليه؟، فقال: أما في الحديث فلا أعلمه.

روى له مسلم في صحيحه وقد استشهد به البخاري(3).

ص: 311

1- (1) الكاشف للذهبي: ج 2، ص 175.

2- (2) الوافي بالوفيات للصفدي: ج 3، ص 102.

3- (3) تذكرة الحفاظ: ج 1، ص 326. الجرح والتعديل للرازي: ج 9، ص 236. تهذيب الكمال للمزي: ج 32، ص 479. ميزان الاعتدال للذهبي: ج 4، ص 477. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 11، ص 383.

إشارة

لعل البعض من الباحثين أو القراء يستغرب من أن عدد الدراسات والبحوث التي كتبت من المتخصصين في علم التاريخ في محمد بن إسحاق، ولاسيما كتابه المغازي والسير، هي أكثر بكثير من الدراسات التي أعدها العرب بشكل خاص والمسلمون بشكل عام.

ولعل كتابنا هذا - والله العالم - هو الدراسة الأولى من بين الدراسات التاريخية العربية الإسلامية عن شخصية محمد بن إسحاق رحمه الله.

أولاً: الدراسات التي كتبت في شخصية ابن إسحاق رحمه الله

(1)

ألف - كتب عنه هوروفتس في دراسته عن المغازي الأولى ومؤلفيها:

(J. Horovitz, The Earliest Biographies of the Prophet and their Authors. In: Isl. Cult. 2/1928/169 - 182)

باء - كتب عنه جيوم في دراسته عن سيرة الرسول في البحوث الحديثة:

(.A. Guillaume, The Biogtaphy of the Prophet in Research. In: The Islamic Quarterly 1/1954/5 - 11)

جيم - كتب روبسون عن إفادة ابن إسحاق من الإسناد:

(J. Robson, Ibn Oshaq's Use of The Isnad. In: Bull. Of the J. Ryland's Libraru, Manchester 38/1956/449 - 465)

ص:312

1- (1) تاريخ التراث العربي: مج 1، ج 2، ص 88 و 89. المغازي والسير لابن إسحاق تحقيق سهيل زكار: ص 10 (هامش المقدمة).

دال - كتب جونز عن ابن إسحاق والواقدي في موضوع حلم عاتكة ويوم نخلة وقضية السرقة الأدبية:

(J. M. B. Jones, Ibn Ishaq and al-Waqidi: The Dream of Atika and the Raid to Nakala in Relation to the Charge of Plagiarism. In: BSOAS 22/1959/41 - 51)

هاء - كتب وات عن المواد التي أفاد منها ابن إسحاق:

(.W. M. Watt, The Materials used by Ibn Ishaq. In: Historians of the Middle East, London 1962)

ثانيا: الدراسات التي كتبت عن كتاب المغازي لابن إسحاق

(1)

ألف - حول روايات الكتاب، أنظر ما كتبه يوهان فك في دراسته لمحمد بن إسحاق (J. Fuck, M. Ibn Ishaq, Frankfurt/M. 1925,s.34)

باء - وكتب جيوم عن نسخة الأناجيل المتداولة في المدينة

(.A. Guillaume, The Version Of The Gospels usea in Medina circa 700 A.D. In: Andalus 15/1950/289 - 290)

وقد درس جيوم في البحث المذكور نصا مقتبسا من إنجيل يوحنا (1/16-23/15) يوجد في السيرة لابن إسحاق مأخوذا عن الصياغة السريانية الفلسطينية، وهذه الفكرة سبق أن ذكرها شفالي (F. Schwally) في القسم الذي كتبه من الطبعة الثانية لتاريخ القرآن لنؤكد له:

(.T. Noldeke: Geschichte des Koran, 2. Ausg)

ص: 313

1- (1) المصدر السابق.

وأشار شاخت على ذلك في بحث عن نص من إنجيل يوحنا مقتبس في السيرة لابن إسحاق؛

(J. Schacht, Une Citation de l'Évangile de St. Jean dans la Sira de Ibn Ishaq. In: Andalus: 16/1951/489 – 490)

وكتب جيوم ملاحظة أخرى عن السيرة لابن إسحاق:

(.A. Guillaume, A Note on the Sira of Ibn Ishaq, in: BSOAS 18/1956/1 – 4)

ذكر جيوم هنا قطعة من دلائل النبوة لأبي نعيم: ج 1، ص 612-617.

A. Guillaume, The Life of – Mohammed, a Translation of Ishaq's Sirat Rasul Allah, with Introduction and (جيم - وكتب جيوم أيضا كتابا في سيرة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، عنوانه:)
(.Notes, London 1955)

وهذا الكتاب ترجمة لسيرة رسول الله لابن إسحاق مع مقدمة وملاحظات، وانظر في ذلك أيضا ما كتبه عنه بلاشى:

(.R. Blachere, in: Arabica 5/1958/295 – 296)

دال - وكتب وليد عرفات عن بعض جوانب من فن صناعة الشعر في السيرة: (.W. Arafat, Some Aspects of the Art of the forger in the Poetry of the Sira, 24. Inter. Congr. Or. 1957, 310 – 311)

هاء - ولوليد عرفات أيضا بحث عن النقاد المبكرين لأصالة الشعر الموجود في السيرة: (.W. Arafat, Early Critics of the Authenticity of the Poetry of the Sira, in: BSOAS 21/1958/453 – 463)

ص: 314

اعتمد محمد بن إسحاق في تطور علم المغازي على منهج خاص تميز به عن سبقة بميزات عدة.

أولاً: طريقة إعداد البحث

يمكن أن نستدل من خلال بعض النصوص على اتخاذ محمد بن إسحاق طريقة علمية في كتابة المغازي، وهي أقرب ما تكون اليوم إلى الطرق الحديثة في إعداد البحوث وكتابتها.

فقد اعتمد ابن إسحاق على منهج إعداد البطاقات المدون عليها النصوص، فقد ذكر ولده هذه الطريقة قائلاً: (كان أبي يتبع حديثه ويكتبه كثيراً بالعلو والنزول، ويخرجه في المسند، وما رأيت أنه أنقى حديثه قط)⁽¹⁾.

وهذا يدل على إرجاع كل حديث إلى مصدره مع تدوين سنده صعوداً ونزولاً، مع حفظ هذه الأحاديث وترتيبها، وهي نفس الطريقة التي يتبعها الباحث في تدوين معلوماته على البطاقة الواحدة، ثم يقوم بوضع خطة البحث وترتيب المادة.

ثانياً: تتبعه للكتب التي عند الناس

وقد اعتمد ابن إسحاق أيضاً على الكتب المدونة أيضاً وكان يبحث عنها وهذا يكشف عن وعيه وتميزه في توثيق علومه.

قال الخطيب البغدادي: (كان - ابن إسحاق - رجلاً يشتغل بالحديث فيأخذ كتب الناس فيضعها في كتبه)⁽²⁾.

ص: 315

1- (1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 245. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 19.

2- (2) المصدر السابق.

ثالثاً: جمعه بين أساليب المحدثين والإخباريين

ذهب ابن إسحاق أبعد من حدود مدرسة المدينة، سواء أكان ذلك في نظراته التاريخية أم في أسلوبه، فقد جمع بين أساليب المحدثين والقصاص في كتاباته، واستفاد من نواحي الاهتمام المختلفة بالمغازي وتواريخ الأنبياء، فجمع بين الأحاديث والروايات التاريخية والإسرائيليات والقصاص الشعبي مع كثير من الشعر الصحيح والموضوع.

ولذا: فإن مصادر معلوماته تكون خليطاً يجلب الانتباه⁽¹⁾.

رابعاً: توسيع دائرة مصادره من الكتب السريانية

لم يكتف محمد بن إسحاق بالمصادر المكتوبة باللغة العربية، وإنما وسع دائرة هذه المصادر، ونوّع في معلوماته لتشمل الفكر الغربي، وفي الواقع أن هذا النهج يكشف عن وعيه المميز، كما يدل على أسلوبه العلمي في كتابة السير والمغازي.

ويبدو أن اختياره مصر حينما حورب في المدينة، ونفى، وهجر عنها كان القصد منه هو الاطلاع على التراث العلمي الذي جمعته أرض الكنانة من الكتابات السريانية والمعارف اليونانية والرومية.

«وقد ساعده على ذلك معرفته باللغة السريانية، التي إما توارثها من أسرته التي استوطنت غرب العراق في عين التمر، وإما تعلمها أثناء وجوده في مصر، وأرى أن هذا هو الأرجح لما يتمتع به ابن إسحاق من قوة حافظة ووعي مميز ومنهج علمي موسع، ناهيك عن أن غرب العراق لم يشهد ظهوراً ملموساً للغة السريانية⁽²⁾».

ص: 316

1- (1) نشأة علم التاريخ لعبد العزيز الدوري: ص 25.

2- (2) سيرة ابن إسحاق تحقيق سهيل زركار: ص 11 (المقدمة).

هذا النهج الذي اعتمده ابن إسحاق في كتابة السير والمغازي (يعد ثمرة تفكير أبعاد أفتيا وأوسع نطاقا من تفكير سابقه ومعاصريه لأنه نزع فيها لا إلى تدوين تاريخ النبي فحسب، بل تاريخ النبوة بذاتها فوحدة الفكر التاريخي ظاهرة فيها)(1).

سادسا: المنهج الموسوعي

من السمات البارزة في عمل ابن إسحاق هو قيامه بأول عمل موسوعي ضم فضلاً عن المادة التاريخية المنحصرة في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه، يضم أيضاً - المادة الأدبية سواء في القصة أو الشعر، كما ضم أيضاً مادة عقائدية تتعلق بمبدأ الخلق.

(ومن أجل ذلك كله نقل من الكتب وممن يسميهم أهل العلم الأول، من أهل الكتاب، كما أنه كان يصطنع الشعر وتعمل له قصائد ليدخلها في السيرة مع المناسبات، حتى لقد ذكر قصائد من عاد وثمود، وإن يكن شعرا فنائياً يتعلق بشرح الأحداث لا بروايتها)(2).

«وقد أخذ ابن إسحاق عن العجم، وروى قصصاً عربية قديمة، وأقاصيص من أصل يمانى، وهذا ما خصصه في كتابه (المبتدأ)»(3).

ص:317

1- (1) وهذا المنهج خلص إليه هاملتون في دراسته لسير ابن إسحاق، انظر: تاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 161 و 162.

2- (2) التاريخ العربى والمؤرخون لشاكر مصطفى: ج 1، ص 161.

3- (3) نشأة علم التاريخ للدورى: ص 27.

وأما رواياته عن فترة الرسالة فترجع في جوهرها إلى أسانذته في المدينة، مع إضافات حصل عليها ببحوثه، وفي بعض الحالات لا تتعدى رواياته أن تكون شرحاً لآيات قرآنية، نقله عن غيره أو عمله هو.

وأما أسلوبه في الكتابة عن الفترة المكية فقد وردت رواياته في الغالب دون إسناد (قصة) عنواناً لإخباره.

وأما رواياته عن العصر المدني ففيها طابع جدى أقوى وعناية أوضح بالإسناد.

أما كتابته عن التيارات السياسية المعاصرة كالمناصفة بين الأنصار والمهاجرين فقد تناولها ابن إسحاق من خلال إيراد الشعر (1).

ولذلك:

فقد امتاز عمله رحمه الله بالموسوعي، إذ ضم حقولاً عدّة من المعرفة كالتاريخ، والأدب والعقائد والتفسير، والسياسة.

ومن هنا:

نجد أن بعض الروايات التي أوردها ابن إسحاق عن حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تحتاج إلى عرضها على القرآن والعترّة النبوية عليهم السلام وبحثها بحثاً موضوعياً، بسبب اعتماد ابن إسحاق رحمه الله على تنوع المعارف والعلوم والثقافات وتعددتها في كتابه السير والمغازي.

وهذا أحد إشكالات العمل الموسوعي الذي يكون فيه هم الباحث بالدرجة الأولى التنوع، والتعدد كما وكثناً.

ص: 318

إن من المآسى التي حلت بالإسلام هو تعرض سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وسنته لتدخل الخلفاء وأشياعهم، فدونت بعض أجزائها حسبما يخدم المصالح الشخصية لهذا الخليفة أو ذاك، ناهيك عن تأثرها بالأجواء التي أضفتها أحداث السقيفة، وما أعقبها من تكتلات داخل المجتمع المدني، لتتوسع إلى الشام والعراق.

كما أن التاريخ الإسلامى هو أيضا لم يكن بمنأى عن تلك التدخلات سواء على مستوى السلطة الحاكمة، أو على مستوى المصنّف، أو الرواة الذين أخذ عنهم سير الحدث. والشواهد على هذه الحقيقة المفجعة كثيرة جدا.

فأما سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد تصدى لتدوينها مجموعة من المؤرخين اهتموا بادئ الأمر، بذكر المغازى، وهو ما يكشف عن تأثر المجتمع العربى بهذه الأجواء التى تدخلت فى تعميقها أمور كثيرة.

منها:

1 - ما كان موروثا اجتماعيا غلب عليه الطابع القبلى الذى امتازت به مجتمعات الجزيرة العربية قبل الإسلام.

2 - ومنها ما كان تبعا طبيعياً لما شهدته الخلافة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أحداث عصبية، وهذا أخطر من الأول، لاجتماع عدة عوامل فى ظهوره، كالعامل العشائرى، والدينى، والسياسى، والشخصى.

وتبعا لتلك العوامل فإنّ تدوين السيرة النبوية تأثر بها أشد التأثير، والشواهد على ذلك كثيرة نعرض لها فى المسائل الآتية:

إشارة

إن التتبع الدقيق لنشأة علم السيرة في المدارس الإسلامية وحركتها يظهر وجود حالة من العداء للسيرة النبوية عند بعض الرموز التي ظهرت على الساحة الإسلامية.

بل: يدل هذا التتبع على ديمومة العداء للسيرة النبوية، والسعي من أجل تشويه هذه السيرة والانتقاص من رمزها الأقدس صلى الله عليه وآله وسلم.

إذ أنّ حالة النفاق والمصالح السلطوية والأمراض النفسية كانت ولا تزال إحدى أهم الأسباب وراء تلك الأعمال المخزية، والتي يمكن أن نسلط الضوء عليها من خلال النقاط التالية:

الحلقة الأولى: محاربة البلاط الأموي للسيرة النبوية

إن أول محاولة لجمع السيرة وتدوينها ومن ثم نسخها كانت في زمن الحاكم الأموي عبد الملك بن مروان - حسبما ذكره الزبير بن بكار في الموفقيات -، فقال: (قدم سليمان بن عبد الملك إلى مكة حاجا سنة 82 هـ -، فأمر أبان بن عثمان بن عفان⁽¹⁾ أن يكتب له سير النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومغازيه.

ص:320

1- (1) أبو سعيد أبان بن عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، كان واليا على المدينة لعبد الملك بن مروان سبع سنين ثم عزله عنها؛ عدّه الرازي في المدنيين، وقد روى عنه أبو الزناد وبينه بن وهب وعبد الله بن أبي بكر والزهرى، مات بالفالج في خلافة يزيد بن عبد الملك عام 105 هـ - الطبقات لابن سعد: ج 5، ص 151-152. الجرح والتعديل للرازي: ج 2، ص 295. مشاهير علماء الأمصار لابن حبان: ص 111. تقريب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 51. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 1، ص 84.

فقال له أبان: هي عندي، قد أخذتها مصححة ممن أثق به، فأمر سليمان عشرة من الكُتّاب بنسخها، فكتبوها في رق، فلما صارت إليه نظر فإذا فيها ذكر الأنصار في العقبين وفي بدر.

فقال: ما كنت أرى لهؤلاء القوم هذا الفضل، فإما أن يكون أهل بيتي غمطوا عليهم، وإما أن يكونوا ليس هكذا!!!

فقال أبان: أيها الأمير، لا يمنعنا ما صنعوا أن نقول بالحق، هم ما وصفنا لك في كتابنا هذا.

فقال سليمان: ما حاجتي إلى أن أنسخ ذاك حتى أذكره لأمر المؤمنين لعله يخالفه، ثم أمر بالكتاب فحرق، ورجع فأخبر أباه عبد الملك بن مروان بذلك الكتاب.

فقال عبد الملك: (وما حاجتك أن تقدم بكتاب ليس لنا فيه فضل، تُعرّف أهل الشام أمورا لا نريد أن يعرفوها؟!).

قال سليمان: فلذلك أمرت بتخريق ما نسخته(1).

والحادثة التي مرّ ذكرها لا تحتاج إلى تعليق، فهي واضحة الدلالة في تدخل حكام بني أمية في تدوين السيرة النبوية؛ ويا ليت شعري أن الأمر اقتصر على التدخل في كتابتها، بل حرق هذه السيرة وإتلافها لكونها لم تتضمن بين ثناياها أي ذكر لبني أمية في مواضع الخير التي حفت بها سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وما أدري ما هو ذنب السيرة إذا كان بنو أمية قد تعاقدوا مع الشر، فكانوا حضورا معه أينما حضر؛ هذا من جانب.

ص: 321

والجانب الآخر: إذا كانت السيرة النبوية في زمن عبد الملك بن مروان ينتهي بها الحال إلى الخرق لخلوها من ذكر طيب لآل عبد الملك بن مروان، فكيف يكون حالها وهي تضم مناقب بني هاشم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب عليه السلام؟!.

ولذلك: كانوا إذا مرّ بهم حديث فيه ذكر لعلي بن أبي طالب عليه السلام يتعاملون معه معاملة خاصة يدل عليها الشاهد الآتي:

روى أبو الفرج الأصفهاني: (إنّ خالد القسري(1) - وهو أحد ولاة بني أمية - طلب من الزهري أن يكتب له السيرة فقال الزهري: فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب، أفأذكره؟).

ص: 322.

1- (1) خالد بن عبد الله بن يزيد بن أمد بن كرزة، أبو الهيثم البجلي القسري، أمير مكة للوليد بن عبد الملك، وأمير العراقيين لهشام بن عبد الملك، وهو من أهل دمشق. «تاريخ دمشق لابن عساكر: ج 16، ص 135». قال الذهبي عنه في الكاشف: (ناصبياً عَدَبَ وَقَتَلَ)، «الكاشف في معرفة من له رواية في كتب السنة: ج 1، ص 366». وقال في السير نقلاً عن ابن خلكان: (كان يتهم في دينه، بنى لأمه كنيسة تتعبد فيها، وفيه يقول الفرزدق: إلاقبح الرحمن ظهر مطية أتنا تهادى من دمشق بخالد وكيف يؤم الناس من كان أمهتين بأن الله ليس بواحد بنى بيعة فيها الصليب لأمهويهدم من بغض منار المساجد «سير أعلام النبلاء: ج 5، ص 427». وقال الذهبي في ميزانه، وفي تاريخ الإسلام: (ناصبى بغض ظلم، قال ابن معين: رجل سوء يقع في علي). «ميزان الاعتدال: ج 1، ص 633. تاريخ الإسلام: ج 8، ص 83. الوافي بالوفيات للصدفي: ج 13، ص 156».

فقال خالد: لا إلا أن تراه في قعر جهنم، فقال الزهري: فلعن الله خالدا ومن ولاه وصلوات الله على أمير المؤمنين(1).

وكان خالد القسري يسمى بثر زمزم بأمر الخنافس(2)، وحينما ولاه عبد الملك بن مروان على الكوفة تتبع شيعة أهل البيت عليهم السلام فأخذ سعيد بن جبير، وطلق بن حبيب، فأنكر الناس عليه ذلك فقام خطيبا فقال: (كأنكم أنكرتم ما صنعت، والله أن لو كتب إلى أمير المؤمنين لنقضتها حجرا حجرا، يعني الكعبة)(3).

بل أن بني أمية لم يتحملوا حتى ذكر اسم المدينة المنورة.

فقد اسمها يحيى بن الحكم(4) بالخبينة!

فقد روى القيرواني عن بديح أنه قال: (وفد عبد الله بن جعفر الطيار ابن أبي طالب - عليهما السلام - على عبد الملك بن مروان، فلما دخل عليه استقبله عبد الملك بالترحيب، ثم أخذه فأجلسه معه على سريره، ثم سأله فألطف المسألة، حتى سأله عن مطعمه ومشربه، فلما اتقضت مسأله قال يحيى بن الحكم: (أمن خبيثة كان وجهك أبا جعفر)؟).

ص: 323

1- (1) الأغاني للأصفهاني: ج 22، ص 21. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي: ج 1، ص 53، وقد مر ذكر الحديث سابقاً.

2- (2) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 16، ص 161. سير أعلام - الذهبي - ج 5، ص 429.

3- (3) تاريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ج 16، ص 161.

4- (4) يحيى بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية أخو مروان بن الحكم سكن دمشق وولاه ابن أخيه عبد الملك بن مروان المدينة ثم ولاه حمص. «تاريخ دمشق لابن عساکر: ج 64، ص 119».

قال: (وما خبيثة)!!؟.

قال: أرضك التي جنت منها!.

قال عبد الله بن جعفر: سبحان الله!! رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - يسميها طيبة وتسميها خبيثة، قد اختلفتما في الدنيا وأظنكم في الآخرة مختلفين(1).

إذن:

هذا حال تدوين السيرة النبوية في عصر ملوك بني أمية، وهذه حال المواضع المقدسة، وهي - أي، هذه السيرة - ترتبط بمن يقولون إنهم من أتباع دينه صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف تكون عندهم سيرة من لا يعتقدون به؟ وكيف تكون سيرة من يبغضونه كل هذا البغض الذي دلت عليه الرواية!!؟.

الحلقة الثانية: إعلان الحرب على ابن إسحاق وتهجيرهم من المدينة المنورة

ولد ابن إسحاق في المدينة عام 85 هـ - ونشأ فيها حتى بلغ الثلاثين من عمره ثم خرج منها عام 115 هـ (2)، وكان - رحمه الله - قد صحب كثيرا من رجالاتها منهم القاسم بن محمد بن أبي بكر، ونافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وأبان بن عثمان بن عفان، وعبد الله بن هرمز، وفيها عرف بمولاته للعترة النبوية عليهم السلام، وتشيع لهم، وسمع من الإمام محمد بن علي الباقر عليهما السلام - كما أسلفنا -.

والسؤال الذي يستوقف الباحث، هو: لماذا يخرج ابن إسحاق من المدينة، وهي مسقط رأسه، ومحل نشأته، وموضع علمه وهو في سن الشباب؟.

ص:324

1- (1) الدرجات الرفيعة لعلي خان المدني: ص 177.

2- (2) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 47.

إن النظرة الأولى لهذا السؤال تقيد بأن الإنسان لا يترك وطنه إلا لوجود أسباب قهرية وفي الأعم الأغلب سلطوية قمعية فتدفعه للهجرة والابتعاد عن وطنه.

والواقع أن حقيقة خروج محمد بن إسحاق كانت لهذه الأسباب التي كشفتها الرواية الآتية:

(عن ابن إدريس قال: كنت عند مالك، فقال رجل: كنت بالرى عند أبي عبيد الله وزير المهدي، فقال ابن إسحاق: هاتوا أعضوا على علوم مالك، فإني أنا بيطارها، فقال مالك: (دجال الدجاجلة يقول هذا!!!) (1)، (نحن نفيناه من المدينة) (2).

إذن:

أولا

لم يخرج محمد بن إسحاق من مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم باختياره، وإنما نفى منها.

ثانيا

إن النفي لا يكون إلا بفعل قوة مؤثرة تمتلك القدرة والسلطة، بمعنى لا يستطيع أن يقوم شخص واحد بنفي شخص آخر ما لم يكن له جماعة وأتباع، وهو ما يشير إليه قول مالك: (نحن).

ص: 325

1- (1) سير أعلام النبلاء: ج 7، ص 50.

2- (2) الجرح والتعديل للرازي: ج 1، ص 20، ط دار إحياء التراث العربي. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 239، ط دار الكتب العلمية. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 50، ط مؤسسة الرسالة.

لم يكتف مالك بن أنس بالكشف عن نفي ابن إسحاق وإنما شهّر به محاولاً إسقاط ثقة الناس عنه بوصفه إياه بالدجل، مما يؤدي إلى انصراف ذهن السامع أو القارئ إلى أنّ ما يرويه ابن إسحاق لسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إنما هو ضمن هذه الصفة، أي: الدجل والكذب.

إلا أن مالك بن أنس لم يبين السبب الذي دفعه لنفي محمد بن إسحاق من المدينة، وكيف تسنى له ذلك، وقد ذكر بعض المحققين أنّ السبب الذي دفع مالك بن أنس إلى إخراج ابن إسحاق من المدينة هو (نزاع بين أبناء الحرفة الواحدة، وقد كان العلماء قديماً يقولون: المعاصرة حجاب - إلا أن ما يزعمه - مالك أنه وأمثاله أخرجوا ابن إسحاق من المدينة لا يمكن اعتباره علمياً محضاً بل له جانبه السياسي)(1).

وذكر البعض الآخر: أن الدافع في إخراج ابن إسحاق من المدينة سببان:

أحدهما: أن ابن إسحاق كان يجرح مالكا في نسبه ويزعم أنه مولى من الموالى لتيتم بن مروة.

والثاني: أنه كان بعد ذلك يطعن في علم مالك - فيقول: (أعرضوا على علوم مالك فأنا بيطارها)(2) -.

وأرى: أنّ هذين السببين لم يكونا الدافع الحقيقي في إخراج ابن إسحاق من المدينة للأمور التالية:

ص:326

1- (1) السّير والمغازى لابن إسحاق تحقيق سهيل زكار: ص 12 من المقدمة.

2- (2) السير النبوية لابن هشام تحقيق محمد محي الدين: ج 1، ص 20، ترجمة المؤلف.

ألف - لم يكن محمد بن إسحاق يطعن في علم مالك، وهو في المدينة؛ إنما فعل ذلك حينما كان بالرى، كما دلت عليه الرواية بوضوح.

باء - كما أن جعل قول ابن إسحاق في مالك بأنه كان مولى من موالى تيم بن مروة، هو الذى تسبب بإخراجه غير صحيح، لأن والد ابن إسحاق كان من سبى عين التمر، فلا يتصور أنه كان يتعالى على الآخرين أو ينظر إليهم نظرة فوقية، وهو من طبقة الموالى اجتماعيا.

جيم - سنل على المدائنى عن قول مالك في ابن إسحاق.

فقال: مالك لم يجالسه ولم يعرفه.

ثم قال المدائنى: ابن إسحاق أى شىء حدّث بالمدينة؟(1).

وهذه التفاته مهمة من المدائنى لأن ابن إسحاق كتب المغازى في بغداد، وحدث بها هناك، إلا أن حفظه للمغازى كان في المدينة(2).

وقد سنل أيضا عن قول هشام بن عروة فيه؟.

فقال: الذى قال هشام ليس بحجة لعله دخل على امرأته وهو غلام فسمع منها.

وعليه:

فإن هناك كثيرا من القرائن تشير إلى أن السبب الرئيس في إعلان هشام بن عروة بن الزبير ومالك بن أنس الحرب على ابن إسحاق هو لتشييعه وموالاته للعترة النبوية عليهم السلام ومنها:

ص:327

1- (1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 244.

2- (2) المصدر السابق.

ألف - إن من السمات الثابتة في شخصية ابن إسحاق هي تشييعه لعترة النبي صلى الله عليه وآله وسلم - ففضلا عن ما أسلفنا - من كونه رحمه الله من أصحاب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، فإن أباه إسحاق بن يسار كان أيضا من الموالين للعترة النبوية عليهم السلام، ومن أصحاب الإمام زين العابدين والإمام الباقر (1) عليهما السلام. وهي حقيقة نص عليها عدد من الحفاظ، وهم:

1 - ابن حجر العسقلاني(2).

2 - الذهبي(3).

3 - المزي(4).

4 - ابن سيد الناس(5).

5 - الخطيب البغدادي(6).

وقد ظهر من خلال النصوص التاريخية أن تشييع محمد بن إسحاق كان هو السبب المباشر في الحرب التي شنت ضده والتي تمثلت ب -:

ص: 328

-
- 1- (1) رجال الطوسي: ص 109. معجم رجال الحديث للسيد الخوئي قدس سره: ج 1، ص 590. قاموس الرجال للتستري: ج 9، ص 102.
 - 2- (2) تقريب التهذيب لابن حجر العسقلاني: ج 2، ص 54. أعيان الشيعة للأمين: ج 1، ص 153.
 - 3- (3) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 39.
 - 4- (4) تهذيب الكمال للمزي: ج 24، ص 416.
 - 5- (5) عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 21.
 - 6- (6) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 239.

لقد حاول هشام بن عروة التغطية على هذا السبب، أى: على سبب عدائه لابن إسحاق وهو تشييعه للعترة عليهم السلام، وصرف الأنظار عنه من خلال إظهار الغيرة على زوجته فاطمة بنت المنذر حينما روى عنها ابن إسحاق. فى حين أنها تهمة لا أساس لها من الصحة؛ فقد غاب عن ذهن هشام بن عروة أن زوجته كانت تكبر ابن إسحاق بـ (سبع وثلاثين) سنة، وحينما سمع منها كان صبياً(1).

ومما يدل عليه:

ألف - استغراب إمام الحنابلة - أحمد بن حنبل - من طعن هشام بن عروة بابن إسحاق لكونه سمع من زوجته فاطمة، قانلاً: (ولم ينكر هشام!؛ لعله جاء - ابن إسحاق - فاستأذن عليها فأذنت له)(2).

باء - إن رواية الرجال عن النساء هو أمر كان يحصل فى زمانهما بشكل واسع، فكم من حديث وحديث سمعه الرواة من أمهات المؤمنين، فمنهم من سمع منهنّ بلا واسطة؛ ومنهم من سمع بواسطة.

ولذلك: نحن أمام حالتين: إما أنّ هشام بن عروة حنق على ابن إسحاق لتشيعه للعترة النبوية عليهم السلام، لاسيما وأنه نشأ فى بيت عرف بالتحيز لخصماء الإمام على عليه السلام، فقد خرج جده الزبير بن العوام للحرب على عليه السلام فى

ص: 329

1- (1) السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق محمد محى الدين، ترجمة المؤلف: ص 20.

2- (2) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 238. تهذيب الكمال للمزى: ج 24، ص 414. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 9، ص 36. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 20.

معركة الجمل، كما أنّ أباه عروة كان قد خرج إلى الجمل وأرجعه الزبير في منتصف الطريق، وكان له ثلاث عشرة سنة(1)، ناهيك عن اشتراكه في فتنة أخيه عبد الله بن الزبير؛ بل الأدهى من هذا كله اشتراكه مع مجموعة من الرواة في وضع أحاديث قبيحة في الإمام علي عليه السلام، وهي حقيقة نص عليها بعض علماء المسلمين، ومنهم:

أولاً: يقول ابن أبي الحديد المعتزلي، نقلاً عن شيخه أبي جعفر الاسكافي: (أن معاوية - بن أبي سفيان - وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلفوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة؛ ومن التابعين عروة بن الزبير)(2).

ثانياً: وقد روى ابن أبي الحديد نموذجاً من تلك الأحاديث، فقال: (روى عبد الرزاق عن معمر، قال: كان عند الزهري حديثان عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام، فسألته عنهما يوماً، فقال - الزهري -: ما تصنع بهما ويحدثهما! الله أعلم بهما إنى لأتئمهما في بني هاشم).

قال الزهري فأما الحديث الأول: أن عروة بن الزبير - حدثني -، قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - إذ أقبل العباس وعلي - عليه السلام - فقال:

يا عائشة، إن هذين يموتان علي غير ملتي، أو قال: ديني!

ص:330

1- (1) تهذيب التهذيب لابن حجر، رواه عن ابن أبي خثيمة: ج 7، ص 166.

2- (2) شرح نهج البلاغة للمعتزلي: ج 4، ص 64.

فهو أنّ عروة زعم أنّ عائشة حدثته، قالت: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذ أقبل العباس وعلى، فقال: يا عائشة، إن سركت أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا، فنظرت، فإذا العباس وعلى بن أبى طالب(1).

فمع هذه الأجزاء المشحونة بالبغض لعلى وأهل بيته عليهم السلام لا يمكن أن يكون تدوين السيرة النبوية بمعزل عن التأثر بها، كما أن الرواة لم يكونوا بمنأى عن آثارها.

ويخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار أن هشام بن عروة نشأ فى بيت كانت تردد فيه بعض الروايات التى يتقرب بها إلى دراهم معاوية.

وأما أن تكون الحالة الثانية فى سبب اتهام هشام بن عروة لابن إسحاق بالكذب هى: الافتراء عليه، والظاهر أنها حالة نفسية أعتاد عليها هشام بن عروة، فقد روى:

(أنه أقيم عليه الحد مرتين بسبب فرية افتراها على رجلين؛ فكان الحد الأول الذى أقيم عليه فى زمن عبد الملك بن مروان، وقد حده أبو بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى والى المدينة آنذاك. وكان هشام حينها قد افترى على رجل من بنى أسد بن عبد العزى.

ص:331

1- (1) شرح نهج البلاغة للمعتزلى: ج 4، ص 64. شرح إحقاق الحق للسيد المرعشى قدس سره: ج 6 ص 219. النص والاجتهاد للسيد عبد الحسين شرف الدين قدس سره: ص 513. بحار الأنوار للعلامة المجلسى: ج 30، ص 402.

والحد الآخر كان في حكم الوليد بن عبد الملك، وقد أقامه عبد الرحمن بن الضحاک، وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة، وكان هشام قد افتري على رجل من بنى المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم(1).

ناهيك عن اتهام مالك بن أنس له بالكذب(2).

وعليه: فإن تكذيب هشام بن عروة لابن إسحاق هو محاولة لمحاربة السيرة النبوية بشكل عام، ومحاربة بنى هاشم بشكل خاص، ولاسيما آل أبي طالب عليهم السلام، ومن شايعهم ووالاهم.

الحلقة الثانية: محاربة مالك بن أنس لمحمد بن إسحاق مذهبياً

أما مواجهة مالك بن أنس لابن إسحاق فهي الأخرى لا تتعدى كونها حرباً تشن على أشياع على عليه السلام ويكفى في بيان موقفه من العترة النبوية صلى الله عليه وآله وسلم إهماله لحديث الثقلين الذي ينص على التمسك بكتاب الله والعترة، وتفرده برواية الحديث الموضوع: (كتاب الله وسنة نبيه)(3)، وهو يعلم أنه مكذوب فيه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا أنه مع هذا فقد أورده

ص:332

1- (1) كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي، (نسخة مخطوطة) تحقيق خورشيد أحمد فاروق: ص 399.

2- (2) تاريخ بغداد للمخطيب البغدادي: ج 1، ص 239. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 38. تهذيب الكمال للمزني: ج 24، ص 415.

3- (3) الموطأ، كتاب القدر، الباب 1: النهي عن القدر، الحديث 3، وهو حديث سنده منقطع، وعدا عن انقطاع سنده، ركة لفظه الذي يصرخ بالوضع الذي تمجده عقول طلبة المدارس الابتدائية فكيف بأهل الفكر، إذ الحديث منقول بالمعنى فلو كان عنه صلى الله عليه وآله وسلم لقال كتاب الله وستى كما قال كتاب الله وعترتى أما لفظ: (وسنة نبيه) فهذا قول مالك.

مع كثير من هذه الأحاديث التي اعترف بأنها أحاديث ضلالة، وكم تمنى لو أنه لم يروها قاتلاً: (لقد حدثت بأحاديث وددت أني ضُربت بكل حديث منها سوطيين ولم أحدث بها)(1).

وفي لفظ آخر أوردته الحافظ الخطيب البغدادي عنه وهو يصف هذه الأحاديث، أنه قال: (كثير من هذه الأحاديث ضلالة)(2).

فكان من هذه الأحاديث: (أنه لا يرى لعلي عليه السلام إمامة، فقال في ذلك: كان إمام الناس عندنا بعد عمر بن الخطاب زيد بن ثابت، وكان إمام الناس عندنا بعده عبد الله بن عمر)(3)؟!.

ومن هذه الأحاديث أنه توقف في علي عليه السلام، قال ابن عبد البر: (وقف جماعة من أهل السنة والسلف في علي وعثمان فلم يفضلوا أحدا منهما على صاحبه منهم مالك بن أنس)(4). وقد صرح مالك بذلك فعن ابن أبي حازم قال: (سألت مالكا فيما بيني وبينه، مَنْ تقدّم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: أقدم أبا بكر وعمر، قال: ولم يزد على هذا)(5).

بل الأدهى من هذا كله ما رواه القاضي النعمان المغربي من: (أنه كان يرى رأى الخوارج، وأنه سئل عنهم فقال: ما عسى أن تقول في قوم ولونا فعدلوا فينا)(6).

ص: 333

1- (1) معرفة علوم الحديث للحاكم النيسابوري: ص 61. تاريخ الإسلام للذهبي: ج 11، ص 325.

2- (2) نصيحة أهل الحديث للخطيب البغدادي: ص 34.

3- (3) الاستيعاب: ج 2، ص 539.

4- (4) الاستذكار لابن عبد البر: ج 5، ص 109. الوافي بالوفيات للصفدي: ج 21، ص 181.

5- (5) الاستذكار لابن عبد البر: ج 5، ص 110.

6- (6) دعائم الإسلام للقاضي النعمان المغربي: ج 1، ص 88، ط دار المعارف. الصراط المستقيم

أفبعد هذا كيف لا يحتق مالك بن أنس على محمد بن إسحاق، ويتهمه بالدجل، وهو يتشيع للعترة النبوية عليهم السلام، وكيف لا يطلق لسانه فيه، وهو الذى قد تناول كثيرا من أهل الصلاح بالتجريح والتعريض، وهو ما نص عليه الحافظ الخطيب البغدادي قائلا: (أن مالكا عابه جماعة من أهل العلم فى زمانه بإطلاق لسانه فى قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة)⁽¹⁾.

وقد حاول الحافظ الذهبي الدفاع عن مالك بن أنس ونفى هذه التهمة عنه من خلال تحويل الأنظار عن طعنه بكثيرٍ من الشخصيات الإسلامية إلى القول بالاجتهاد، وإن هولاء الجماعة الذين وصفهم الخطيب البغدادي بـ (أهل العلم): «ما عابهم - مالك - إلا وهم عنده بخلاف ذلك، - وهو مثاب على ذلك أى: لم يكونوا من أهل العلم -، وأن أخطأ اجتهاده»⁽²⁾. ويبدو أن اتهام (أهل الصلاح والديانة والثقة والأمانة) بالكذب والتشهير بهم وتسقيطهم فى المجتمع هو عملية اجتهاد عند الذهبي؟! وإن كان ذلك مخالفاً للقرآن الكريم والسنة المشرفة؟! ولذلك: لو قدر أن يكون مالك قد جاء بعد الذهبي وأطلق لسانه فيه لما حق للذهبي الاعتراض لأنه قد اجتهد. كما اجتهد فى الزهري أيضاً حيث صادر جهده العلمى وهو بحسب قول الذهبي (مثاب على ذلك) فضلاً عن كونه (ليس من أهل العلم) ولذا قال فيه مالك: «لم يكن مع ابن شهاب إلا كتاب فيه نسب قومه، يعنى قريشاً»⁽³⁾.

ص: 334

1- (1) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 38.

2- (2) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 38.

3- (3) الانباه على قبائل الرواة، ابن عبد البر: ص 13.

(واجتهد) - مالك بن أنس - كذلك في طعنه بحفظه أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وروايتها في زمانه فوصفهم بعدم الأمانة، قائلاً: «إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم، لقد أدركت سبعين عند هذه الأساطين، وأشار إلى مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولون: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فما أخذت عنهم شيئاً» (1).

والسؤال الذي يفرضه البحث: إذا كان هؤلاء الرواة البالغ عددهم السبعين غير أميين في رواية أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فكيف نقرأ من المسلمين كان يعتقد بصحة حديثهم؟. وكيف هي المساحة التي سيتم فيها نشر هذه الأحاديث التي هي في نظر مالك تروى من أناس (ليسوا من أهل هذا الشأن) (2)؟.

ومن أين حصل مالك على أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ والرواة المزيفون هذا عددهم؟.

وعليه: فقد بدا واضحاً لمن أراد أن يعرف الأسباب التي دفعت محمد بن إسحاق للخروج من المدينة؛ كما بدا واضحاً أن هذا الخروج الذي قال عنه مالك بن أنس: (نحن نفيناه من المدينة) ما هي أحواله وأسبابه ودوافعه.

ولذلك: لم يكن أمام ابن إسحاق إلا أن يفر بدينه مهجوراً مغلوباً على أمره، وهو يعلم أنه لو بقي في المدينة مع هشام بن عروة ومالك بن أنس، وهما يشنان الحرب ضده دون جناية عملها غير حبه للعترة المحمدية؛ فإن مصير سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سينتهي بنهاية هي أعظم من تخريق الوليد بن عبد الملك لها، فما تم تخريقه يتم إعادة جمعه ونسخه.

ص: 335

1- (1) الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي: ص 191.

2- (2) المصدر السابق.

أما تكذيبه وتكذيب ما يرويه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإشاعة ذلك بين الناس سيؤدى إلى طمس هذه السيرة النبوية في المجتمع؛ فكيف سيحدثون بأحاديث تصدر عن (دجال من الدجاجلة) كما يقول مالک؟!.

لقد أمعن مالک بن أنس ومن كان معه - الذين عبّر عنهم بقوله (نحن) - في حريهم ضد السيرة النبوية إلا أنهم غفلوا أن:

(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ) 1.

فكان إخراجهم لمحمد بن إسحاق هو عملية نقل هذا العلم إلى خارج المدينة فأتى إلى الإسكندرية سنة خمس وعشرة ومائة(1) فيجمع ما استطاع جمعه حفظاً وتدويناً، فقد منّ الله عليه بنعمة تكشف عن حكمة الباري في حفظ سيرة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، إذ عرّف محمد بن إسحاق بين الناس بجودة حفظه حتى كان حملة الحديث يأتون إليه فيحملونه حفظ أحاديثهم؛ وهي حقيقة نص عليها حفاظ المسلمين.

قال الحافظ البغدادى وغيره: (كان ابن إسحاق من أحفظ الناس، وكان إذا كان عند الرجل خمسة أحاديث أو أكثر جاء فاستودعها محمد بن إسحاق، وقال: (أحفظها على فإن نسيتهما كنت قد حفظتها على)(2)، أى كان بمنزلة المعجم الذى يرجع إليه حملة الأحاديث لاستذكار أحاديثهم، وهذا لا يكشف عن جودة حفظه

ص:336

1- (2) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 48.

2- (3) تاريخ بغداد للخطيب البغدادى: ج 1، ص 235. تهذيب الكمال للمزى: ج 24، ص 413. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 37. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 9، ص 36. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 16.

للأحاديث فقط، وإنما بروايتها وعدد ما يروونه، فضلاً عن صدقه ومدى أمانته في نقل الخبر حتى دفع الرواة أن يستودعوا ما يحفظونه عنده.

ولذلك: وجد ابن إسحاق أنّ أفضل طريقة لحفظ السيرة النبوية هو إيداعها في خزانة السلطة، فهذه الطريقة يستطيع أن يحفظها من تلك الهجمات التي تشن ضدها. ولا سيما الجانب الذي يتعلق ببني هاشم وشيخهم أبي طالب عليه السلام، (فأبى أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب له المغازي، فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب)(1).

وسيوقفنا هذا الأمر إلى أن سيرة ابن إسحاق اقتضت على بعض فضائل على عليه السلام وذلك لكون السلطة العباسية لا يروق لها ذكر هذه الفضائل، فكيف يجمع ابن إسحاق بين هاذين المتناقضين، حفظه للسيرة في خزانة السلطة وحراستها لها، وبين ذكره لفضائل على وآله عليهم السلام؟.

وفي ذلك يقول ابن عدى: (لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء إلا الاشتغال بمغازي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها، ثم من بعده صنّفها قوم آخرون فلم يبلغوا مبلغ ابن إسحاق منها، وقد فتشت أحاديثه كثيراً، فلم أجد من أحاديثه ما يتنها أن يقطع عليه بالضعف، وربما أخطأ أوريهم في الشيء بعد الشيء كما يخطئ غيره ولم يتخلف في الرواية عنه الثقات والأئمة وهو لا بأس به)(2).

ص: 337

1- (1) المعارف لابن قتيبة: ص 492، ط دار المعارف. سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 48. تهذيب الكمال للمزى: ج 24، ص 426. وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 4، ص 277. الكنى والألقاب للشيخ عباس القمي رحمه الله: ج 1، ص 212 الصدر.

2- (2) تهذيب الكمال للمزى: ج 24، ص 426. سير أعلام النبلاء: ج 7، ص 48. تهذيب التهذيب لابن حجر: ج 9، ص 39.

الحلقة الأولى: دور ابن هشام في تغيير السيرة النبوية

لم تنته الحملة التي شنت على سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد وفاة مصنفها محمد بن إسحاق، بل تعاقب على التلاعب بها كل من ابن هشام، وبعض الحفاظ، وبعض المحققين في وقتنا الحاضر. فبعدهما انتقل محمد بن إسحاق إلى جوار ربّه، روى عنه ثلاثة من الرواة وهم كل من:

1. يونس بن بكير.

2. زياد بن عبد الله البكائي.

3. محمد بن سلمة الحراني.

وتعود السيرة التي بين أيدينا إلى زياد بن عبد الله البكائي، وقد روى عنه ابن هشام حتى باتت السيرة النبوية اليوم تعرف باسمه.

وإبن هشام هو: أبو محمد بن عبد الله بن هشام بن أيوب، الحميري، المعافى، الدهلي، البصري المولد، والمصري النشأة والوفاة⁽¹⁾.

وكانت وفاته سنة 213 للهجرة⁽²⁾ وبهذا يكون قد عاصر الخليفة العباسي هارون وابنه المأمون.

ص: 338

1- (1) أنظر ترجمة ابن هشام: (وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3، ص 177. الوافي بالوفيات للصفدي: ج 19، ص 142. تاريخ الإسلام للذهبي: ج 15، ص 281.
2- (2) البداية والنهاية لابن كثير: ج 10، ص 308.

وما شهدته هذه الفترة من تكيل وقتل لأهل البيت عليهم السلام ابتداءً من حبس الإمام موسى بن جعفر عليه السلام في سجن هارون سنين عديدة وقتل حسين صاحب فخ مع ثلاثمائة وثلاثة عشر من الطالبين وقتل ابنا زيد بن علي زين العابدين عليه السلام وصلبيهما(1).

فضلاً عن محنة خلق القرآن في عصر المأمون وغيرها من الحوادث التي ألفت بضالها على منهج ابن هشام في حذف ما شاء من السيرة النبوية، ولعل ما يسوء الناس ذكره لا يتعدى عن كونه فضائل أهل البيت عليهم السلام ولا سيما فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام الذي لا يناسب ذكرها السلطة العباسية.

له مصنفات منها (كتاب في أنساب حمير وملوكها، وكتاب في شرح ما وقع في أشعار السير من الغريب، وكتاب في قصص الأنبياء، وكتاب التيجان، فضلاً عن جمعه السيرة النبوية التي تدخل في تدوينها بشكل كبير دل عليه قوله واعترافه بذلك حينما ذكر نسب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال: (وأنا إن شاء الله مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم - عليهما السلام - ومن ولد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - إلى أن يقول: وتارك بعض ما ذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب.

1. مما ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيه ذكر.

2. ولا نزل فيه من القرآن شيء.

3. وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب.

ص: 339

1- (1) مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني: ص 186-188.

4. ولا تفسيراً له.

5. ولا شاهداً عليه.

6. لما ذكرت من الاختصار

7. وأشعارا ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها.

8. وأشياء بعضها يشنع الحديث به!

9. وبعضها يسوء بعض الناس ذكره!

10. وبعض لم يقر لنا البكائي بروايته(1).

ولقد أقر كثير من الحفاظ بتدخل ابن هشام في تدوين السيرة النبوية فحذف منها ما شاء. فقد قال الصفدي: (نقحها وحذف جملة من أشعارها)(2).

وقال ابن خلكان: (جمع سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهذبها ولخصها)(3).

وقال الذهبي: (سمعتها من زياد بن عبد الله صاحب ابن إسحاق، ونقحها، وحذف جملة من أشعارها)(4).

وقال ابن كثير: (وإنما نسبت إليه، فيقال سيرة ابن هشام، لأنه هذبها، وزاد فيها، ونقص منها، ومرر أماكن، واستدرك أشياء)(5).

ص: 340

1- (1) السيرة النبوية لابن هشام: ج 1، ص 2، ط مكتبة محمد علي صبيح، مصر. السير والمغازي لابن إسحاق، بتحقيق سهيل زكار: ص 15 من المقدمة.

2- (2) الوافي بالوفيات للصفدي: ج 19، ص 142.

3- (3) وفيات الأعيان لابن خلكان: ج 3، ص 177.

4- (4) تاريخ الإسلام للذهبي: ج 15، ص 281.

5- (5) البداية والنهاية لابن كثير: ج 10، ص 308.

والسؤال المطروح هو: أفبعد هذا التدخل الواضح في سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتعرضها لهذه الهجمة من الحذف والطمس، وتضييع الحقائق؛ كيف سيطمنن المسلم إلى أن كثيرا مما (يسوء بعض الناس ذكره) كان فيه بيان لحقيقة إيمان، أو نفاق كثير من الشخصيات الإسلامية التي لعبت يد السلطة في إيرادها في المجتمع؟!.

أولعل (مما يسوء بعض الناس ذكره) هو امجاد بنى هاشم، وشيخهم أبي طالب عليه السلام، مما دفع ابن هشام إلى تركه وحذفه من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم!.

وعليه: كيف يتقاد دعاة السلطة دار باب المصالح إلى حقيقة إسلام أبي طالب - رضى الله عنه - وذكره سيسوء شأنه على بن أبي طالب عليه السلام.

الحلقة الثانية: قيام بعض الحفاظ باتهام ابن إسحاق رحمه الله بعد وفاته بنهم عدّة

لقد أدرج بعض الحفاظ ابن إسحاق في مصنفاتهم ضمن دائرة الاتهامات، فوجّهوا له عددا من التهم، فمرة اتهموه بالقدريّة، وأخرى بالتدليس، وأخرى بالتشيع الذي ينظرون إليه - أي التشيع - من أعظم ما اقترفه ابن إسحاق، بل أنه هو السبب الوحيد الذي كان وراء محاربه حيا وميتا.

ومن هؤلاء الخطيب البغدادي، وسائر من سار على رأيه، منهم الحافظ الذهبي، والمزني، وابن سيد الناس (1).

ص: 341

1- (1) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 39. تهذيب الكمال: ج 24، ص 416. عيون الأثر لابن سيد الناس: ج 1، ص 21.

فقد قال الخطيب البغدادي (المتوفى سنة 463 هـ -): «وقد أمسك عن الاحتجاج بروايات ابن إسحاق غير واحد من العلماء لأشياء منها: (تشيعه، ونسب إلى القدر، ويدلس في حديثه، فأما الصدق فليس بمدفوع عنه)»(1).

وفى الواقع أن تشيعه هو السبب الوحيد الذي جعل البعض يتهجم على ابن إسحاق، إذ يكفي في ذلك أن البغدادي ابتداءً بذكر التشيع أولاً، وأما اتهامه بالقدر فمدفوع عنه بأمرين:

1. إنَّ من عُرفَ بالتشيع لآل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان قد صحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام فإنه لا يجد غير سبيلهما معتقداً يتقرب به إلى الله عز وجل.

2. قال ابن عقدة حدثنا موسى بن هارون بن إسحاق: سمعت عبد الله بن نمير يقول: (كان ابن إسحاق يُرمى بالقدر، وكان أبعد الناس منه(2).

أما كون (الصدق غير مدفوع عنه) كما قال الخطيب البغدادي والذهبي: فتلك سمة أشياخ آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم الذين وصفهم الله تعالى في محكم كتابه بقوله:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)3.

ثم كيف يستقيم الصدق مع التدليس، فمن كان الصدق غير مدفوع عنه يكون التدليس قطعاً مدفوعاً عنه، إلا أن يكون للصدق مفهوم آخر عند الخطيب البغدادي والذهبي وغيرهما؟!.

ص:342

1- (1) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي: ج 1، ص 239.

2- (2) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 43. ميزان الاعتدال للذهبي: ج 3، ص 468.

ألف: عرض بعض المحققين (1) شخصية ابن إسحاق بأسوأ مما قام به ابن هشام بن عروة، ومالك بن أنس حينما اتهمه الأول بـ (الكذاب) (2) والثاني بـ (دجال من الدجاجلة) (3). فبينما كان يقدم المحقق للسير والمغازي تحليلاً لشخصية مصنفها، وما صاحبه من أحداث قدمه على أنه (زنديق)، محاولاً تثبيت ذلك في ذهن القارئ، فقال: (والمصادر تؤيد دعوى مالك، فقد اشتهر عن ابن إسحاق بعد عودته من مصر القول بالقدر ووجد على ذلك بالمدينة، ويبدو أن ابن إسحاق لم ينكر التهمة، فقد دافع عن نفسه عندما اتهمه هشام بن عروة بالكذب على امرأته، لكنه لم يقل شيئاً عندما بلغه اتهام مالك له بالزندقة، ولا يعني ذلك أنه كان زنديقاً ولكن تلك كانت التهمة التي يوجهها محافظو الرواة إلى القائلين بالقدر من علماء البصرة وغيرها) (4).

ولا أدري أكان مالك بن أنس من سكان البصرة أم أنه من سكان المدينة؟ حتى اعتاد ما اعتاده الرواة فيها ليتهم ابن إسحاق بالزندقة؛ ثم ما علاقة مالك بما يقوله أهل البصرة؟ أليس هذا تقول واضح على مالك بن أنس.

باء - لقد حاول المحقق صياغة الحدث حسبما يريد، فجعل سكوت ابن إسحاق على اتهام مالك له سببه مذهب القدرية؛ في حين أن اتهام مالك لابن إسحاق بالدجل كان سببه قول ابن إسحاق: (اعرضوا على حديث مالك) فاستاء مالك من هذا القول فقال: (دجال من الدجاجلة)، فهذا سبب اتهام مالك

ص: 343

1- (1) السير والمغازي لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار.

2- (2) ميزان الاعتدال للذهبي: ج 3، ص 471.

3- (3) سير أعلام النبلاء للذهبي: ج 7، ص 49.

4- (4) السير والمغازي، بتحقيق سهيل زكار: ص 12 من المقدمة.

بن أنس لابن إسحاق وهو لا علاقة له بالقدرية كما صوّر المحقق الحالة للقارئ)!.⁽¹⁾

جيم - لم يكن ابن إسحاق حينما قال: (أعرضوا على حديث مالك) وهو في المدينة، وإنما قاله حينما كان بالرى، وفي محضر وزير المنصور، أى بعد خروجه من المدينة وتوجهه إلى الإسكندرية والكوفة وبغداد والرى.

وهذا يدل على أن الخلاف بين مالك وابن إسحاق كان عقائدياً، ولكن ليس لاعتقاده بالقدرية، كما فهم المحقق، وحاول تثبيت ذلك في ذهن القارئ، مستنداً بسكوت ابن إسحاق وعدم دفاعه عن نفسه حينما اتهمه مالك بالدجل، وإنما كان السبب في الخلاف هو لتشيع ابن إسحاق للعترة النبوية الطاهرة عليهم السلام ولاعتقاد مالك برأى الخوارج - كما مرّ بيانه - مما دفعه لإخراج ابن إسحاق من المدينة سنة (115) للهجرة وهو في الثلاثين من عمره؛ لنتجه إلى الإسكندرية والكوفة والرى وهناك قال: (أعرضوا على حديث مالك فأنا يبطارها) فأساء ذلك مالكا فوجد أن أفضل طريقة لإسقاط هذا القول هو الإشاعة بين الناس: أن محمد بن إسحاق يؤمن بالقدرية، وهذا لا يؤهله لتقييم أحاديث مالك، وستسقطه هذه التهمة بين الناس فلا يأخذون بقوله، ومن ثم يستطيع مالك أن يحفظ سمعته وأحاديثه بين الناس.

وقد تغافل المحقق عن هذه الحقيقة التي حاول عدم إظهارها بشكل واضح حينما قال: (لقد كان للنزاع إذن وجه آخر له يمكن اعتباره علمياً محضاً بل له جانبه السياسي)⁽²⁾.

وفي موضع آخر يظهر هذه الحقيقة بشكل أوضح فيقول: (بالإضافة إلى ذلك، ذلك سرى اتهامه بالتشيع وكانت تلك تهمة تنال أكثر الذين يعملون في مجال

ص:344

1- (1) السيرة والمعازي لابن إسحاق بتحقيق سهيل زكار: ص 11 من المقدمة.

سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ وقديما ود عبد الملك بن مروان لو لم يشغل أحد بالسيرة لما فيها من تقديم لبنى هاشم وللأنصار، فدفع هذا كله ابن إسحاق إلى مغادرة المدينة، وكان قد ضاق واشتد حاله(1).

دال - ثم لم يكتف المحقق بتثبيت تهمة الزندقة وإصافها بمصنف السيرة النبوية؛ وإنما تثبت كونه ممن يؤمن بالتدريية فقال: (وتوجهه إلى أبي جعفر المنصور لم يتم مصادفة، فقد كان يعرفه في الغالب قبل وصول العباسيين للسلطة كما أنه كانت للعباسيين صلات طيبة بالتدريية في أول الأمر(2)).

هاء - كما ولم يكتف المحقق أيضا من اتهام ابن إسحاق بهذا كله، وإنما سرى اتهامه لرواته الثلاثة، فعزى الطابع الشيعي الشديد إلى روايات يونس بن بكير، لكونه روى عن سلمان الفارسي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (أن عليا خير الوصيين(3)؛ كما أنّ سبطيه خير الأسباط(4)).

في حين غفل المحقق عن قوله الذي دافع فيه عن سيرة ابن إسحاق بأنه: (سرى اتهامه بالشيعة، وكانت تلك تهمة تنال أكثر الذين يعملون في مجال سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم(5)).

ص:345

1- (1) السيرة والمغازي بتحقيق سهيل زكار: ص 12.

2- (2) المصدر السابق.

3- (3) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ص 253. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 13، ص 233. تفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج 1، ص 132. وقد أشار إليه المحقق في ص 13-14 من المقدمة.

4- (4) معاني الأخبار للصدوق: ص 59. المحتضر للحلي: ص 84. بحار الأنوار للعلامة المجلسي رحمه الله: ج 33، ص 283. وقد أشار إليه المحقق في ص 13-14 من المقدمة.

5- (5) السيرة والمغازي بتحقيق سهيل زكار: ص 12 من المقدمة.

فإذا كانت هذه التهمة تلاحق كتاب السيرة النبوية سابقاً؛ فإنها تلاحقهم حاضراً، كما فعل نفسه المحقق حينما وصف روايات يونس بن بكير بـ (طابع التشيع الشديد) لروايته قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في على وولديه عليهم السلام.

وهذا يكشف في الواقع عن الأسباب التي أدت إلى التلاعب بسيرة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم؛ فبين الماضي والحاضر كانت فضائل العترة المحمدية صلى الله عليه وآله وسلم وبنى هاشم والأنصار تلقى بضلالها على أذهان الكتاب، ولم يمنعهم تغير الأزمنة وتعدد الثقافات من التحرر من تلك النزعات العقائدية والميولات النفسية. وعليه: كيف ينصف أصحاب الأقاليم قديماً وحديثاً سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهي التي قد زخرت بفضائل بنى هاشم!؟، وهم هذا حالهم.

وخلاصة القول:

1. إننا لا يمكن أن نعتقد بصحة كل ما ورد في المصادر التي تناولت سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم سواء كانت في مصادر علم التاريخ أو الحديث أو الرجال أو المغازى والسير أو الآثار ما لم يعرض ذلك على مائدة البحث العلمي والموضوعي، فما كان منه موافقاً للثقلين: الكتاب الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام أخذنا به، وما لم يوافقهما فهو هواء في شبك.

2. لولا مدرسة أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم لما عرف المسلمون وغيرهم شيئاً عن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عن العلوم الإسلامية على الرغم من تعرضهم للاضطهاد على مر التاريخ.

(وَ مَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ).

ص:346

فهرس الآيات 349

فهرس الأحاديث 357

أعلام - أ - 361

أعلام - ب - 363

المصادر والمراجع 377

ص: 347

(إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً) 176 30

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا) 41 143

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ) 59 258

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) 111 282

آل عمران

(قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ) 172 26

(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ) 141 42

(إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ) 43 62

(وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) 89 85

(وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَ اختلفوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ) 213 105

(قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ) 46 137

(وَ مَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انقلبتم على أعقابكم) 94, 91 144

(يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ... 46 26)

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ) 182 59

المائدة

(مُضَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ) 66 48

(أَفْحَكُمُ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ) 89 50

(وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ... 54 66)

الأنعام

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ) 48 21

(وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِنْ قَبْلِكَ فَصَبِرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُودُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا... 75 34)

(وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) 58 74

(فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي... 577--587)

الأعراف

(وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) 49 34

(وَلَوْطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ... 80--578)

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ... 54 96, 97)

(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا) 43 101

(وَإِعْدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأْتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً...) 59 142

(فَأَقْصَصَ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) 43 176

الأنفال

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) 52 25

(ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغْتَبَرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ) 53 53

التوبة

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظَاهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...) 163 33

(وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَقِنِّي آلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) 87 49

(وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ) 129 103

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) 327 119

(لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ...) 80 128

هود

(ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ) 43 100

(وَكَأَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُنَبِّئُ بِهِ فُؤَادَكَ...) 44 120

ص: 351

(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ) 43 3

(قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهَا) 57 55

(لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولَى الْأَلْبَابِ) 43 111

الرعد

(لَهُ مَعْبُوتَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ...) 53 11

الإسراء

(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) 44 41

الكهف

(بَشِّرِ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) 89 50

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ...) 48 55

(وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ...) 58--5159

طه

(وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (29) هَازُونَ أَخِي) 29--5930

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (83) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَىٰ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى (84)...) 83--9185

(فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ... 58--5863)

الحج

(وَإِنْ يَكْذِبُوا فَكَذَّبْتَ قَبْلَهُمْ قَوْمَ نُوحٍ وَعَادَ وَثَمُودَ... 42---4844)

(وَكَأَيُّ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ) 48 48

(وَاجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ... 181 78)

المؤمنون

(أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ (55) نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ) 55--7456

الشعراء

(وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) 90 227

القصص

(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ الْمَوْسَىٰ أَيْمَانَ) 142 7

الروم

(لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ) 4 321

(مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) 150 23

(سِنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا) 49, 46, 38

(هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ) 129 43

(وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) 43 62

فاطر

(وَلَا تَرَى وَازِرَةً وِزْرَ أُخْرَى) 52 18

(وَلَوْ يُوَاجِدُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ...) 51 45

الزمر

(وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَبَأٌ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) 97 51

غافر

(قَلَمَ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سَبَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَّتْ فِي عِبَادِهِ...) 46 85

الزخرف

(بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ) 56, 55 22

ص: 354

(أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) 95 24

الحشر

(فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ) 192 7

الجن

(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (142) 55 16

المطففين

(الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (142) وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ... 10--9414

الهمزة

(نَاذِرًا لِلَّهِ الْمَوْقِدَةَ (6) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ) 6--907

ص: 355

قال رسول الله صلى الله عله وآله وسلم

«إذا كان يوم القيامة ىنادى مناد أين زىن العابدين، فكانى أنظر إلى ولدى على بن الحسين 251

«أكتب فى الذى نفسى بىده ما خرج منه إلا حق وأشار بىده إلى فىه» 114

«اللهم صل على آل أبى أوفى» 130

«الولد للفراش، وللعاهر الحجر» 36

«أما ترضىن آتى زوجتك أقدم أمتى سلما، وأكثرهم علما، وأعظمهم حلما» 221

«أمتهمكون كما تهوكت اليهود والنصارى؟ لقد جتتكم بها بىضاء نقبة» 115

«إن الله عز وجل منع بنى إسرائيل قطر السماء بسوء رأبهم فى أنببائهم واختلافهم فى دىنهم 244

«أنا أولى بالمؤمنىن من أنفسم ثم أذى على بن أبى طالب عله السلام 184

«أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواما ثم لأغلبن علبهم 92

«أنت سبىد ابن سبىد أنت إمام ابن إمام أبو الأئمة أنت حجة ابن حجة 185

«إنكم تحشرون حفاة عراة 91

«طالب العلم حبب الله» 224

«عنى الله بذلك ثلاثة عشر إنسانا أنا وأذى علبا وأحد عشر من ولده (الحدس)» 182

«فلا ببقىن أحد عنده كتابا إلا آتانى به» 119

«فما بال أقوام يعبرونى بقرابتى وقد سمعونى أقول فىهم ما أقول من تفضىل الله تعالى إباهم 184

«قسمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطى على تسعة أجزاء، والناس جزءا واحدا» 221

«لتبتعن سنن من كان قبلكم حذو النعل النعل، والقذة بالقذة 63

«ما من متعلم يختلف إلى باب العالم إلا كتب له بكل قدم عبادة سنة» 224

«والذى نفسى بيده لو أن موسى أصبح فيكم ثم اتبعتموه وتركتمونى لضللتم 116

«يا أبا ذر، لأن تغدو فتعلم آية من كتاب الله خير لك من أن تصلى مائة ركعة 224

«يوشك أحدكم أن يكذبنى وهو متكى على أريكته يحدث بحدىنى 121

«يوشك الرجل متكى على أريكته يحدث بحدىنى، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله 121

قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام

«أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ، وَقَلَّمْتُمْ حِصْنَ اللَّهِ الْمُضْرُوبَ عَلَيْكُمْ 206

«ألست تعلمون أن الله عز وجل أنزل فى سورة الحج 181

«إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم من شيعتنا» 224

«أى بنى إني وإن لم أكن عُمِرْتُ عُمُرَ من كان قبلى 69

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَا وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَائِقَةَ نُمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ 70

«أَيُّهَا النَّاسُ لَوْ لَمْ تَتَّخِذُوا عَنْ نَصْرِ الْحَقِّ وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ الْبَاطِلِ 71

«بَعَثَهُ -- صلى الله عليه وآله وسلم -- وَالنَّاسُ ضَلَالٌ فِي حَيْرَةٍ، وَخَاطِبُونَ فِي فِتْنَةٍ 205

«علمنى رسول الله ألف باب من العلم» 221

«فَأَعْتَبُوا بِمَا أَصَابَ الْأَمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ 74

«قَدْ سَأَلْتُ فَافْتَهُمِ الْجَوَابَ إِنَّ فِى أَيْدِى النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا، وَصِدْقًا وَكُذِبًا 191

«فيدوا العلم بالكتابة» 114

«لَكِنَّكُمْ تَهْتُمُ مَنَاءَ بَنَى إِسْرَائِيلَ، وَلَعَمْرِى لِيُضَعَّفَنَّ لَكُمْ النَّيْهُ مِنْ بَعْدِى 72

«لم يبق من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه» 204

«وَإِنَّ عِنْدَكُمْ الْأَمْثَالَ مِنْ بَلْسِ اللَّهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَقَوَانِعِهِ 70

«وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ 70

«وَأَنْتُمْ مَعَسَّرَ الْعَرَبِ عَلَى سَرِّ دِينٍ، وَفِى سَرِّ دَارٍ، مُبِيحُونَ بَيْنَ جِجَارَةٍ حُسْنٍ 205

«وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم بِالْقَرَابَةِ الْقَرِيبَةِ 206

«وَلَقَدْ قَرَأَ اللَّهُ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَكْبَرَهُ مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَتِهِ 207

«وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِزُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِزَاءِ فَارَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي 207

«وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ اتِّبَاعَ الْقَصِيصِ أَتْرَأُ أُمَّهُ يُرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عِلْماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ» 207

«وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَتَاهُ الْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ 208

«يا طلحة أليس قد شهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 183

«يا من ذكره شرف للذاكرين، ومثل هذا كيف يليق بالعاقل أن يسعى في إخفائه» 126

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام

«ابتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، وأنشأها بلا احتذاء أمثلة امتثلها 78

«اجتنبه قبل أن اجتنبه إذ الخلاق بالغيث مكنونة ويستتر الأهلل مصونة» 279

«ثم أخذتم توروبن وقدتها، وتهيجون جمرتها، وتستجيبون لهاتف الشيطان الغوى 88

«ثم لم تلبثوا إلا ريث أن تسكن نفرتها ويسلس قيادها» 88

«حتى انهزم الجمع وولوا اللبر، حتى تفرى الليل عن صبحه وأسفر الحق عن محضه 82

«سرعان ما أحدثتم، وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما أحاول، وقوة على ما أطلب وأزاول 93

«فان تعزوه وتعرفوه: تجدوه أبى دون نسانكم، وأخا ابن عمى دون رجالكم 81

«فدونكموها فاحتقروها دبرة الظهر، نعبة الخف، باقية العار 90

«فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه، وماوى أصفياه، ظهر فيكم حسيكة النفاق 86

«فهيها منكم، وكيف بكم، وأنى توفكون، وكتاب الله بين أظهركم 89

«فيدوا العلم بالكتاب» 113

«معاشر المسلمين المسرعة إلى قيل الباطل المغضبة على الفعل القبيح الخاسر 95

«وأنتم فى رفاهىة من العيش، وادعون فاكهون آمنون 85

«ويعد أن منى -- النبى صلى الله عليه وآله وسلم -- ببهم الرجال وذويان العرب 83

«وكنتم على شفا حفرة من النار فألقذكم، مذقة الشارب، ونهزة الطامع 78

«وما الذى تقموا من أبى الحسن عليه السلام؟! تقموا والله منه تكير سيفه 96

«يا معشر النقبية وأعضاء الملة وحضنة الإسلام 93

قال الإمام زين العابدين عليه السلام

«أريد سفرا أعد له زادا أحمله إلى موضع حريض» 252

قال الإمام محمد الباقر عليه السلام

«بَلِيَّةُ النَّاسِ عَلَيْنَا عَظِيمَةٌ إِنْ دَعَوْنَاهُمْ لَمْ يُجِيبُونَا وَإِنْ تَرَكْنَاهُمْ لَمْ يَهْتَدُوا بِغَيْرِنَا» 214

«ما من عبد يغدو في طلب العلم أو يروح إلا خاض الرحمة وهتفت به الملائكة: مرحبا بذاثر الله 225

«هذا والله إمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وخطه على بيده عليه السلام» 134

قال الامام جعفر الصادق عليه السلام

«إِنَّ عِنْدِي الْجُفْرَ الْأَبْيَضَ 137

«أين هو من الجامعة، أملى رسول الله وخطه على بيده، فيها جميع الحلال والحرام 136

«تُنْظَرُ الرِّزَادِقَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةٍ ذَلِكَ أَنِّي نَظَرْتُ فِي مُصْحَفِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ 141

«ضل علم ابن شبرمة عن الجامعة، أن الجامعة لم تدع لأحد كلاما، فيها الحلال والحرام» 137

«لا والله، ما هم على شيء مما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلا استقبال القبلة فقط» 204

«ما ترك على شيعته وهم محتاجون إلى أحد في الحلال والحرام 134

إن عليا عليه السلام كتب العلم كله القضاء والفرائض 133

وأما قوله في الجفر، فإنما هو جلد ثور مذبوح كالجرب 138

قالت السيدة زينب عليها السلام

«ما رأيت إلا جميلا، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم 172

,118,117,116,115,114,113,112,111,110,108,107,106,105,93,92,91,90,87,86,85,84,83,82,81,80,79,78,77,76,73,69,67,66,65,63,62,61,60,59,47,42,41,36,14,12,11,10,9

نبى الله إبراهيم عليه السلام, 30, 58, 138, 141

01,194,190,186,184,182,178,176,173,172,171,163,157,155,154,153,152,150,149,147,146,145,143,141,139,135,133,130,126,114,108,84,81,75,73,71,70,69,68,67,35

فاطمة الزهراء عليها السلام, 9, 76, 77, 78, 79, 80, 85, 86, 87, 92, 96, 107, 108, 123

الإمام زين العابدين على بن الحسين عليه السلام, 147, 150, 153, 154, 157, 171, 177, 184, 185, 188, 212, 243, 250, 251, 252, 253

ص: 361

الإمام أبو عبدالله الصادق جعفر ابن محمد عليه السلام, 221,215,163,160,158,157,155,153,148,140,137,136,135,134,133,

الإمام أبو جعفر الباقر محمد بن علي عليه السلام, 5,147,150,153,154,155,156,183,184,187,188,214,225,282,284,310,314,327,

الإمام الكاظم أبو الحسن الماضي موسى ابن جعفر عليه السلام, 158,

نبي الله آدم عليه السلام, 9,41,42,44,60,69,176,

نبي الله نوح عليه السلام, 42,47,

نبي الله موسى عليه السلام, 47,52,90,91,175,

ذى القرنين, 41,

مريم بنت عمران عليها السلام, 141,

ص:362

ابن قتيبة 226,229,233,237,238,256,260,264,267,270,273,280,322

أبا الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل 168

أبان بن أبي عياش 148,177,184,185,186,187,188,190

أبان بن تغلب 21,185

أبان بن عثمان بن عفان 128,165,166,232,306

إبراهيم بن أبي حبيبة 260

إبراهيم بن رجاء الشيباني الجحدري، ابن هراسة 160

إبراهيم بن سعد الزهري 285

إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف 286

إبراهيم بن عمر الصنعاني 178,186,187

إبراهيم بن محمد الثقفي 145

إبراهيم بن موسى بن صديق 38

ابن أبي الحديد المعتزلي 149,177,205,206,208,234,248,316

ابن أبي حاتم 226,227,229,231,235,237,239,256,259,260,261,264,267,269

ابن أبي حازم 319

ابن أبي سيرة 123

ابن أبي عروبة 131

ابن أبي ليلى 139

ابن أبي مليكة 118

ابن إدريس 311

ابن أعثم 172

ابن الأثير 115,144,174,238

ابن البطريق 206,207,221

ابن الجزري 238,258

ابن الجصاص 248

ابن الجوزي 238

ابن الزبير 203,231

ابن الصياغ المالكي 247,248,249,309

ابن العماد 291,274

ابن الغضائري 187,186,181,180,177

ابن الكواء، عبد الله بن عمرو بن الكواء اليشكري 36

ابن الكيس، زيد بن الكيس النحري 36

ابن المبارك 131

ابن المبرد 296

ابن النديم 293,280,274,272,271,270,258,178,161,156,151,150,37

ابن تغري بردي 132,110

ابن تيمية 125

ابن جُرَيْج 257

ابن جريح 285,131

ابن حبان 296

ابن حبيب 226

72,271,270,269,267,264,263,262,261,260,259,258,257,256,254,247,238,237,236,235,234,233,232,231,230,229,228,227,223,168,165,151,149,144,139,125,112,111

ابن حزم 289,254

ابن حيان الأندلسي 159

ابن خلدون 101,100,20

ابن خلکان 325,323,322,287,281,245,244,233,229

ابن دريد 23

264,262,261,260,259,258,257,256,253,247,243,241,240,238,235,233,232,231,230,229,228,226,222,216,174,173,170,152,151,149,145,144,127,120,119,112,111,38

ابن سلامة 113

ابن سيد الناس 314,291,280,264,166,129

ابن شاذان 221

ابن شاهين 287

ابن شعبة الحراني 69

ابن شهر آشوب 250,221,218,207,188,148

ابن طاووس 218,209,207,172,161,153,69

ابن طلحة الشافعي 221

ابن طيفور 78

ابن عبد البر 319,239,234,221,220,219,218,144,120,113,112

ابن عبد الرحمن 125

ابن عدى 322

ابن عساكر 144,145,171,211,222,223,233,244,245,246,271,278,308,309

ابن فارس 32

ابن كثير 60,129,166,171,212,238,271,323,326

ابن لهيعة 131

ابن ماجة 121,224

ابن ماكولا 269

ص: 364

ابن محبوب 283

ابن منظور 115,23

ابن نفيل 296

ابن نما الحلبي 172

ابن نمير 297

ابن هلال الثقفي 22

ابن وهب 131

أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن الحارث، الفزاري 271

أبو إسحاق السبيعي 256,149

أبو إسماعيل الأزدي البصري 272

أبو الأسود الدؤلي 147

أبو الأسود محمد بن عبد الرحمن بن نوفل 259

أبو البختری، وهب بن وهب بن كبير 38

أبو الحسين العلوي الزيدي 185

أبو الدرداء 212

أبو العباس الأموي 274

أبو الفتح الكراچكي 214

أبو الفرج الأصفهاني 308

أبو القاسم سعد بن عبد الله أبي خلف الأشعري القمي 136

أبو المحياه يحيى بن يعلى التيمي 286

أبو اليقظان (سُحيم) 37

أبو أيوب يحيى بن سعيد بن أبان الأموي الكوفي 273

أبو بصير 136

أبو بكر 319,306,261,252,242,236,170,169,118,117,108,34

أبو بكر بن حزم 241

أبو بكر محمد بن مسـلم بن عبيد اللـه بن شهاب الزهري
319,306,261,252,242,236,170,169,118,117,108,34,281,278,270,267,262,261,259,254,253,252,251,250,249,248,247,246,245,244,243,242,241,240,239,238,231,230,229,228,204,168,164,160,132,127,121,120,15,13

أبو تميلة يحيى بن واضح 286

أبو جعفر المنصور 330,322

أبو جهم، عامر أو عمير بن حذيفة 36

أبو حسان 60

أبو حنيفة 131,125

أبو داود 203,202,121,60

أبو ذر الغفارى 190,185,179,147,142

أبو رافع 226,210,176,145,144,143

أبو زرعۃ 297,288

أبو سعيد الأشج 297

أبو سعيد الجعفى 288

أبو سعيد الخدرى 92

أبو سفيان 316,208,171,36

أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف 285

أبو طالب 111

أبو طالب المكى 268,267

أبو عروة معمر بن راشد 267

أبو عمرو معاوية بن عمرو الرومى 272

أبو عوانة الوضاح بن عبد الله 286

ص:365

أبو كريب 297

أبو كلاب 36

أبو محمد الحسن بن علي الوشاء البجلي 160

أبو محمد زياد بن عبد الله بن الطفيل العامري 295

أبو مخنف 200,169,22

أبو معشر السندي 271

أبو مَعَشَرُ السُّنْدِيُّ 270

أبو نعيم 300,240,238,235,233,229

أبو هريرة 316,126,112

أبو يزيد 35

أبو يوسف 131

أبي الجيش البلخي 283

أبي القاسم الرقاء 283

أبي بن كعب 202

أبي جحيفة 139

أبي جعفر الاسكافي 316

أبي جعفر بن قولويه 283

أبي عبد الرحيم خالد بن أبي يزيد 296

أبي كثير العنبري 289

أبي موسى الأشعري 111

أبي نعيم الاصفهاني 262

أحمد بن أبي شعيب 296

أحمد بن ثابت 271

أحمد بن حنبل 315,296,290,265,228,221,220,212,202,165,121,92

أحمد بن خالد الوهبي 286

أحمد بن محمد بن سعيد 135

إسحاق بن إبراهيم بن عمر اليماني 188

إسحاق بن عيسى 271

إسماعيل ابن الإمام موسى بن جعفر الكاظم 158

إسماعيل باشا البغدادي 162,161

إسماعيل بن أبي خالد 234

أصغ بن نباتة المجاشعي 153,152

الأبطحي 214

الأسود بن يزيد النخعي 219,174,171

الاصفهانى 309,247,221,219

الأعمش 297,92

الأقرع بن حابس التميمي 35

الألوسى 160

الأوزاعي الدمشقي 210,131

البرقي 250,211,152,147

البكري 233,119

البلاذري 260,259,236,228

البيروني 65

البيهقي 126,121

التبريزي 147,146,139,137,135,132

التفرشي 145

التفريشي 181

الثعلبي 174

الجاحظ 229,101

الجعدى 267

الجلال الدين السيوطي 248,243,241,223,173,110

ص: 366

الجلدكى 162
الجواليقي 23
الجوزى 236
الجوهري 84,83
الحارث بن عبد الله الهمداني 234
الحارث بن كلدة 32
الحافظ ابن المغازلي 244
الحافظ أبو العباس 135
الحافظ العراقي 126
الحاكم الحسكاني 221
الحاكم النيسابوري 319,221,220,144,114,92,60
الحجاج 253,150,148
الحسن بن عرفة 296
الحسن بن علي الوشاء البجلي 215,160
الحسن بن علي بن كيسان 188
الحسن بن علي بن محمد بن الحسن الجمهوري 255
الحسن بن عمرو بن أمية الضمري 112
الحسن بن محمد بن الحنفية 152
الحسين بن الحكم الجبري 144
الحسين بن محمد اللّمي 255
الحمادان 285
الحُنَيْي 269
الخرزاز 153
الخطيب البغدادي 327,326,321,320,319,318,315,314,313,311,301,296,287,285,282,281,280,278,274,273,271,270,265,240,233,231,130
الدارمي 223,222,151
الدكتور صروف 162
الدمشقي 125
الذهبي
314,311,310,309,308,297,296,295,290,289,288,281,274,273,267,265,261,258,256,246,245,244,242,241,238,235,234,233,221,171,164,136,132,131,119,118,117,21
الربيع بن أنس البكري 123
الزبير بن بكار 306,166,34
الزرقاني 126
الزركاني 229,203

الزركلى 290,281,274,271,270,267,261,258,256,244,238,236,233

الزوخشى 221,130,129

الزىلعى 289,288,223

السائب بن يزيد 223

السامرى 47

السمعانى 270

السيد أبو القاسم الخونى 314,283,281,253,251,250,234,215,188,187,181,180,178,160,152,149,147,143

السيد الشريف المرتضى رحمه الله، على بن الحسين الموسوى 136

السيد العلامة الطباطبائى 44

السيد المرعشى النجفى 317,248,138

ص: 367

السيد شرف الدين 320
السيد محسن الأمين 156,135,94,88
السيد محمد باقر الصدر 56,53,52,49
السيد هاشم البحراني 179,148
الشافعي 291,290,288,287,203,125
الشَّعْبِي 233
الشعراني 224
الشهرستاني 169,130
الشهيد الثاني 148
الشهيد زيد بن علي بن الحسين 185,157,153
الشهيد ميثم التمار 146
الشوكاني 223
الشيخ الحر العاملي 320,194,190,179,154,148
الشيخ الصدوق 330,283,252,251,250,221,214,194,190,185,154,152,150
الشيخ الكليني 283,253,194,190,187,185,156,154,141,138,136,71
الشيخ المحمدي 208
الشيخ المفيد 283,282,224,217,214,186,185,178,148
الشيخ محمد بن الحسن بن علي الطوسي 284,283,282,253,226,217,211,154,153,152,148,147,146,142,63
الصفدي 325,323,319,297,281,263,236
الضقب بن زهير 122
الصنعاني 120
الضحاک بن عُثْمَان القرشي 37
الطبراني 221,113
الطبرسي 279,247,97,95,94,93,90,89,88,87,85,84,82,81,79,78
العباس بن عبد المطلب 143
العكلي 159
العلائي 151
العلامة آغا بزرگ الطهراني 226,211,180,178,176,160,158,157,148,136
العلامة الأميني 219,207,180,171,170,125
العلامة الحلبي 330,282,148,145,125
العلامة المجلسي 330,317,248,225,218,209,208,206,205,204,194,162,158,148,146,138,136,135,97,94,89,84,82,79,78,75,71
الغزالي 125
الفخر الرازي 311,306,297,296,265,244,126

الفضيل بن عياض البصرى 160

القاسم بن ابراهيم بن اسماعيل حفيد الامام 159

القاسم بن محمد الاصبهاني 250

القاسم بن محمد بن ابي بكر 310,285,236

القاضي التستري 148

القاضي النعمان المغربي 319,171,79

القاضي بدر الدين السبكي 178,149

القمي الشيرازي 248

القندوزي الشافعي 221,218

ص: 368

القيروانى	309
القيسرانى	260,258,237
الكاتب الأسكافى	22
الكنشى	283,188,147,146
الكلاعى	273
المأمون	324,323,137,106
المتقى الهندى	223,170,92
المداننى	246
المرزبانى	255,238
المرزى	322,321,318,315,314,297,289,288,287,286,285,281,278
المسمعى، عامر بن عبد الملك المسمعى	37
المغيرة بن شعبة	316
المغيرة بن عبد الرحمن	232
المفضل بن عمر	158,157
المقداد	190,185,179
المقرزى	92
الملا حيدر على الفيض آبادى	179,149
الملا على كنى	283
المناوى	221
المهدى العباسى	37
المير حامد حسين	148
المير داماد	148
الميرزا الأستر آبادى	181
الميرزا حسين النورى	194,190,180,162,158,148,146,136,70
النخار بن أوس	36
النسانى	248,235,202
التمرود	58
النورى	267
الهيثم بن عدى	38,29
الهيثمى	221,116
الواقدى	299,294,271,270,261,260,259,258,257,256,238,236,230,228,166,129,127,123
الوليد بن عبد الملك	320,318,308
الياس الصيرفى	160

الياس سرقيس 161

اليافعي 290

اليربوعي البصري 159

اليعقوبي 232,165,128,65

أم الدرداء 212

أم فروة 212

أنس بن مالك 257,204,113

برتولوا 161

برنارد لويس وهولت 11

بشير بن يسار الأنصاري 228

بكراريس 240

بول فيين 101

تيم بن مروة 313,312

ثابت بن دينار 150

جابر بن حيان الصوفي 163,162,160

جابر بن عبد الله الأنصاري 237,112,9

جابر بن يزيد الجعفي 69,22

جب هاملتون 303,277,13

جبير بن مطعم بن عدى 228,34

ص: 369

- جرير بن حازم 285
- جرير بن عبد الحميد 286
- جعفر عباس الحائري 213
- جعفر مرتضى العاملى 212,204
- جواد على 293
- جولد تسهير 243
- جيوم 300,299,298
- حاجى خليفة 230,167,161
- حجر بن عدى الكندى 211,200,145,144
- حسن بن حسين 144
- حسن سلمان 106,50,47,42,40,26
- حصين بن عبد الرحمن 295
- حفص بن غياث 286
- حماد بن سلمة 131
- حماد بن عثمان 140
- حماد بن عيسى 187,186,185
- حمزة الأصفهاني 65
- خالد القسرى 309,247
- خالد بن طليق 37
- خالد بن عبد الله القسرى 246
- خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرزة 308
- خالدا القسرى 308
- خُبيب بن عبد الله بن الزبير الأسدى 37
- خورشيد أحمد فاروق 318
- خويطب بن عبدالعزى بن أبى قيس 36
- داود بن الحسين 260
- دغفل بن حنظلة بن الشيبانى 36
- ديتريش 292
- ذى القرنين 41
- رامهرمزي 113
- روجيه جارودى 124
- روزنتال 271,270,268,253,67,66,65,64,29,12,11,10
- زكريا بن حمويه 296

زهير بن معاوية الجعفي 286

زياد بن أبيه 36

زياد بن أيوب 296

زياد بن عبد الله البكائي 323,295,292,286

زيد بن أسلم 237

زيد بن محمد بن جعفر المبارك 144

زيد بن وهب الجهني 152

سالم بن أبي الجعد 212

سامي البدرى 23

سعد بن عبد الله بن أبي خلف 185

سعدان بن يحيى اللخمي 286

سعيد بن أبي مريم 270

سعيد بن المسيب 251,229,223,217,34

سعيد بن بزيع 286

سعيد بن جبير 309,218,150

سعيد بن سعد بن عبادة 226,165,76

سعيد بن عمرو 227,165

سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص 220

سعيد بن وهب 219

سفيان الثوري 286

سفيان بن أبي العوجاء 173

سفيان بن سعيد الثوري 285

ص: 370

سفيان بن عيينة 288,286,281,251,250,238,160
سفيان بن عيينه 285
سلمان المحمدي 330,190,185,182,179,174,173,147,142
سلمة بن الفضل الرازي 286
سلمى زوجة أبي رافع 144
سليم بن قيس الهلالي 194,190,189,188,187,186,185,184,181,180,179,178,177,176,168,167,149,148,147,127,98,97,77,73,69,22
سليمان الأعمش 295
سليمان بن حيان الأحمر 286
سليمان بن خلف الباجي 296
سليمان بن داود المنقري 250
سليمان بن طرخان التيمي 264
سليمان بن عبد الملك 306,291,284
سليمان بن يسار 246,245,223
سهل بن أبي خثيمة 227
سهل بن يوسف السلمى 236
سهيل بن مالك 203
سهيل زركار 302,15
سيّد عيسى العطار 294
سيف بن عمر 236
شاكر مصطفى 303,277,265,226,222,215,211,210,198,176,169,106,66,65,64,42,40,34,32,29,25,12,11
شبرنجر 240,231
شرحبيل 237,227
شرحبيل بن سعيد 237
شريك بن عبد الله 286
شريك بن عبد الله النخعي 285
شعبة بن الحجاج 286,285
شمس الدين الذهبي 132,110
شمس الدين السخاوي 272,267,264,255,253,230,168,128
صحار بن العباس 36
ضبيع 223
طريف بن ناصح 139
طلحة والزبير 201,174,143
عائشة 317,316,248,247,245,232,218,201,175,174,171,124,117,108

عاصم الأحول 295

عاصم بن عمر بن قتادة المدني 237

عباد بن صهيب اليربوعي 159

عباد بن يعقوب الرواحني 22

عباس بن زيد المدني 159

عبد الأعلى بن عبد الأعلى 286

عبد الرحمن بن أبي ليلى 222

عبد الرحمن بن الضحاك 318

عبد الرحمن بن مغراء 286

عبد الرحمن بن ملجم 201

عبد الرحمن بن مهدي 149

عبد الرحمن بن هرمز الأعرج 285

عبد الرزاق الصنعاني 249,202

ص: 371

عبد الرزاق بن همام 268

عبد العزيز الدوري 13,22,25,28,30,32,39,105,128,129,165,166,199,200,229,230,232,237,238,242,253,261,277,281,293,302,303

عبد العزيز بن محمد الدراوردي 286

عبد الله ابن لهيعة 259

عبد الله العروى 20,27,98,99,100,189

عبد الله النجاشي 136,143,144,145,152,153,155,156,157,158,159,160,185,186,187,211,215

عبد الله بن أبي أويس الأصبحي 160

عبد الله بن أبي بكر 257,261,270

عبد الله بن أبي جعفر 123

عبد الله بن أبي رافع 145

عبد الله بن أبي سلول 245

عبد الله بن إدريس 286,296

عبد الله بن أسعد بن علي اليافي 290

عبد الله بن أيوب 134

عبد الله بن جعفر الطيار 184,309

عبد الله بن سعيد بن ابي هند 286

عبد الله بن شبرمة بن طفيل بن حسان الضبي الكوفي 136,137

عبد الله بن صالح العجلي 289

عبد الله بن عباس 91,112,151,151,216,217,218,219,251,262

عبد الله بن عمر 132,181,261,285,318,319

عبد الله بن عمرو بن العاص 113,132,204

عبد الله بن عون 286

عبد الله بن عياش بن أحمد بن أبي ربيعة 220

عبد الله بن فايد 288

عبد الله بن محمد بن عُمارة الأنصاري 260

عبد الله بن مسعود 219

عبد الله بن مسكان 185

عبد الله بن نمير 286,327

عبد الله بن وهب الفهري 236

عبد الله بن يزيد بن الصلت الشابي 286

عبد المطلب 283

عبد الملك بن عمير 295

عبد الملك بن محمد القاضي 258

عبد الملك بن مروان 166,212,230,231,233,245,255,306,307,308,309,317,330

عبد ربه بن نافع الخياط 286

عبدة بن سليمان الكلابي 286

عبيد الله بن أبي جعفر 259

عبيد الله بن زياد 172

عُبَيْدُ اللهِ بن كَعْبِ بن مالك الأنصاري 231

عبيد بن شريّة 36

عثمان بن عفان 35,36,234,236

عثمان بن عيسى 187

عروة بن الزبير 128,129,132,166,167,168,229,231,259,313,315,316

عطاء بن السائب 222,295

عطاء بن دينار 151

عفيف عبد الفتاح 42

عقبة بن أبي معيط 208

ص: 372

عقيل بن أبي طالب 35,34,21
عقيل بن خالد 114
علاقة بن كرسم الكلابي 36
عَلَانُ الشُّعُوبِي الوَزَّاق 38
علقمة بن وقاص 245
على البروجردى 145
على المدائني 313,289,287
على بن إبراهيم 283
على بن أبي رافع 145
على بن يونس العاملي 125
على خان المدني 310
على محمد فتح الدين الحنفي 130
عماد بن عيسى بن أبي خلف 185
عمار بن الحسن 123
عمار بن ياسر 202,190
عمارة بن القداح (أبو محمد عبد الله بن محمد بن القداح) 38
عمر بن أذينة 187,178
عمر بن الخطاب 319,293,236,229,219,174,173,164,120,119,118,116,115,111,108,35,34
عمر بن ذر 297
عمر بن سعد بن أبي الصيد 22
عمر بن شاهين 113
عمر بن شبة 38
عمر بن عبد العزيز 241,237,233
عمر رضا كحالة 290,281,274,272,267,261,238,234,233
عمران بن حصين 202,60
عمران بن سليم 251
عمرو بن الحمق الخزاعي 212
عمرو بن العاص 316,201
عمرو بن حزم بن زيد 111
عمرو بن زرارة 296
عمرو بن شعيب 114,113
عمرو بن شمر الجعفي 22
عمرو بن علي الفلاس 296

81,278,274,273,272,271,270,269,268,257,256,255,254,253,242,241,239,237,236,233,232,231,229,227,226,167,165,164,152,122,121,110,109,76,38,37,35,34,33,21

فاطمة بنت المنذر 315

فرعون 176,175,171,59,41

فضل بن شاذان الأزدي 92

فوستل 168

فيشر 258,256,254,242,237

قائيل 59

قارون 41

قاضي النعمان المغربي 221,220,219,218

قتادة 229,217,60

قتيبة بن مسلم 234

قُوَّةُ بن عبد الرحمن 254

قيس بن مخزومة بن المطلب بن عبد مناف 281

ص: 373

قيصر الروم 111

قيط المحاربي الكوفي 37

فيض الكاشاني 330

كسرى الفرس 111

كهمس بن الخلق 297

كولينجود 20

مارك بلوك 98

مالك الأشر 212,153

مشجور بن غيلان 36

محمد ابن علي، ابن الحنفية 149

محمد الريشهري 224

محمد باقر الأنصاري 149,148,22

محمد بن إبراهيم الامام 159

محمد بن إبراهيم، الكاتب البغدادي 136

محمد بن أبي بكر 212,186,180,178

محمد بن أبي عدى 286

محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز 290

محمد بن إدريس 288

283,282,280,279,278,277,275,273,267,266,260,259,258,257,256,242,238,237,232,231,230,228,194,167,166,163,140,131,129,97,73,69,67,64,21,15,14,13,11,10,5,2

محمد بن إسماعيل البخاري 297,296,289,288,274,273,271,269,268,267,266,265,264,257,255,253,247,241,239,238,229,219,203,202,139,124,108,92,91,63,29,22

محمد بن الأشعث الكوفي المصري 158

محمد بن الحسن الشيباني العراقي 210

محمد بن الحسن الصفار 141,140,138,136,134,133

محمد بن الحنفية 153,152

92,274,273,271,270,268,266,261,260,259,258,257,256,255,254,242,236,234,232,231,229,228,227,194,174,172,171,167,166,144,127,123,122,110,100,99,89,76,65

محمد بن سلمة الحراني 323,296,295,286

محمد بن سليمان 228

محمد بن سهل 228

محمد بن صالح بن دينار 258

محمد بن عبيد الطنافسي 286

محمد بن عبيد الله بن أبي رافع 143

محمد بن عبيد الله بن أحمد 263

محمد بن عثمان بن كرامة 297

محمد بن علي الصيرفي 188,187

محمد بن فضيل 286

محمد بن فُلَيْح 264

محمد بن مسلم 253,252,250,239,133

ص: 374

محمد بن يحيى بن سهل 228
محمد بن يزيد الواسطي 286
محمد بن يعقوب 253,188,185,184
محمد طاهر القمي 320
محمد عبده 205
محمد عمارة 152
محمد محي الدين 315,312
محمد مهدي شمس الدين 68
مخرمة بن نُوَفل بن أهيب الزهري القرشي 35,34
مرتضى العسكري 124
مروان بن الحكم 309
مصعب الزبيري 254,38
مصعب بن ثابت 259
مطرف بن الشيخير 202
مطلب بن زياد الزهري القرشي المدني 160
معاوية بن أبي سفيان 220,211,201,175,174,171,144,143,36
معقل بن يسار 220
معمر بن راشد 268
مَعْمَر بن رَاشِد 267
مُقَاتِل الأَصُول بن سنان بن مرشد 37
مندل بن علي 286
منصور بن المعتمر 295
موسى بن إسماعيل حفيد الإمام الكاظم 158
موسى بن أعين 286
موسى بن عقبة 278,267,262,261,253,237,15
موسى بن هارون بن إسحاق 327
مولى محمد صالح المازندراني 206,138
ميمون بن مهران 112
نافعا مولى عبد الله بن عمر 285
نبيل الحسنی 249
نبيهة عبود 293,292,269,268
نصر بن مزاحم المنقري 22
نور الدين بن مصطفى 162

هارون بن أبي عيسى 286

هارون بن معروف 296,288

هارون بن موسى النحوي 286

هبة الله بن أحمد بن محمد 185

هشام بن حسان 296

هشام بن عبد الملك 296,245

هشام بن عروة 328,320,318,317,315,313,297,273,258,257,230

هشام بن محمد بن أبي مخنف 122

هشام بن محمد بن السائب الكلبي 122,38,36,29

هشيم 131

هشام بن منبه 267

هنري بيران 98

هشيم بن بشير 286

وائل بن قاسط 294

وطلق بن حبيب 309

وليد عرفات 300

وهب بن كيسان 203

وهب بن منه 64,11

ياقوت 280,273,271,270,237

يحيى بن الحسين الهادى 152

يحيى بن الحكم 309

يحيى بن جعدة 119

يحيى بن زكريا بن أبى زائدة 286

يحيى بن سعيد الأموى 286,273

يحيى بن سعيد الأنصارى 286,285

يحيى بن سعيد القطان 290

يحيى بن محمد بن عباد بن هانى الشجرى 286

يحيى بن معين 297,290,289,287

يزيد بن أبى حبيب المصرى 286,285

يزيد بن زومان 258

يزيد بن زريع 286

يزيد بن عبد الملك 306,245

يزيد بن معاوية 172,171,169

يزيد بن هارون 289,286

يعقوب بن إبراهيم 266

يعقوب بن عُثْبَةَ 256

يعقوب بن يزيد 185

يعلى بن عبيد الطنافسى 286

يوسف بن عبد الله بن عبد البر النَّمْرِي 263

يوسف بن محمد بن عمر بن قاضى شهبة 262

يوسف هوروفتس 298,293,270,268,262,261,257,241,240,238,237,232

يونس بن بكير 331,330,323,297,295,292,289

يونس بن بكير الشيبانى 286

يونس بن يزيد الأيلى 255

ص:376

1. ابن حجر / الوفاة: 852 / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1415---1995 م / الناشر: دار الكتب العلمية --- بيروت --- لبنان.
2. ابن ماكولا / اكمال الكمال / الوفاة: 475 / الناشر: دار إحياء التراث العربى.
3. أحاديث أم المؤمنين عائشة / السيد مرتضى العسكري / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: 1414---1994 م / المطبعة: صدر / الناشر: التوحيد للنشر.
4. الاختصاص / الشيخ المفيد / الوفاة: 413 / تحقيق: على أكبر الغفارى، السيد محمود الزندى / الطبعة: الثانية سنة الطبع: 1414---1993 م / الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان.
5. اختيار معرفة الرجال / الشيخ الطوسى / الوفاة: 460 / المطبعة: بعثت --- قم / سنة الطبع: 1404 / تصحيح وتعليق: مير داماد الأسترابادى / تحقيق: السيد مهدي الرجائى / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.
6. الإرشاد / الشيخ المفيد / الوفاة: 413 / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لتحقيق التراث / الطبعة: الثانية سنة الطبع: 1414---1993 م / الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان.
7. الاستبصار / الشيخ الطوسى / الوفاة: 460 / تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسوى الخرسان / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: 1363 ش / الناشر: دار الكتب الإسلامية --- طهران.

8. الاستذكار / ابن عبد البر / الوفاة: 463 / تحقيق: سالم محمد عطا محمد على معوض / الطبعة: الأولى سنة الطبع: 2000 م / المطبعة: بيروت --- دار الكتب العلمية.
9. الاستيعاب / ابن عبد البر / الوفاة: 463 / تحقيق: على محمد البجاوي / الطبعة: الأولى / المطبعة: بيروت --- دار الجيل / سنة الطبع: 1412.
10. الإصابة / ابن حجر / الوفاة: 852 / تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1415 الناشر: دار الكتب العلمية. بيروت.
11. الاعتقادات في دين الأمامية / الشيخ الصدوق / الوفاة: 318 / الطبعة: الثانية / تحقيق: عصام عبد السيد / الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان / سنة الطبع: 1414---1993 م.
12. أعيان الشيعة / السيد محسن الأمين / الوفاة: 1371 / تحقيق وتخرير: حسن الأمين / الناشر: دار التعارف للمطبوعات --- بيروت --- لبنان.
13. الأغاني / لأبي فرج الاصبهاني / دار الكتب العلمية / بيروت --- لبنان.
14. الأمالي / الشيخ الطوسي / الوفاة: 460 / تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية --- مؤسسة البعثة / الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1414 / الناشر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع --- قم.
15. الأمالي / الشيخ المفيد / الوفاة: / تحقيق: حسين الأستاذ ولي، على أكبر الغفاري / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1414---1993 م / الناشر: دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان.
16. إمتاع الأسماع / المقرئزي / الوفاة: 845 / الطبعة: الأولى / تحقيق وتعليق: محمد عبد الحميد النميسي سنة الطبع: 1420---1999 م / الناشر: منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية --- بيروت --- لبنان.
17. انساب الأشراف / البلاذري / الوفاة: 279 / تحقيق وتعليق: الشيخ محمد باقر المحمودي / الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1394---1974 م / الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات --- بيروت --- لبنان الكتاب: إكمال الكمال.

18. الإيضاح / الفضل بن شاذان الأزدى / الوفاة: 260 / تحقيق: السيد جلال الدين الحسينى الأرموى المحدث الناشر: مؤسسة انتشارات دانشگاه تهران / سنة الطبع: 1363 ش.
19. إيضاح المكنون / إسماعيل باشا البغدادي / الوفاة: 1339 / تصحيح: محمد شرف الدين بالتقاي، رفعت بيلكه الكليسي / الناشر: دار إحياء التراث العربى --- بيروت --- لبنان.
20. بحار الأنوار / العلامة المجلسي / الوفاة: 1111 / الطبعة: الثانية المصححة / سنة الطبع: 1403 --- 1983 م الناشر: مؤسسة الوفاء --- بيروت --- لبنان.
21. بحر الدم (فى من مدحه أحمد أو ذمه) يوسف بن المبرد / الوفاة: 909 / تحقيق وتعليق: الدكتورة روية عبد الرحمن السويفى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1413 --- 1992 م / الناشر: دار الكتب العلمية --- بيروت --- لبنان.
22. البداية والنهاية / ابن كثير / الوفاة: 774 / تحقيق وتدقيق وتعليق: على شيرى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1408 --- 1988 م / الناشر: دار إحياء التراث العربى --- بيروت --- لبنان.
23. بصائر الدرجات / محمد بن الحسن الصفار / الوفاة: 290 / تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوجه باغى / سنة الطبع: 1404 --- 1362 ش / الناشر: منشورات الأعلمى --- طهران.
24. بلاغات النساء / ابن طيفور / الوفاة: 380 / الناشر: مكتبة بصيرتى. قم المقدسة.
25. بلاغة الإمام على بن الحسين عليه السلام / جعفر عباس الحائرى / جمع وتحقيق: جعفر عباس الحائرى / الطبعة الأولى / سنة الطبع: 1425 --- 1383 ش / المطبعة: دار الحديث.
26. تاريخ ابن خلدون / ابن خلدون / الوفاة: 808 / الطبعة: الرابعة / الناشر: دار إحياء التراث العربى --- بيروت --- لبنان.
27. تاريخ التراث العربى / فؤاد سزكين / الطبعة الثانية 1212 هـ - ق / الناشر مكتبة آية الله العظمى المرعشى النجفى العامة --- قم --- إيران.

28. تاريخ الخلفاء / للسيوطى / تحقيق محمد فخر الدين.
29. التاريخ الصغير / البخارى / الوفاة: 256 / تحقيق: محمود إبراهيم زايد / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1406 الناشر: دار المعرفة --- بيروت.
30. تاريخ الطبرى / الطبرى / الوفاة: 310 / مراجعة وتصحيح وضبط: نخبة من العلماء الأجلء / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: 1403---1983 م / الناشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات --- بيروت --- لبنان.
31. التاريخ العربى والمؤرخون / شاكر مصطفى / الطبعة الثانية / دار العلم للملین.
32. التاريخ الكبير / البخارى / الوفاة: 256 / الناشر: المكتبة الإسلامية --- ديار بكر --- تركيا.
33. تاريخ یعقوبى / یعقوبى / الوفاة: 284 / الناشر: دار صادر --- بيروت --- لبنان لكتاب: التعديل والتجريح.
34. تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي / الوفاة: 463 / دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1417---1997 م / الناشر: دار الكتب العلمية --- بيروت --- لبنان.
35. تاريخ مدينة دمشق / ابن عساکر / الوفاة: 571 / تحقيق: على شیری / سنة الطبع: 1415 / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان.
36. تحف العقول / ابن شعبة الحرانى / الوفاة: ق 4 / تصحيح وتعليق: على أكبر الغفارى / الطبعة: الثانية سنة الطبع: 1404---1363 ش / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
37. تحفة الأحوذى / المبارکفوری / الوفاة: 1282 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1410---1990 م / الناشر: دار الكتب العلمية --- بيروت --- لبنان.
38. تحقيق بشیر المازندرانی / تحقيق: بشیر المازندرانی / الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1409 الناشر: المركز العالمى للدراسات الإسلامية.
39. تدريب الراوى / جلال الدين السيوطى / حققه عرفان العشا حسونة / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت --- لبنان.

40. تذكرة الحفاظ / الذهبي / الوفاة: 748 / الناشر: دار إحياء التراث العربي --- بيروت --- لبنان لكتاب: تاريخ الإسلام.

41. تفسير الآلوسى / الآلوسى / الوفاة: 1270.

42. تفسير الإمام العسكري عليه السلام / المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام / الوفاة: 260 / تحقيق: مدرسة الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف الطبعة: الأولى محققة / سنة الطبع: ربيع الأول 1409 / الناشر: مدرسة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف --- قم المقدسة.

43. تفسير الثعلبي / الثعلبي / الوفاة: 427 / تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشر، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي / الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1422---2002 م / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

44. التفسير الصافي / الفيض الكاشاني / الوفاة: 1091 / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: رمضان 1416---1374 ش الناشر: مكتبة الصدر --- طهران.

45. تفسير الميزان / السيد الطباطبائي / الوفاة: 1412 / الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية --- قم المقدسة.

46. تهذيب التهذيب / ابن حجر / الوفاة: 852 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1404---1984 م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان.

47. التوحيد / الشيخ الصدوق / الوفاة: 381 / تصحيح وتعليق: السيد هاشم الحسيني الطهراني / الناشر: منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

48. الثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي / الوفاة: 560 / تحقيق: نبيل رضا علوان / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1412 / الناشر: مؤسسة أنصارين للطباعة والنشر --- قم المقدسة.

49. الثقات / ابن حبان / الوفاة: 354 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1393 / الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية الكتاب: ثواب الأعمال.

50. جامع الرواة / محمد علي الأردبيلي / الوفاة: 1101 / الناشر: مكتبة المحمدي.

51. جامع بيان العلم وفضله / ابن عبد البر / الوفاة: 463 / سنة الطبع: 1398 / الناشر: دار الكتب العلمية.

ص: 381

52. الجرح والتعديل الرازي / الوفاة: 327 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1371---1952 م / الناشر: دار إحياء التراث العربى --- بيروت.
53. جمهرة اللغة / لابن دريد / الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت --- لبنان / منشورات محمد علي بيضون.
54. حلية الأولياء/ لأبي نعيم / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الثانية / دار الكتب العلمية بيروت --- لبنان.
55. الخصال / الشيخ الصدوق / الوفاة: 381 / تصحيح وتعليق: على أكبر الغفاري / سنة الطبع: 18 ذى القعدة الحرام 1403---1362 ش الناشر: منشورات جماعة المدرسين فى الحوزة العلمية فى قم المقدسة.
56. خلاصة عقبات الأنوار / لسيد حامد النقوى / الوفاة: 1306 / سنة الطبع: 1405 / الناشر: مؤسسة البعثة --- قسم الدراسات الإسلامية --- طهران --- إيران.
57. الدر المنثور / جلال الدين السيوطى / الوفاة: 911 / الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر --- بيروت --- لبنان.
58. دراسات فى منهاج السنة لمعرفة ابن تيمية، مدخل لشرح منهاج الكرامة / السيد على الميلانى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1419 الناشر: المؤلف.
59. دراسة مصادر السيرة النبوية / سامى البدرى / دار الفقه للطباعة والنشر / الطبعة الاولى.
60. دلائل الامامة / المؤلف: محمد بن جرير الطبرى (الشيعة) / الوفاة: ق 4 تحقيق: قسم الدراسات الإسلامية --- مؤسسة البعثة --- قم / الطبعة: الأولى سنة الطبع: 1413 / الناشر: مركز الطباعة والنشر فى مؤسسة البعثة.
61. الذريعة / آقا بزرك الطهرانى الوفاة: 1389 / الطبعة: الثالثة سنة الطبع: 1403---1983 م / الناشر: دار الأضواء --- بيروت --- لبنان.
62. ذكر أخبار إصبهان / الحافظ الأصبهاني / الوفاة: 430 / سنة الطبع: 1934 م / المطبعة: بريل --- ليدن المحروسة.
63. الذهبى / الوفاة: 748 / تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمرى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1407---1987 م الناشر: دار الكتاب العربى.

64. رجال ابن داود / ابن داود الحلبي / الوفاة: 740 / تحقيق وتقديم: السيد محمد صادق آل بحر العلوم / سنة الطبع: 1392---1972 م / الناشر: منشورات مطبعة الحيدرية --- النجف الأشرف.
65. رجال النجاشي / النجاشي / الوفاة: 450 / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: 1416 / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
66. رحمة الأمة في اختلاف الأئمة / دمشق / دار الكتب العلمية بيروت --- لبنان.
67. الرسائل العشر / الشيخ الطوسي / الوفاة: 460 / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة --- إيران.
68. رسالة أبي داود في وصف سننه / سليمان بن الأشعث / الوفاة: 275 / تحقيق: محمد الصباغ / الناشر: دار العربية --- بيروت السنن الكبرى / البيهقي / الوفاة: 458 / الناشر: دار الفكر.
69. سعد السعود / السيد ابن طاووس / الوفاة: 664 / سنة الطبع: 1363 / الناشر: منشورات الرضى --- قم.
70. سليمان بن خلف الباجي / الوفاة: 474 / تحقيق: الأستاذ أحمد البزار / الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية --- مراكش.
71. سمط الالهي / للبكري / نسخته وصححه وفتحه وحققه عبد العزيز الميمني.
72. سنن ابن ماجه / محمد بن يزيد القزويني / تحقيق وترقيم وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
73. سنن الدارمي / عبد الله بن بهرام الدارمي / الوفاة: 255 / سنة الطبع: 1349 / مطبعة الاعتدال --- دمشق.
74. سنن النسائي / النسائي / الوفاة: 303 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1348---1930 م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت لبنان.
75. السيد علي خان المدني / الوفاة: 1120 / تقديم: السيد محمد صادق بحر العلوم / سنة الطبع: 1397 / الناشر: منشورات مكتبة بصيرتي --- قم.

76. سير أعلام النبلاء / الذهبي / الوفاة: 748 / إشراف وتخريج: شعيب الأرنؤوط / تحقيق: حسين الأسد / الطبعة: التاسعة / سنة الطبع: 1413---1993 م / الناشر: مؤسسة الرسالة--- بيروت--- لبنان.
77. سيرة ابن إسحاق / محمد بن إسحاق بن يسار / الوفاة: 151 / تحقيق: محمد حميد الله / الناشر: معهد الدراسات والأبحاث للتعريف.
78. السيرة والمغازي / محمد بن إسحاق بن يسار / الوفاة: 151 هـ - / تحقيق الدكتور سهيل ازكار / المطبعة دار الفكر.
79. شذرات الذهب / لابن العماد / تحقيق مصطفى عبد القادر عطا / الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت --- لبنان.
80. شرح إحقاق الحق / السيد المرعشي / الوفاة: 1411 / تعليق: السيد شهاب الدين المرعشي النجفي / تصحيح: السيد إبراهيم الميانجي / الناشر: منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي --- قم --- إيران.
81. شرح الأخبار / القاضي النعمان المغربي / الوفاة: 363 / تحقيق: السيد محمد الحسيني الجلالى / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1414 / الناشر مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
82. شرح المواهب / للزرقانى / دار الكتبة العلمية بيروت --- لبنان.
83. شواهد التنزيل / الحاكم الحسكاني / الوفاة: ق 5 / تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1411---1990 م / الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامى --- مجمع إحياء الثقافة.
84. الشيخ الصدوق / الوفاة: 381 / تقديم: السيد محمد مهدي السيد حسن الخرسان / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1368 ش / الناشر: منشورات الشريف الرضى --- قم.
85. صحيح البخارى / البخارى / الوفاة: 256 / سنة الطبع: 1401---1981 م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
86. صحيح مسلم / مسلم النيسابورى / الوفاة: 261 / الناشر: دار الفكر --- بيروت --- لبنان.

87. الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم / السيد جعفر مرتضى / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: 1415---1995 م / الناشر: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان / دار السيرة --- بيروت --- لبنان.
88. الصحيفة السجادية الكاملة / الإمام زين العابدين عليه السلام / خط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني / سنة الطبع: 1404---1363 ش / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
89. الصراط المستقيم / علي بن يونس العاملي / الوفاة: 877 / تصحيح وتعليق: محمد الباقر البهبودي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1384 / الناشر: المكتبة المرتضوية لإحياء الآثار الجعفرية.
90. الطبقات الكبرى / محمد بن سعد / الوفاة: 230 / الناشر: دار صادر --- بيروت.
91. طرائف المقال / السيد علي البروجردى الوفاة: 1313 / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1410 / الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي العامة --- قم المقدسة.
92. الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف / السيد ابن طاووس / الوفاة: 664 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1399 / المطبعة: الخيام --- قم.
93. العقد النضيد والدر الفريد / محمد بن الحسن القمي / الوفاة: ق 7 / تحقيق: علي أوسط الناطقي / المساعد: سيد هاشم شهرستاني، لطيف فرادي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1423---1381 ش / الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
94. العلل / أحمد بن حنبل / الوفاة: 241 / تحقيق: الدكتور وصي الله بن محمود عباس / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1408 / الناشر: دار الخاني --- الرياض.
95. العمدة / ابن البطريق / الوفاة: 600 / سنة الطبع: جمادى الأولى 1407 / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
96. العهود المحمدية / الشعرائي / الوفاة: 973 / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1393---1973 م / الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

97. عيون الأثر / ابن سيد الناس / الوفاة: 734 / الطبعة: جديدة مصححة / سنة الطبع: 1406---1986 م / الناشر: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر --- بيروت --- لبنان.
98. الغارات / إبراهيم بن محمد الثقفي / الوفاة: 283 / تحقيق: السيد جلال الدين الحسيني الأرموي المحدث.
99. غاية المرام / السيد هاشم البحراني / الوفاة: 1107 / تحقيق: السيد علي عاشور.
100. الغدير / الشيخ الأميني / الوفاة: 1392 / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: 1397---1977 م / الناشر: دار الكتاب العربي --- بيروت --- لبنان.
101. الفايق في غريب الحديث / جار الله الزمخشري / الوفاة: 538 / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1417---1996 م / الناشر: دار الكتب العلمية --- بيروت.
102. فتح الباري / ابن حجر / الوفاة: 852 / الطبعة: الثانية / الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت --- لبنان.
103. فتح القدير / الشوكاني / الوفاة: 1255 / الناشر: عالم الكتب.
104. فتح الملك العلي / أحمد بن الصديق المغربي / الوفاة: 1380 / تحقيق وتعليق وتصحيح الأسانيد: محمد هادي الأميني / الطبعة: الثالثة / سنة الطبع: 1403---1362 ش / الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة --- أصفهان.
105. الفصول المهمة في معرفة الأنمة / ابن الصباغ / الوفاة: 855 / تحقيق: سامي الغريزي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1422 / الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر.
106. الفصول في الأصول / الجصاص / الوفاة: 370 / تحقيق: دكتور عجيل جاسم النمسي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1405.
107. الفضائل / شاذان بن جبرئيل القمي / الوفاة: ن 660 / سنة الطبع: 1381---1962 م / الناشر: منشورات المطبعة الحيدرية ومكبتها --- النجف الأشرف.
108. فلك النجاة في الإمامة والصلاة / علي محمد فتح الدين الحنفي / الوفاة: 1371 / تحقيق وتقديم: الشيخ ملا أصغر علي محمد جعفر / سنة الطبع: 1418---1997 م / الناشر: مؤسسة دار الإسلام.

109. الفهرست / الشيخ الطوسي / الوفاة: 460 / تحقيق: الشيخ جواد القمي الطبع: الأولى / سنة الطبع: شعبان المعظم 1417 / الناشر: مؤسسة نشر الفقاهة.
110. فهرست ابن النديم / ابن النديم البغدادي / الوفاة: 438 / تحقيق: رضا --- تجدد.
111. الكافي / الشيخ الكليني / الوفاة: 329 / تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: 1363 ش / المطبعة: حيدري.
112. الكامل في التاريخ / ابن الأثير / الوفاة: 630 / سنة الطبع: 1386---1966 م الناشر: دار صادر للطباعة والنشر --- دار بيروت للطباعة والنشر.
113. كتاب الأربعين / محمد طاهر القمي الشيرازي / الوفاة: 1098 / تحقيق: السيد مهدي الرجائي / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1418 / الناشر: المحقق.
114. كتاب الأم / الإمام الشافعي / الوفاة: 204 / الطبعة: الثاني / سنة الطبع: 1403---1983 م / الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
115. كتاب العين / الخليل الفراهيدي / الوفاة: 170 / تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي، الدكتور إبراهيم السامرائي / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1409 / الناشر: مؤسسة دار الهجرة.
116. كتاب الغيبة / محمد بن إبراهيم النعماني / الوفاة: 380 / تحقيق: فارس حسون كريم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1422 / الناشر: أنوار الهدى.
117. كتاب الفتوح / أحمد بن أعثم الكوفي / الوفاة: 314 / تحقيق: علي شيري (ماجستير في التاريخ الإسلامي) / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1411 / الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع.
118. كتاب المنمق / محمد بن حبيب البغدادي / الوفاة: 245 / صححه وعلق عليه خورشيد أحمد فاروق.
119. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل / الزمخشري / الوفاة: 538 سنة الطبع: 1385---1966 م / الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، عباس ومحمد محمود الحلبي وشركاهم -- خلفاء.

120. كشف الظنون / حاجي خليفة / الوفاة: 1067 / الناشر: دار إحياء التراث العربى --- بيروت --- لبنان.

121. كشف المحجة لثمرة المهجة / السيد ابن طاووس / الوفاة: 664 / سنة الطبع: 1370---1950 م / الناشر: المطبعة الحيدرية --- النجف الأشرف.

122. كفاية الأثر / الخزاز القمى / الوفاة: 400 / تحقيق: السيد عبد اللطيف الحسينى الكوهكمري الخونى / سنة الطبع: 1401 / الناشر: انتشارات بيدار.

123. كنز العمال / المتقى الهندى / الوفاة: 975 / ضبط وتفسير: الشيخ بكرى حيانى / سنة الطبع: 1409---1989 م / الناشر: مؤسسة الرسالة --- بيروت --- لبنان.

124. كنز الفوائد / أبو الفتح الكراجكى / الوفاة: 449 / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1369 ش / الناشر: مكتبة المصطفوى --- قم.

125. لسان العرب / ابن منظور / الوفاة: 711 / سنة الطبع: محرم 1405 الناشر: نشر أدب الحوزة --- قم --- إيران.

126. اللهوف فى قتلى الطفوف / السيد ابن طاووس / الوفاة: 664 / سنة الطبع: 1417 الناشر: أنوار الهدى --- قم --- إيران.

127. مثير الأحران / ابن نما الحلى / الوفاة: 645 / سنة الطبع: 1369---1950 م / الناشر: المطبعة الحيدرية --- النجف الأشرف.

128. مجمع البحرين / الشيخ الطريحي / الوفاة: 1085 / تحقيق: السيد أحمد الحسينى / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1408---1367 ش / الناشر: مكتب النشر الثقافة الإسلامية.

129. مجمع الزوائد / الهيثمى / الوفاة: 807 / سنة الطبع: 1408---1988 م / الناشر: دار الكتب العلمية --- بيروت --- لبنان.

130. مختصر أخبار شعراء الشيعة / المرزبانى الخراسانى / الوفاة: 384 / تحقيق: الشيخ محمد هادى الأمينى / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1413---1993 م / الناشر: شركة الكتيبى للطباعة والنشر والتوزيع --- بيروت --- لبنان.

131. مرآة الكتب / التبريزي / الوفاة: 1330 / تحقيق: محمد على الحائري / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1414 / الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي العامة --- قم.
132. المستدرک / الحاكم النيسابوري / الوفاة: 405 / إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعشلي.
133. مستدرک الوسائل / الميرزا النوري / الوفاة: 1320 / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة: الأولى المحققة / سنة الطبع: 1408 --- 1987 م / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث --- بيروت --- لبنان.
134. المسترشد / محمد بن جرير الطبري (الشيعة) / الوفاة: ق 4 / تحقيق: الشيخ أحمد المحمودي / الطبعة: الأولى المحققة / سنة الطبع: 1415 / الناشر: مؤسسة الثقافة الإسلامية لكوشانبور.
135. مسند احمد / الإمام احمد بن حنبل / الوفاة: 241 / الناشر: دار صادر --- بيروت --- لبنان.
136. مسند الشهاب / ابن سلامة / الوفاة: 454 / تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي سنة الطبع: 1405 --- 1985 م / الناشر: مؤسسة الرسالة --- بيروت.
137. مسند محمد بن قيس الجلي حول قضايا أمير المؤمنين عليه السلام وغيرها.
138. مشاهير علماء الأمصار / ابن حبان / الوفاة: 354 / تحقيق: مرزوق علي إبراهيم / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1411 / الناشر: دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع --- المنصورة.
139. المصنف / عبد الرزاق الصنعاني / الوفاة: 211 / تحقيق: عنى بتحقيق نصوصه وتخريج أحاديثه والتعليق عليه الشيخ المحدث حبيب الرحمن الأعظمي.
140. المعارف / ابن قتيبة / الوفاة: 276 / تحقيق: دكتور ثروت عكاشة / المطبعة: القاهرة --- دار المعارف / الناشر: دار المعارف.
141. معجم البلدان / لياقوت الحموي / دار صادر بيروت --- لبنان.
142. المعجم الكبير / الطبراني / الوفاة: 360 / تحقيق وتخريج: حمدي عبد المجيد السلفي / الطبعة: الثانية، مزودة ومنقحة / الناشر: دار إحياء التراث العربي.

143. معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة / دار إحياء التراث العربى بيروت --- لبنان.
144. معجم المطبوعات العربية / إلياس سركيس / الوفاة: 1351 / سنة الطبع: 1410 / الناشر: مكتبة آية الله المرعشى النجفى --- قم المقدسة.
145. معجم رجال الحديث / السيد الخوئى / الوفاة: 1411 / الطبعة: الخامسة / سنة الطبع: 1413 --- 1992 م.
146. مفهوم التاريخ / عبد الله العروى / الطبعة الرابعة / الناشر المركز الثقافى العربى الدار البيضاء المغرب.
147. الملل والنحل / الشهرستانى / الوفاة: 548 / تحقيق: محمد سيد كيلانى الناشر: دار المعرفة --- بيروت --- لبنان.
148. من حياة الخليفة عمر بن الخطاب / عبد الرحمن أحمد البكرى / الطبعة: السابعة / سنة الطبع: 10 --- 5 --- 2005 م / الناشر: الإرشاد للطباعة والنشر --- بيروت --- لندن.
149. مناقب آل أبى طالب / ابن شهر آشوب / الوفاة: 588 / تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف / سنة الطبع: 1376 --- 1956 م / الناشر: المكتبة الحيدرية --- النجف الأشرف الكتاب: معانى الأخبار.
150. المنتخب من ذيل المذيل / الطبرى / الوفاة: 310 / الناشر: مؤسسة الأعلمى للمطبوعات --- بيروت --- لبنان مطالب السؤل فى مناقب آل الرسول عليهم السلام / محمد بن طلحة الشافعى / الوفاة: 652 / تحقيق: ماجد ابن أحمد العطية.
151. منتهى الآمال / الشيخ عباس القمى / الناشر محبين / الطبعة الثالثة.
152. منية المرید / الشهيد الثانى / الوفاة: 966 / تحقيق: رضا المختارى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1409 --- 1368 ش / الناشر: مكتب الإعلام الإسلامى.
153. المهذب / القاضى ابن البراج / الوفاة: 481 / إعداد: مؤسسة سيد الشهداء العلمية / إشراف: جعفر السبحانى / سنة الطبع: 1406 / الناشر: مؤسسة النشر الإسلامى التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
154. ميرزا حسين النورى الطبرسى / الوفاة: 1320 / تحقيق: جواد القيوى الجزء اى الأصفهانى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1411 --- 1369 ش / الناشر: مؤسسة الآفاق.

155. ميزان الحكمة /محمد الريشهرى / تحقيق: دار الحديث /الطبعة: الأولى /الناشر: دار الحديث.

156. ناسخ الحديث ومنسوخه /عمر بن شاهين / الوفاة: 385 / تحقيق: الدكتورة كريمة بنت على.

157. النجوم الزاهرة / لابن تغرى بردى / الطبعة الأولى / دار الكتب العلمية بيروت --- لبنان.

158. نشأة علم التاريخ عند العرب / عبد العزيز الدورى / الطبعة الأولى / الناشر مركز دراسات الوحدة العربية / الحمراء --- بيروت --- لبنان.

159. النص والاجتهاد / السيد شرف الدين / الوفاة: 1377 / تحقيق وتعليق: أبو مجتبى / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1404 / الناشر: أبو مجتبى

160. نصب الراية / الزيلعى / الوفاة: 762 / اعتنى بهما: أيمن صالح شعبان / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1415---1995 الناشر: دار الحديث --- القاهرة.

161. النظرية القرآنية لتفسير حركة التاريخ / الدكتور حسن سلمان / مؤسسة الوفاء بيروت --- لبنان / منتدى الفكر الإسلامى.

162. نقد الرجال / التفرشى / الوفاة: ق 11 / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: شوال 1418 / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث --- قم

163. نكت الهميمان / للصفدى / حققه مصطفى عبد القادر عطا / الناشر دار الكتب العلمية بيروت --- لبنان / الطبعة الأولى.

164. النهاية فى غريب الحديث / ابن الأثير / الوفاة: 606 / تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحى / الطبعة: الرابعة / سنة الطبع: 1364 ش الناشر: مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع --- قم --- إيران.

165. نهج البلاغة / خطب الإمام على عليه السلام / الوفاة: 40 / شرح: الشيخ محمد عبده / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1412---1370 ش / المطبعة: النهضة --- قم.

166. نهج الحق وكشف الصدق / العلامة الحلبي / الوفاة: 726 / تقديم: السيد رضا الصدر / تعليق: الشيخ عين الله الحسنى الأرموى سنة الطبع: ذى الحجة 1421 / الناشر: مؤسسة الطباعة والنشر دار الهجرة --- قم.
167. نهج السعادة / الشيخ المحمودي / الناشر: مؤسسة الأعلمي للطبوعات --- بيروت --- لبنان.
168. هدية العارفين / إسماعيل باشا البغدادي / الوفاة: 1339 / الناشر: دار إحياء التراث العربي --- بيروت --- لبنان.
169. وسائل الشيعة (آل البيت) / الحر العاملی / الوفاة: 1104 / تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث / الطبعة: الثانية / سنة الطبع: 1414 / الناشر: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث بقم المشرفة.
170. وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم / السيد علي الشهرستاني / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: جمادى الآخرة 1415 / الناشر: المؤلف.
171. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / ابن خلكان / الوفاة: 681 / تحقيق: إحسان عباس / الناشر: دار الثقافة.
172. ينباع المودة لذوى القربى / القندوزي / الوفاة: 1294 / تحقيق: سيد علي جمال أشرف الحسيني / الطبعة: الأولى / سنة الطبع: 1416 / الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر.

المحتويات

الإهداء 5

مقدمة القسم 7

مقدمة الكتاب 9

الفصل الأول:

نشأة علم السيرة النبوية

المبحث الأول: نشأة التاريخ عند العرب قبل الإسلام 23

المسألة الأولى: ما هو المقصود بلفظة «التاريخ»؟ 23

المسألة الثانية: معنى «التاريخ» و«الخبر» 24

ألف: التاريخ 25

باء: التاريخ العلمى 26

جيم: فلسفة التاريخ 26

المسألة الثالثة: موضوع التاريخ «التاريخ هو الماضى الحاضر» 27

المسألة الرابعة: علم التاريخ عند العرب 28

المسألة الخامسة: كيف تطور علم التاريخ عند العرب 30

ص: 393

المبحث الثاني: دور الإسلام فى حركة التاريخ 39

المسألة الأولى: نظرة القرآن إلى الماضى 39

المسألة الثانية: عالمية التاريخ فى القرآن الكريم 40

المسألة الثالثة: كيف ينظر القرآن إلى السنن التاريخية؟ وما علاقة الإنسان بها؟ 45

أولاً: حقيقة سريان السنن التاريخية فى الأمم 45

ثانياً: تحقق الغرض الإرشادى فى عرض السنن التاريخية 48

ثالثاً: علة تأخير العقوبة الجماعية 50

المسألة الرابعة: سنة التغيير النفسى وارتباطها بتغيير المجتمع 53

المسألة الخامسة: آثار سنة الاستقامة وتطبيق أحكام الله على الفرد والأمة 54

المبحث الثالث: حركة التاريخ وسننه عند أهل البيت عليهم السلام 57

المسألة الأولى: حركة التاريخ وسننه عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 60

أولاً: حركة التاريخ عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 60

ثانياً: السنن التاريخية عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 62

المسألة الثانية: حركة التاريخ وسننه عند الإمام على عليه السلام 67

أولاً: حركة التاريخ عند الإمام على عليه السلام 68

ثانياً: السنن التاريخية عند الإمام على عليه السلام 69

الميزة الأولى فى نظرتة عليه السلام للسنن التاريخية 70

الميزة الثانية لنظرتة عليه السلام للسنن التاريخية 70

الميزة الثالثة: تشخيص نتائج السنن 71

الميزة الرابعة فى نظرتة عليه السلام للسنن التاريخية 74

المسألة الثالثة: حركة التاريخ وسننه عند بضعة النبى الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء عليها السلام وأثر ذلك على الوعى فى التاريخ وتدوينه 76

أولاً: حركة التاريخ عند فاطمة الزهراء عليها السلام 77

ثانياً: السنن التاريخية عند فاطمة الزهراء عليها السلام 87

السيرة النبوية بين الحركة والوعى والتدوين

المبحث الأول: حركة السيرة النبوية 105

النوع الأول: الوعى الفطرى 107

النوع الثانى: الوعى المعرفى 108

المبحث الثانى: تدوين السيرة النبوية 109

الرأى الأول: هو الاعتقاد بوجود التدوين قبل الإسلام ويعدده 110

الرأى الثانى: عوامل نشوء الاعتقاد بتأخر التدوين إلى منتصف القرن الثانى للهجرة 115

المبحث الثالث: تقدم تدوين السيرة النبوية فى مدرسة العترة النبوية عليهم السلام على المدارس الإسلامية كافة 128

المسألة الأولى: متى بدأ المسلمون تدوين السيرة النبوية؟ 128

المسألة الثانية: متى بدأ التصنيف فى مدرسة العترة النبوية عليهم السلام 131

المسألة الثالثة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى عصر النبوة 133

الكتاب الثانى: كتاب فى علوم القرآن الكريم 135

الكتاب الثالث: كتاب الجامعة 136

الكتاب الرابع: كتاب الجفر 137

الكتاب الخامس: كتاب الديات 139

الكتاب السادس: كتاب الصحيفة 139

المسألة الرابعة: تصانيف مدرسة أهل البيت عليهم السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 140

الكتاب الأول: مصحف فاطمة عليها السلام 140

الكتاب الثانى: كتاب الصحابى المنتجب سلمان المحمدى (الفارسى) رضى الله عنه 142

الكتاب الثالث: كتاب الصحابى المنتجب أبى ذر الغفارى رضى الله عنه 142

- الكتاب الرابع: كتاب الصحابي المنتجب أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم 143
- الكتاب الخامس: كتاب الصحابي الشهيد حجر بن عدى الكندي رضى الله عنه 144
- الكتاب السادس: كتاب التابعى على بن أبي رافع رضى الله عنه 145
- الكتاب السابع: كتاب التابعى عبد الله بن أبي رافع رضى الله عنه 145
- الكتاب الثامن: كتاب التابعى الشهيد ميثم التمار رضى الله عنه (توفى سنة 60 هـ -) 146
- الكتاب التاسع: كتاب التابعى أبي الأسود الدؤلى رضى الله عنه 147
- الكتاب العاشر: كتاب التابعى المجاهد سليم بن قيس الهلالي رضى الله عنه (توفى سنة 70 هـ -) 147
- الكتاب الحادى عشر: كتاب التابعى محمد بن الإمام على أمير المؤمنين عليه السلام المعروف بابن الحنفية (توفى سنة 73 هـ -) 149
- الكتاب الثانى عشر: كتاب التابعى الحارث الهمداني رضى الله عنه 149
- الكتاب الثالث عشر: كتاب التابعى ثابت بن دينار (أبو حمزة الشمالى) 150
- الكتاب الرابع عشر: كتاب التابعى الشهيد سعيد بن جبير (توفى سنة 94 هـ -) 150
- الكتاب الخامس عشر: كتاب التابعى الحسن بن محمد بن الحنفية (توفى 100 هـ -) 152
- الكتاب السادس عشر: كتاب التابعى زيد بن وهب الجهنى (توفى 96 هـ -) 152
- الكتاب السابع عشر: كتاب التابعى أصبغ بن نباتة المجاشعى رضى الله عنه (توفى سنة 100 هـ -) 152
- الكتاب الثامن عشر: الصحيفة السجادية للإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام (توفى سنة 95 هـ -) 153
- الكتاب التاسع عشر: رسالة الحقوق للإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام 154
- الكتاب العشرون: مناسك الحج، تصنيف الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام 154
- الكتاب الحادى والعشرون: كتاب الزهد، تصنيف الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام 154
- الكتاب الثانى والعشرون: الجامع فى الفقه، تصنيف الإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام 155
- الكتاب الثالث والعشرون: كتاب الأحاديث، للإمام على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام 155
- الكتاب الرابع والعشرون: تفسير القرآن الكريم، تصنيف الإمام محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام (توفى سنة 114 هـ -) 155

- أ - الكتاب الخامس والعشرون: تفسير القرآن الكريم 156
- ب - الكتاب السادس والعشرون: وهو مجموعة من أحاديث الإمام الباقر عليه السلام 156
- ج - الكتاب السابع والعشرون 156
- د -- الكتاب الثامن والعشرون 156
- ه --- الكتاب التاسع والعشرون: رسالة الإمام الباقر عليه السلام إلى سعد بن عبد الملك الأموي 156
- الكتاب الثلاثون: كتاب المجموع تصنيف الشهيد زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي 122 هـ -) 157
- الكتاب الحادى والثلاثون: كتاب قراءة على عليه السلام 157
- الكتاب الثانى والثلاثون: كتاب الصفوة 157
- الكتاب الثالث والثلاثون: كتاب التوحيد تصنيف الإمام جعفر بن محمد الصادق بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (توفي سنة 148 هـ -) 157
- الكتاب الرابع والثلاثون: كتاب الأهلية في التوحيد تصنيف الإمام الصادق عليه السلام 158
- الكتاب الخامس والثلاثون: كتاب الأهوازية تصنيف الإمام الصادق عليه السلام 158
- الكتاب السادس والثلاثون: كتاب الجعفریات تصنيف الإمام الصادق عليه السلام 158
- المسألة الخامسة: أسبقية مدرسة أهل البيت عليهم السلام فى تدوين السيرة النبوية وكتابة التاريخ الفلسفى والتحليلى 164
- أولاً: أقدم المدارس الإسلامية 164
- ثانياً: الإختلاف فىمن أول من صنف فى المغازى 164
- ثالثاً: لا دليل على امتلاك مدرسة المدينة التى اتبعت نهج الشيخين لكتاب مستقل فى المغازى والسير 167
- رابعاً: أسبقية مدرسة العترة تجليل الحدث التاريخى وتقده 168
- خامساً: نشوء الفكر الجبرى 169
- سادساً: الخلط بين الخلافة والملك 173
- المسألة السادسة: أهمية كتاب سليم بن قيس الهلالي رحمه الله 177
- أولاً: أقوال علماء المدارس الإسلامية فيه 177
- ثانياً: منهج التاريخ النقدى والتحليلى عند سليم بن قيس الهلالي 189

مراحل تطور علم السيرة النبوية خلال القرنين الأول والثاني للهجرة

المبحث الأول: نشوء المدارس الإسلامية التاريخية 197

المسألة الأولى: دور مدرسة العراق في تطور علم السيرة النبوية 199

أولاً: دور الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في تطور علم السيرة النبوية وإنعكاس ذلك على مدرسة الكوفة 201

ثانياً: دور عبيد الله بن أبي رافع (صاحب أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام) في تطور علم السيرة وإنعكاس ذلك على مدرسة الكوفة 210

المسألة الثانية: دور مدرسة المدينة في تطور علم السيرة 211

أولاً: دور مدرسة أهل البيت عليهم السلام في تعليم ونشر العلوم الشرعية، فضلاً عن علم المغازي والسير 215

ثانياً: دور مدرسة الصحابة في حيرة الناس في معرفة دينهم! ونفى! وتعذيب من يسأل عن دينه!! 222

المبحث الثاني: أسماء الذين رووا أو كتبوا في المغازي والسير خلال القرن الأول للهجرة 226

2 -- سعيد بن سعد بن عبادة الخزرجي 226

3 -- سهل بن أبي خثيمة (توفي سنة 41 هـ -) 229

4 -- سَعِيدُ بنِ المُسَيَّبِ (المتوفى سنة 94 هـ -) 230

5 -- عُرْوَةُ بنِ الزُّبَيْرِ (المتوفى سنة 94 هـ -) 232

6 -- عُبيد الله بن كَعْبِ (المتوفى سنة 97 هـ -) 234

7 -- أبان بن عثمان بن عفّان (المتوفى سنة 96 هـ -) 235

المبحث الثالث: أسماء الذين رووا أو دونوا في علم المغازي والسير في القرن الثاني للهجرة 236

1 -- الشعبي (المتوفى سنة 103 هـ -) 236

2 -- القاسم بن محمد (المتوفى سنة 107 هـ - / 725 م) 239

3 -- عاصم (المتوفى سنة 120 هـ - / 737 م) 240

4 - شرحبيل بن سَعِيدِ بنِ سعد بن عبادة الأنصاري (المتوفى سنة 123 هـ -) 241

5 -- الزُّنْجَرِيُّ (المتوفى سنة 124 هـ - / 742 م) 242

- 6 -- السَّيبَعِي (المتوفى سنة 127 هـ - / 745 م) 261
- 7 - يعقوب بن عُثْبَةَ (المتوفى سنة 128 هـ - / 745 م) 264
- 8 - عبد الله بن أبي بكر (المتوفى سنة 130 هـ - / 747 م) 265
- 9 - يزيد بن زُوَمَانَ (المتوفى سنة 130 هـ - / 747 م) 266
- 10 -- أبو الأسود (المتوفى سنة 131 هـ - / 748 م) 267
- 11 - داود بن الحسين (المتوفى سنة 135 هـ - / 752 م) 268
- 12 - موسى بن عُقْبَةَ (المتوفى سنة 141 هـ - / 758 م) 269
- 13 - سليمان بن طرخان التيمي (المتوفى سنة 143 هـ - / 760 م) 272
- 14 - مَعْمَر بن زَائِد (المتوفى سنة 154 هـ - / 770 م) 274
- 15 -- الحَنْتَلِي (المتوفى سنة 162 هـ - / 778 م) 277
- 16 -- أبو مَعْمَر السَّنْدِي 278
- 17 -- الفَزَارِي (المتوفى سنة 188 هـ - / 804 م) 280
- 18 -- أبو إسماعيل الأزدي البصر (المتوفى في الربيع الأخير من القرن الثاني للهجرة) 281
- 19 -- يحيى بن سعيد الأموي (المتوفى سنة 194 هـ - / 809 م) 281
- 20 -- أبو العباس الأموي (المتوفى سنة 195 هـ - / 810 م) 283

الفصل الرابع:

دور محمد بن إسحاق في تطور علم السيرة النبوية

المبحث الأول: من هو محمد بن إسحاق رحمه الله 294

المسألة الأولى: التعريف بشخصيته 294

الصورة الأولى 294

الصورة الثانية 296

المسألة الثانية: مكانته العلمية، أساتذته، أقوال العلماء فيه، تلامذته، المحدثون عنه، رواه 298

الأمر الأول: أساتذته 298

الأمر الثاني: المحدثون عنه 299

الأمر الثالث: أقوال العلماء فيه 301

الأمر الرابع: آثاره العلمية ونتاجه المعرفي 305

الأمر الخامس: تلامذته في علم السيرة النبوية 309

ص: 399

المسألة الثالثة: الدراسات والبحوث التي كتبت في ابن إسحاق 312

أولا: الدراسات التي كتبت في شخصية ابن إسحاق رحمه الله 312

ثانيا: الدراسات التي كتبت عن كتاب المغازي لابن إسحاق 313

المسألة الرابعة: منهجه في علم المغازي والسير 315

أولا: طريقة إعداد البحث 315

ثانيا: تتبعه للكتب التي عند الناس 315

ثالثا: جمعه بين أساليب المحدثين والإخباريين 316

رابعا: توسيع دائرة مصادره من الكتب السريانية 316

خامسا: اعتماده منهج وحدة الفكر التاريخي 317

سادسا: المنهج الموسوعي 317

المبحث الثاني: اضطهاده ومحاربه 319

المسألة الأولى: محاربة ابن إسحاق أم محاربة السيرة النبوية؟ 320

الحلقة الأولى: محاربة البلاط الأموي للسيرة النبوية 320

الحلقة الثانية: إعلان الحرب على ابن إسحاق وتهجيرهم من المدينة المنورة 324

المسألة الثانية: تشييعه لأهل البيت عليهم السلام كان السبب في اضطهاده 328

الحلقة الأولى: محاربة عروة بن الزبير له مذهبا 329

الحلقة الثانية: محاربة مالك بن أنس لمحمد بن إسحاق مذهبا 332

المسألة الثالثة: التعاهد على محاربة ابن إسحاق حتى بعد مماته 338

الحلقة الأولى: دور ابن هشام في تغيير السيرة النبوية 338

الحلقة الثانية: قيام بعض الحفاظ باتهام ابن إسحاق رحمه الله بعد وفاته بتهم عدّة 341

الحلقة الثالثة: دور بعض الكتاب المعاصرين في محاربة ابن إسحاق 343

فهرس الآيات 349

فهرس الأحاديث 357

أعلام -- أ -- 361

أعلام -- ب -- 363

المصادر والمراجع 377

ص: 400

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت. هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟

ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟

تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان

الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

